الخيرات الحسان

في دروس شهر رمضان

لراجي رحمة ربه الجواد
مُحمَّد بن حسن بن علويّ الحدَّاد

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم الرؤوف الرحيم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم..

ونسألك اللهم أن تعلمنا ما ينفعنا وأن تنفعنا بما علمتنا، وأن تجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الداعي إلى النهج القويم والصراط المستقيم وعلى آله وصحبه من كل ذي قلب سليم، وعلم وتعليم، وبعد: فحينما كنتُ إماما في مسجد الحضارم، فقد جرت العادة أن نقرأ في كتاب بعد صلاة الصبح والعصر وفي شهر رمضان المبارك. رأيت أن من المناسب جدا أن تكون الدروس فيما يتعلق بالصيام، فاستعنت بالله على تنفيذ هذا الرأي وجمعت من كتب الأئمة الأعلام هذه الدروس في موضوع الصيام و ما يناسبه وليس لي فيها

إلا الاختيـار والجمـع ونـزر يسـير مـن إيحـاءات هـذا الاختيار المتوج بالسجع، تشويقا للأسماع إلى الاستماع وسميتها الخيرات الحسان في دروس رمضان.أسأل الله أن يجعل نفعها عميما وأن يثيبنا عليها أجرا كريما.

راجي رحمة ربه الجواد

محمد حسن الحداد

زائر كريم

الحمدُ لله الذي جعل الصيامَ جُنَّة، وسبباً مُوْصِلاً إلى الجنة، فَلِلَّهِ الحمدُ وَالْمِنَّةْ، ونسألُهُ التوفيقَ لِأَدَاءِ ما فَرَضَهُ وَسَنَّه، والصَّلاةُ والسلامُ على سيدِ الكونينِ، وأشرفِ الثقلين، مَنْ جاءنا بالوحيين، الكتابِ وَالسُّنَّة، وعلى آلِهِ الْأَئِمَةِ، هُدَاةُ الْأُمَّة، وينبوعُ الْهدى والحِكمة، والنجومُ الْوَضَّاءَةُ فِي الدِّجِنَّة، وعلى أصحابِهِ الْهُدَاةِ، مِنْ كُلِّ منيبٍ أَوَّاه، لا يخشى لَوْمَةَ لائمٍ في الله، المجاهدينَ في سبيل الله بِالرِّمَاحِ وَالْأَسِنَّة، وعلى التابعينَ لهم بإحسان، على طريقِ الهدى والإيمان، ونعوذُ بالله من حزبِ الشيطان، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّة.

اللهم وفقنا لأداءِ الصيام، وإفشاءِ السلامِ، وإطعامِ الطعام، والصلاةِ بالليل والناسُ نيام، حتى نَدْخُلَ الْجنة بسلام، يامن يعلمُ مَا أَسَرَّ عَبْدَهُ وَأَكَنَّه، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ

أَنْشَـأَكُمْ مِـنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْـتُمْ أَجِنَّـة، اللهـم آتِ نفوسـنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أَنت وَلِيُّها ومولاها.

أيهـا المسـلمون لقـد حَـلَّ بكـم وافـدٌ كـريم، وَزَائِـرٌ عظـيم، هـذا الوافـدُ الكـريم، والزائـرُ العظـيم، هُـوَ شـهرُ رمضـانَ المبـارك، شَـهْرُ رمضـانَ الـذي أُنْـزِلَ فيـه القـرآنُ هـدىً للناس وبيناتٍ مِـنَ الْهـدى والفرقان، فأهلا بـه مـن عميقِ المشاعر، وَحَيَّاهُ الله مِنْ وافدٍ وزائر.

أهـــلاً بشـــهر الصـــيامِ أهـــلاً بشـــهرِ القيـــامِ

قَـــدْ جَاءَنَـــا بالعطايـــا وبالهـــدايا الْجِسَـــامِ

أَزُفُّ أحلـــى التهـــاني أُهْـــدِي جزيـــلَ الســـلامِ

للمســـلمينَ جميـــعاً مَـــا لاَحَ بَـــدْرُ التَّمَـــامِ

لقـد كـان السـلفُ الصـالحُ يسـتقبلونَ هـذا الشـهر المبارك بفرحةٍ عظيمة، وابتهاجٍ كبيرٍ، يستقبلونه بالبكاءِ فرحاً بـه، وَيُوَدِّعُونَـهُ بالبكـاءِ حُزْنـاً عليـه، علـى حَـدِّ قـول القائل:

وَرَدَ الكتــابُ عَلَيَّ حتَّى أَنَّهُ مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي
يا عينُ قد صَارَ الْبُكَا لكِ عادةً تبكينَ في فرحٍ وفي أحزانِ

ولقد كانوا يسألون الله تعالى ستة أشهر أن يُبَلِّغَهُمْ رمضان، فإذا جاء رمضانُ اسْتَقْبَلُوهُ بهمَّةٍ عالية، ونفوسٍ راضِـية، هجـروا منـامَهم، وأطـالوا قيـامَهم، وافترشـوا جِبَاهَهُمْ وأقدامهُم، وَمَنْ عَرَفَ ما يطلبُ هَانَ عليهِ ما يَبْذُل (وَمَنْ طَلَبَ الْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ) كانوا قليلا من الليـل مـا يهجعـون، وبالأسـحار هـم يسـتغفرون، وفـي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم) هكذا كانوا طِيْلَةَ الشهر، صيامٌ وقيام، وتلاوةٌ لخير الكلام، دُعَاءٌ وأذكار، صدقةٌ واستغفار، آناءَ الليل وأطرافَ النهار، قاموا بِحَقِّ هذا الشـهر واغتنمُـوه، وَأَوْدَعُـوهُ مِـنَ الأعمـالِ الصَّـالحةِ مَـا أَوْدَعُوه، وَبِبُكَاءٍ وَأَسَفٍ شَدَيدٍ وَدَّعُوه، ثُمَّ يدعونَ الله بَقِيَّةَ العامِ بخضوع وابتهال، أن يتقبلَ منهم صَالِحَ الأعمال، فَلْتَكِنُ لنا بأولئكَ القومِ أُسْوَةٌ حسنة، وقدوةٌ نافعة.

أَنْعِـــمْ وَأَكْـرِمْ بقـــومٍ كانُــوا هُـــدَاةَ الْأَنــامِ
للهِ بـــاتُوا قيـــامـــاً يتلـــونَ خيـــرَ الكـــلامِ
يدعــــونَ ربًّــا كريمـــاً أَنْعِـــمْ بهـــم مِـــنْ كـــرامِ
سيحمـــــدونَ سُـــرَاهم غـــداً بـــدارِ الســـلامِ

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨)﴾.

إِنَّ شهرَ مضانَ المباركَ موسمٌ مِنْ مَوَاسِمِ الخيرات، وَمِضْـمَارٌ للأعمـالِ الصـالحات، فَلْنَغْتَـنِمْ هـذهِ الفرصـةَ السَّـانِحَة، فِـي الأعمـالِ الصـالحة، فَمَـنْ سَـارَعَ لِاغْتِنَـامِ خيراتِـهِ فهـو السـعيدُ المرحـوم، وَمَـنْ تَقَـاعَسَ عنهـا فهـو الشِقيُّ المحروم.

فَاسْـتَقْبِلُوا الشـهرَ هـذا برغبــــةٍ وَاهْتِمَــــامِ
اَفْشُـوا السَّـلامَ وَصَـلُّوا وأطعمُـــوا للطـــعامِ

تُدْعَـــوا لجنـــةِ خلـــدٍ   أَنِ ادْخُـــلُوا بســـــلامِ

يُــرْوَى بهـــذا حـــديثٌ   عـــنِ النبـــيِّ التهـــامي

قـال صـلى الله عليـه وسـلم: «أيهـا النـاس أطعمـوا الطعـام، وأفشـوا السـلام، وصـلّوا بالليـل والنـاس نيـام، تدخلوا الجنة بسلام».

فَيَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ يسير، وَجَزَاءٍ كبير، مِنْ لَدُنْ وَاسِعٍ علـــيم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فـاغتنموا هـذه الأوقـاتِ الفاضـلة، والرحمـاتِ النازلـة، وَتَزَوَّدُوا بالعملِ الصَّالح، والمتجرِ الرَّابح، قبل أَنْ يفوتَ الأوان، ويُطوى زَمَنُ الْإِمْكَان، اليوم يومُ الْغَرْسِ وَغَداً يوم الحصاد، اليوم عملٌ ولا حساب وغدا حسابٌ ولا عمل.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وأبصرتَ حَاصِداً

نَدِمتَ على التفريطِ في زَمَنِ الْبَذْرِ

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

اللهم فَارِقَ الفرقان، وَمُنَزِّلَ القرآن، بالحكمةِ والبيان، بَارِكِ اللهمَّ لنا في شهرِنا هذا شهرِ رمضان، وَأَعِنَّا على صيامِهِ وقيامِهِ وتلاوةِ القرآن، وَتَقَبَّلْ ذَلِكَ مِنَّا يا كريمُ يارحمن، أنتَ المستعان، وعليك التكلان، مَالَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَمَا شِئْتَ كَان، يا حنَّان يا منَّان.

(يـارب بـاركْ لنـا فـي ... شـهرِ الهـدى والصـيامِ
واجعـلْ لنـا فيـه حَظـاً ... مـن خـيرِهِ كـلَّ عـامِ
يـاربُ صـلِّ وَسَـلِّمْ ... علـى شفيـعِ الأنـامِ
والحمـدُ للهِ ربـي ... فِـي الْمُبْتَـدَى وَالْخِتَـامِ)

* * *

فضل الصيام
وما أعد الله للصائمين

الحمد لله الذي جعل الصيام للإسلام رُكْنَا، وجعلهُ مغفرةً للآثامِ تَكَرُّماً مِنْهُ وَمَنَّا، وقال في التنويه به (إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) فأنَّى يُحَدُّ ثوابُهُ بِحَدٍّ اَنَّى.

فسبحانهُ مِنْ إلهٍ عظيمٍ جوادٍ كريم، غفورٍ رحيم، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام، أفضل من صلى وصام، وتَهَجَّدَ بالليلِ والناسُ نيام، وكانت صلاتُهُ بالليل مثنى مثنى، وعلى آلِهِ وصحبِه، وتابعيه وحزبِهِ، ونسألُهُ التوفيقَ لما يُرْضِيهِ عنَّا.

وفي درسِنا هذا نَزُفُّ إليك أيُّها المسلمُ بُشْرَى سَارَّة تبتهجُ بها القلوب، وتُغفر بها الذنوب، أَفْصَحَ عنها من لا ينطقُ عن الهوى، إنْ هو إلا وحي يُوحى.

هـذا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يُبَشِّـرُكَ أيهـا الصـائمُ القـائم، بمغفـرة ذنوبـك إذا أنـت حافظـت علـى صيام هـذا الشهر المبارك وقمتَ لياليه، فَلْيُصْغِ سَمْعُكَ وقلبُك، إلـى بشـارةِ يَرْضَـى بهـا عنـك ربُّـك، ويُغفـر بهـا ذنبُك، وتنالُ بهامن الله أجراً، إنَّ فِي ذلك لذكرى.

يقـول رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مـن صـام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه.

أيـامٌ معـدوداتٌ تصـومها، وليـالِ محـدودةٌ تقومُهـا، يُكَافِئُكَ الله على ذلك الصيام والقيام، بمغفرةٍ مَا اقْتَرَفْتَ مِنَ الآثام، فَضْلاً من الله ونعمه، وتكرماً مِنْهُ ورحمة، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾.

كـل مَـنْ صـام وَمَـنْ   قـام نَـالَ الْأَرَبَـا
إن يكـنْ فيمـا أتـى   مؤمـناً مُحْتَسِـبَا
غَفـرَ الله لَـهُ   كُـلَّ ذنـب أذنبـا
جـاء هـذا فـي حَـدِ   يـثِ النبـيِّ الْمُجْتَبَـى

فحافِظْ على صيام هذا الشهر وقيام لياليه، وَحَذَارِ من التفريطِ فيه، فَأَنَّ مَنْ أفطر منه يوماً واحداً بغير عذر، لا يقضيه عنه صِيَامُ الدَّهر.

فَيَالَهُ من شهرٍ عظيم، جعل الله صيامَهُ فريضه، وَقِيَامَ ليلهِ تَطَوُّعَا، ويحصلُ قيامُ شهر رمضان بإحياءِ مُعْظَمِ ليلِهِ بالعباده، لاَ سِيَّمَا بصلاةِ التراويحِ والوترِ في جماعة، فقد ورد في الحديث الشريف «مَنْ صَلَّى مع الإمامِ حتى ينصرفَ كُتِبَ له قِيَامُ ليلة»، وبهذا يكون قد حاز فضيلةَ قيامِ رمضان، وَاسْتَحَقَّ الغفرانَ الواردَ في حديثِ سَيِّدِ وَلَدِ عدنان، وأقلُّ ما يحصل به القيام أن تُصَلِّيَ الْعِشَاءَ والصبحَ في جماعة، فمن واظب على ذلك فقد نال حَظَّهُ من فضلِ قيام هذا الشهر المبارك، حيث أَنَّهُ قد ورد في الحديث الشريف «أن من صلى العشاء في جماعةٍ فكأنما قام نصف الليل، ومن صلَّى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله».

فلله الحمدُ وَالْمِنَّه، يتقبلُ منا القليل، ويثيبُنا عليه بالجزيل، ذلك من فضلِ الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

بُشْرَى يُبَشِّرُنا بها خيرُ الورى
عن ربِنا خيرُ الكلامِ كَلاَمُهُ
بشرى بمغفرةٍ لذي الإيمان مُحْـ
ـتَسِباً يكونُ صَيامُهُ وقيامُهُ
حافظ على شهر الصيام فإنه
شهرٌ علا بين الشهورِ مقامُهُ
من صام إيمانا ومحتبسا فيا
بشرى له تُمْحَى بِهِ آثامُهُ

فيا أيها المسلم لا تفوتُكَ هذه البشرى، ولا تغفلْ عن التزود لِلَّدارِ الْأُخْرَى، فإنها بالتَّزَوُّدِ لها والإهتمامِ بها أحرى، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾.

هاقد فُتِّحَتْ لك أبوابُ القبول، فلا يَمْنَعْكَ الشيطانُ من الدخول، ولا تَشْتَغِلْ عنها بزهرةِ الدُّنيا فإنها إلى ذُبُول، واغتنم عمركَ فلا بُدَّ لبدرِهِ من أُفُول، واعلم أنه مَحْصِيٌّ عليك ما تفعلُ وما تقول، وَسَتُجْزَى بما عملت إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا، وأمَّا من ظلم فسوف نعذبه عذاباً نكراً.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَمَامَكَ قبراً، ونشراً وحشراً، وموقفاً صعباً وميزاناً وجسرا، وما ينجيك من ذلك غير التقوى فَاتَّخِذْهَا ذخراً ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾.

فَتُبْ إلى الله مَا دُمْتَ في زَمَنِ الْإِمْكَان، قبل ان تضعف منك الأركان، وتُصْبِحَ في خبرِ كان، تُبْ إلى الله تنل منه إحساناً وَغفْراً، ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

هَيْهَاتِ لا يُثْنِي الْمَمَاتَ إذا دنى

بُرْجٌ ولا عَدَدٌ من الحرَّاسِ

فَـاغْنَمْ سُـوَيْعَاتِ الْحَيَـاةِ فإنهـا

محـدودةٌ معـدودةُ الْأنفـاسِ

واعمـلْ لنفسـك صَـالِحَا تنجـو بـه

إِذْ تُـوْزَنُ الأعمـالُ بَالْقِسْـطَاسِ

زَادُ التقـى هُـوَ خَيْـرُ زَادٍ يُقْتَنَـى

ولبـاسُ تقـوى الله خَيْـرُ لِبَـاسِ

اللهـم اجعلنـا مِمَّـنْ تَـابَ وأنـاب، ووفقنـا لاغتنـامِ الفـرصِ قبـل الـذهاب، وادخلنـا الجنـة بغيـر حسـاب، وصـلى الله علـى سـيدنا محمـد وعلـى آلـه والأصـحاب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾.

والحمدلله رب العالمين.

* * *

وأن تصوموا خيرٌ لكم

الحمدلله الذي فَضَّلَ شهرَ رمضان على غيره من الشهور، وجعله غُرَّةً في جبين الدُّهور، وَمَوْسِماً من مواسم الخير والنُّور، وَخَصَّهُ بمغفرةِ الذنوب ومضاعفةِ الأُجور، مَنْ تَاجَرَ فيه فاز بتجارةٍ لن تبور، وَشَكَرَ الله سَعْيَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، والصلاة والسلام على إمام المصلين والصائمين، وقدوة المتعبدين والقائمين، أفضل مَنْ قَرَأَ الفاتحة وَخَتَمَهَا بآمين، وعلى آله وصحبه الْغُرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، يوم يقومُ النَّاسُ لرب العالمين وبعد:

لقد خَصَّ الله شهرَ رمضان بمزايا عدِيدة، وَخُصُوصِيّاتٍ فريدة، نَطَقَتْ بذلك آياتُ الكتاب، وسنةُ رسولِ الله الناطِقِ بالصواب، إنَّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَلِمَا اشْتَهَرَ بِهِ هذا الشهرُ مِنَ الخيرِ العميم، والفضلِ الجسيم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُ أصحابَهُ الكرام بقدومِ هذا الشهرِ المباركُ مُبِّيناً لهم خُصُوصِيَّاتِهِ ومزاياه، وما ينطوي عليه من الخير والبركات، ويرغبُهم في الأعمال الصالحات، من مُنْطَلَقِ قولهِ تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾.

رَوَى سلمانُ الفارسي رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في آخرِ يومٍ من شعبان فقال: «ياأيُّها الناس قد أَظَلَّكُمْ شهرٌ عظيمٌ مبارك، شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، جعل الله صيامَهُ فريضةً وقيامَ ليلهِ تَطَوُّعاً مَنْ تَقَرَّبَ فيه بخصلةٍ من خير كان كَمَنْ أَدَّى فريضةً فيما سواه، ومن أَدَّى فريضةً فيه كان كَمَنْ أَدَّى سبعينَ فريضةً فيما سواه، وهو شهرُ الصَّبْرِ والصبرُ ثوابُهُ الجنة، وشهرُ المواساة، وشهرٌ يُزَادُ في رزق المؤمن فيه؛ مَنْ فَطَّرَ فيهِ صائماً كان مغفرةً لذنوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ

النَّـار، وكـان لـه مثـل أَجْـرِهِ مِـنْ غَيْـرِ أَنْ يَـنْقُصَ مِـنْ أَجْـرِهِ شَيء)).

قالوا : يارسولَ الله ليس كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائم؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((يُعْطِي اللهُ هذا الثوابَ مَنْ فَطَّرَ صائماً على تمرةٍ أو شربةِ ماءٍ أَوْ مَذْقَةِ لبن، وهو شهرٌ أَوَّلُهُ رحمة وأوسطُهُ مغفرة وَآَخِرُهُ عِتْقٌ من النار، مَنْ خَفَّفَ عن مملوكِهِ فيه غفر الله له وأعتقه من النار، وَاسْتَكْثِرُوا فيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَال، خصلتينِ تُرْضُونَ بهما ربَّكم وخصلتينِ لا غَنِيَ بكم عنهما، أما الخصلتانِ اللَّتَانِ تُرضون بهما ربَّكُمْ فشهادةُ أن لا إله إلا الله وتستغفرونَه، وَأَمَّا الخصلتانِ اللتان لا غِنَى بكم عنهما فتسألونَهُ الجنَّةَ وَتَتَعَوَّذُونَ بِهِ من النار، ومن سقى صائما سَقَاهُ الله من حوضي شربةً لا يظمأ بعدها أبدا)).

وَمِمَّا اخْتَصَّ الله بِهِ هذا الشهرَ المباركَ مِنَ الْمَزَايَا، وجزيلِ الهبات والعطايا، مَا رَوَى الإمامُ أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: «أُعْطِيَتْ أمتي خَمْسَ خصال في رمضان لم تُعْطَهُنَّ أمةٌ مِنَ الْأُمَمِ قبلَها: خَلَوفُ فَمِ الصائم أطيبُ عندَ الله من ريح المسك وتستغفرُ لهم الملائكةُ حينَ يفطرون، وَيُزَيِّنُ الله جَنَّتُهُ كُلَّ يومٍ ويقول: يُوْشِكُ عِبادي الصالحون أن يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَؤُنَةَ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إليكِ.

وَتُصَفَّدُ فيهِ الشياطينُ لاَ يْخَلْصُونَ إلى ما كانوا يَخْلُصُوَن إليه في غيرِه وَيُغْفَرُ لهم في آخرِ ليلة، قالوا يارسولَ الله أَهِيَ ليلةُ القدر؟ قال: لا ولكنَّ العاملَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إذا قَضَى عَمَلَه».

وروى مسلمٌ في صحيحهِ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدمَ له يُضَاعَفُ الْحَسَنةُ بِعَشْرِ أَمثالِها إلى سبعِمائةِ ضِعْف. قَالَ الله تعالى: إلا الصَّوَم فإنهُ لي وأنا أَجْزِي به».

رمضانُ وَافَانَا فيا أَهْلاً بِهِ   أهلاً به كلُّ الْمُنَى في قُرْبِهِ
من يشتكي عِلَلَ الذنوبِ فإنَّ في   رمضان طبٌ نَافِعٌ من ذنبهِ

مَنْ صَامَ فَلْيُبْشِرْ بأجــرٍ وافرٍ   فيما روى خيرُ الورى عـن رَبِّهِ

إِذْ قال ما معنــاهُ قـال إِلـهُنا   الصَّومُ لي وأنا الذي أَجْزِي بِهِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعة ورمضانُ إلى رمضان مُكَفِّرَاتٌ لما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائر» [رواه مسلم]..

وكم في رمضان من خيراتٍ وبركات، فيه تُسْتَجَابُ الدعوات، وَتُقَالَ العثرات، وَتُضَاعَفُ الْحَسَنات.

إِنَّ لله في أيام دهركم نفحات ألا فَتَعَرَّضُوا لها، تَعَرَّضُوا لها بالأعمالِ الصالحات، والمسارعةِ إلى الخيرات، فمن أحسن فيها عَمَلَه، نال أملَه.

فَاغْتَنِمُوا شهرَ المغانم، فإنهُ موسمٌ من أبرك المواسم، مَنْ بَلَّغَهُ الله إليه، فتلك نعمةٌ أَنْعَمَ الله بها عليه، يَسْبِقُ بها من كان سابقا، وإنْ كان لَاحِقا، كما جاء في حديث الثلاثة الذين اسْتُشْهِدَ اثنانِ منهم ثُمَّ مَاتَ الثالثُ على فراشه بعدهما فَرُئِيَ في المنامِ سابقاً لهما فقال

النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلَيْسَ صَلَّى بعدهما كذا وكذا صلاة وَأَدْرَكَ رمضان فَصَامَه، فوالذي نفسي بيده إِنَّ بينهما لَأَبْعَدُ مِمَّا بين السماءِ والأرض» [أخرجه أحمد].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ للجنة بابٌ يُقَالُ له الرَّيَان لا يدخلُهُ إلا الصائمون».

إلى غير ذلك من الأحاديثِ والآثار التي تُفْصِحُ عن فضائلِ هذا الشهر، وَمَا اخْتُصَّ بِهِ من عظيمِ الأجر.

أَلاَ فِلْمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعاملون، وفي مثلِ ذلك فَلْيَتَنافَسِ الْمتنافسون، فَاسْتَبِقُوا الخيرات، واجتهدوا في الأعمالِ الصالحات، واغتنموا هذه الليالي والأيام المباركات، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ فاغتنموا الفرص قبل ذِهَابِها، وَتَعَرَّضُوا لِلنَّفَحَاتِ وَخُذُوا بِأَسْبَابِها، وَأْتُوا البيوتَ مِنْ أبوابها، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وترضى، وتقبلْ منا ما عَمِلْنَاه نفلاً وفرضاً، واغفر ذنوبَنا واستر عيوبَنا وَاشْفِ منا المرضى، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

* * *

للصائم فرحتان

الحمـدلله الـرَّحيمِ الـرحمن، ذي الفضـل والامتنـان، أنعـم علينا بالنِّعم الحِسان، وَأَوْلانَا من فضلِهِ ما أَوْلانَـا وَأَجَلُّهَـا نعمـةُ الإسـلامِ والإِيمـان، وَإِنْ تَعُـدُّوا نِعمـةَ الله لا تُحصوها هَيْهَاتَ أن يَحْصُـرَها الْحُسْبَان، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

والصَّلاةُ والسلام الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلان، على سيدِّ وَلَدِ عدنان، النِّعْمَةِ الْمُسْدَاةْ، والرحمةِ الْمُهْدَاهْ، أَنْزَلَ الله عليهِ القـــــــرآن، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ صـلى الله وسـلم عليـه وعلـى آلِـهِ الأطهـار، وصـحبهِ الْأخيار، والتابعينَ لهم على مدى الأزمان، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾.

إِنَّ مـن نِعَـمِ الله علينـا أَنْ وَفَّقَنَـا للصـيام، وَمَـنَّ علينـا بالقيام، فله الحمدُ والمنةُ على ما أَوْلَانَا مِنْ إِنْعَام، فكم

له علينا مِنْ نِعَمٍ وكم له مِنْ إِحْسَان، سبحانَهُ سبحانَهُ ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾

فهنيئاً للصائمِ بهذه الْمِنْحَه، وَطُوْبَى له بِالْفَرْحَةِ تِلْوَ الْفَرْحَة، فرحةٌ تتجددُ عند الإفطار، وفرحةٌ كُبرى عند لقاءِ العزيزِ الغفَّارِ، يَوْمَ يُوْضَعُ الصِّرَاطُ وَيُنْصَبُ الْمِيزان ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

جَاءَ في الحديثِ الشريف عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «للصَّائمِ فرحتان، فرحةٌ عند فطرِه، وفرحةٌ عند لِقَاءِ ربّه».

فَيَا لَهَا مِنْ فَرْحَةٍ كُلَّ يومٍ تَتَكَّرر، وَتَتَجَدَّدُ فِي كلِّ مساءٍ حين يُرفَعُ النِّداءُ الله اَكْبَرُ الله أَكْبَر، فَمَا أَهْنَأَ تلكَ اللحظاتِ عند ذَوِي الْإِيمان، وتلكَ هي الفرحةُ الأولى الْمَتْجَدِّدَةِ في كلِّ يومٍ مِنْ أَيَامِ شهرِ رمضان، يفرَحُ المؤمنُ بتوفيقِ الله له أَنْ أَنْعَمَ الله عليهِ بِتَمَامِ صِيَامِ ذلكَ اليوم، وَبَلَغَ بِهِ إِلَى تَمَامِ الصَّوم، إِنَّها ليستْ فرحةٌ لِتَنَاوُلِ طعامٍ سَدَّ جُوْعَا، وَلَا لِتَنَاوُلِ شَرَابٍ كَانَ مَمْنُوعَا، ولكنَّ

الفرحـةَ العظيمـة، وَالْمِنَّـةَ الجسـيمة، هِـيَ فَرْحَـةُ نِعْمَـةِ التَوْفِيقِ لِلصِّيَام، وَكَـمْ مِنْ إنسانٍ أَشَـدَّ منكَ قُوةً وَأَعْظَـمَ مِنْكَ جِسْماً زَيَّنَ لَهُ الشيطانُ الْإِفْطَارَ فَأَفْطَر، تَقَدَّمَ غَيْرُهُ وَتَأَخَّر، وَأَقْبَلُوا عَلى الله وَأَدْبَر، فالسعادةُ لا تُنَالُ بصحةِ الجسمِ وَلَا بِجَمَالِ الْمَظْهَر، إنَّما تُنَالُ بتوفيقِ الله السميعِ المجيب، وما توفيقي إلا باللهِ عليه توكلتُ وإليه أُنيب.

واللهِ لولا الله مَا اْهتَدَيْنَا، ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا، ولا أَحْرَمْنَا وَلاَ لَبَّيْنَا، ولا طُفنا ولا سَعَيْنَا، ولا صُمْنَا، ولا قُمْنَا، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

وَتَعْظُمُ الْفَرْحَةُ وَتَزِيد، إذا اكْتَمَلَ رمضانُ وَأَطَّلَ الْعِيد، يفرحُ المؤمنِ إِذْ مَنَّ الله عليه بنعمةِ التوفيق، عَمَرَ نهارَ رمضان بالصيام، وَلَيْلَهُ بالقِيام، حتى بَلَغَ بِهِ إلى التَّمَام، فالحمدُلله الذي بنعمتِهِ تَتِمُّ الصَّالحات، وتتضاعفُ الحسنات، وكيف لا يفرحُ الصائِمُ وقد وَفَّقَهُ الله للصيامِ امْتِثَالاً لِأَمْرِه، وَاَكْرَمَهُ الله بالبشرى الْعَاجِلَةِ لِأَجْرِهِ، وَهِيَ أَنَّ دعاءَهُ مستجابٌ عند فطرِه، عن

عبدالله بنِ عَمْرو بْنِ العاص أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إِنَّ للصائمِ عند فطرِهِ دعوةٌ لاَ تُرَّد».

وكان عبدُالله يقول عند فطره «اللهمَّ إني أسألُكَ برحمتِك التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ أَنْ تغفرَ لي ذنوبي» [رواه البيهقي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ثلاثةٌ لَا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائمُ حين يفطر، والإمامُ العادل، ودعوة المظلوم يرفعُها الله فوق الغمام ويقولُ الربُّ وعزتي وجلالي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِين.

بَشِّرِ الصائمينَ قال الرسولُ عند فطرٍ دعاؤُهم مقبولُ

بينَما بعضُنا بأكلٍ وشربٍ وحديثٍ عن غُنْمِهَا مشغولُ

فَاغْتَنِمْ فرصةً دُعَاؤُكَ فيها مُسْتَجَابٌ فيها يُنَالُ السُّولُ

سِمَةُ المؤمنِ الموفقِ للخيـ ـر إلى فعلِ كُلِّ خيرٍ عَجُولُ

وَأَمَّا الْفرحةُ الْأُخْرَى، وهي الْفرحةُ الكُبرى، فتكون في الدارِ الآخرة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وَيَنَالُ الصائمونَ من الله جزيلَ الثواب، يدخلونَ الجنة العالية، ويظفرونَ بالعِيشةِ الرَّاضيه، ويُنادَون ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

فما اَعْظَمَهَا مِنْ فرحةٍ أَتْحَفَ الله بها عَبْدَه، وَبَارَكَ جُهْدَه، وَأَتَمَّ سَعْدَه، فالحمدُلله الذي صَدَقَنَا وَعْدَه.

سُوَيْعَاتُ الْأَصِيلِ تَزَفُّ بشرى ‏‏ لِمَنْ صَامُوا بإتمام الصيامِ
وَأَمَّا الفرحةُ الكبرى غدا إذْ ‏‏ يُوفى الأجر في دارِ السَّلامِ
فوفقنا وثبتنا جميعاً ‏‏ على الإحسان يا ربَّ الأنامِ
ووفقنا لما يُرضيك عنا ‏‏ وَهَبْنَا ربنا حُسْنَ الختامِ

اللهمَّ كما أكرمتنا بالفرحةِ الأولى في هذه الدار، أَكْرِمْنَا بالفرحةِ الكُبرى في دارِ القرار، يا عزيزُ يا

غفار، اللهم اَكْرِمْنَا بالفرحتَين، وَأَجْمَعْ لنا بين الْحُسْنَيَين، يَامَنْ تَنزَّهَ عَنِ الْكَيْفِ وَالْأَين، إِنَّكَ على كل شيءٍ قدير، وبالإجابـةِ جـدير، وصـلّى الله وسـلَّم علـى نبيِنـا محمـدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

من خصوصيات شهر رمضان

الحمدلله الذي خَصَّنَا بشهرِ رمضان، وجعله موسماً للرحمةِ والمغفرةِ والرِّضوان، فَأَكْرِمْ بِهِ من شهرٍ عظيمٍ أَوَلُّهُ رحمةٌ وأوسطُهُ مغفرةٌ وآخرُهُ عِتْقٌ مِنَ النِّيران، والصلاةُ والسلام الأتمان الأكملان، على شفيعِ الأنام، وأفضل من صلَّى وصام، وَقَامَ مِنَ اللَّيْلِ يتهجدُ بالقرآن، وعلى آلِهِ الأطهار، وصحبِهِ الاخيار، والتابعين لهم بإحسان.

اللهم وَفِّقْنَا لصيامِ رمضان وقيامِه، واجعلْ لنا حظاً وافراً من بركاتِه وإنعامِه، وخيراتِهِ وسلامه، واجعلْ عِتْقَنَا مِنَ النَّارِ مِسْكَ خِتَامِه، ياالله ياكريم يارحمن.

لَقَدِ اخْتَصَّ الله هذا الشهرَ شَهْرَ الْهُدَى والرحمة، بِخُصُوصِيَّاتِ جَمَّةْ، ويأتي في مقدمتها نزولُ القرآن، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ وهذا النُّزُولُ يشملُ

نُزُولَهُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ إلى بيتِ الْعِزَّةِ في السَّماءِ الدنيا دُفْعَةً واحدة، وكان ذلك في ليلةِ القدر، من هذا الشهر، كما قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ ويشملُ أيضاً بِدْءَ نزولِ الوحِي إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ الله عليه، وُأَوْحَى بِهِ إليه، قول الله الملكِ الْحَقّ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان المبارك.

ثُمَّ اسْتَمَرَّ نزولُ الوحِي على رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم حَسَبَ الْوَقَائِعِ والأحوال، في غُضُونِ ثلاث وعشرين سنة، هِيَ مُدَّةُ الوحي على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ ﴾.

رمضانُ شهر تَنَزُّلِ القرآنِ رمضانُ شهرُ البرِ والإحسانِ
وَتُعِيدُ ذِكراها إلى الأذهانِ رمضانُ فيك الذ كرياتُ مجيدةٌ
فخراً ومنقبةً على الأزمانِ رمضان فيك تَنَزَّلَ القرآن تِهْ

أنوارُ (إقـرأْ) فِي حِـرَاءَ تَنَزَّلَتْ   وَانْدَاحَ منِها النورُ في الأكوانِ

ومـن خُصُوصِـيَّاتِ شـهر رمضـان المبـارك بِعْـثةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيه، فقد كان بِدْءُ الْوَحْي الذي هُوَ بِدَايَةُ الْبِعْثَةِ في رمضان، وكانت بِعثةُ رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم مِنَّـةً علـى المـؤمنين، ورحمـة للعالمين، مِنَّةٌ على المؤمنين بشاهِدِ قولِهِ وهو أصدق القـــائلين ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ورحمـةٌ للعـالمين بـدليل قولِـهِ تعـالى فـي الـذكر المبين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

رمضان شهرُ النورِ فيهِ تَألَّقَتْ   أَنـوارُ بعثـةِ سـيد الاكـوانِ

هِيَ مِنَّـةٌ للمؤمنيـن ورحمـةٌ   للعـالمينَ ومنبـعُ الإْيمـانِ

قد جَاءَ يهدينا إلى نَهْجِ الْهدى   والبـرِ والإيمـانِ والإحسـانِ

صلَّى عليك الله يا من جاءنا بـالخير أَنْقَـذَنَا مِـنَ الطغيـانِ

ومـن خصوصـياتِ هـذا الشـهر المبـارك، مضـاعفةُ ثـوابِ الأعمـالِ الصـالحةَ، لِمَـنْ أَرَادَ التجـارةَ الرابحـة، حيث جعل ثوابَ النافلةِ فيه كثوابِ الفريضةِ في غيره، وثوابَ الفريضةِ كثوابِ سبعين فريضةً فيما سواه.

ومن فَطَّرَ فيه صائماً كان له مثلُ أَجْرِهِ من غيرِ أن يَنْقُصَ مِنْ أجرِ الصَّائمِ شيء.

ثم إِنَّ نومَ الصائم عبادة، وسكوتَهُ تسبيح، وأعمالُ الخير فيه مُيَسَّرَه، وثوابُها مُضَاعَفْ.

فينبغِـي اغْتِنَـامُ هَـذِهِ المضـاعفات، بالإجتهـادِ فـي الأعمـالِ الصـالحات، فـلا يسـمحُ بفـواتِ هـذا الـرِّبح، الميسور، ويتكاسلُ عن ربح هذه التجارةِ التي لـن تبور، إلا مـن فَقَـدَ عَقْلَـه، وَاسْـتَوْلَتْ عليـهِ الْغفلـة، أَمَّـا العاقـل الْـيَقِظُ فَيَجِـدُّ ويجتهـدُ دُوْنَ كَلَـلٍ أَوْ مَلَـل، يتعـبُ قلـيلاً

ليستريحَ كثيراً، ويربحَ رِبحاً كبيراً، وكان ذلك على الله يسيراً.

يَا رَائِدَ الخيراتِ أقبِــلْ مُسْــرِعــاً
مَـا دَامَ فعــلُ الخـيرِ فِـي الْإِمْكَـانِ
إِحْرِصْ على الطاعاتِ وَاسْتَكْثِرْ مِنَ الْـ
إِنفَـاقِ فـي سِــرٍّ وفـي إِعــلانِ
والقـدوةُ الْمُثْلَى رســولُ الله مَــنْ
يَقْتَـــدْ بِــهِ بشـــراهُ بالرِّضـــوانِ
قد كانَ ذَا جُـودٍ وأَجـــودُ ما يَكُــو
نُ الْجُـودُ مِـنْ يُمْنَـاهُ فـي رَمَضَـانِ

ومن خُصُوصِيَّاتِ هذا الشهرِ، ليلةُ القدر، عظيمة المنزلةِ والقدر، وما أدراك ما ليلة القدر؛ مَنْ أحياها بالعبادةِ فاز بعظيمِ الأجر، وَكَأَنَّمَا عَبَدَ الله ألف شهر، أَيْ أكثر من ثلاثٍ وثمانين سنة، وعلى هذا فَمَنْ وُفِّقَ لقيامِها

والعملِ فيها بطاعةِ الله تعالى إِثنتا عشرة سنه كان بمثابةِ مَـنْ عـاش فـي طاعـةِ الله ألـف سـنة، فَحَـرِيٌّ بالمسـلمِ الراغـبِ فـي عفـوِ الله ومغفرتِـهِ ورضـوانِه، وعظـيم فضـلِهِ وإحسانِه، أَنْ يَتَحَرَّى هذهِ الليلةَ وَأَنْ يَجِدَّ في طلبِها، وأن يحـرصَ كـلَّ الحـرصِ علـى إدراكِهـا، وهـي ليسـت ليلـةٌ بعينِهـا، ولكـن الله ولـهُ الحكمـةُ البالِغـة، اخفاهـا فـي سـائر الشـهر، ليجتهـدَ المسـلم في عبـادةِ ربـه، وليكـونَ مستعداً لها بالطاعةِ والعملِ الصالح كُلَّ ليلةٍ من ليالي هذ الشـهر المبارك.

شهرُ الصيام وأنت للإسلام في بنيانِـهِ السَّـامِي مِـنَ الأركـانِ
والصومُ في لُجَجِ الحياةِ سفينةٌ تجرِي بصاحَبِهـا إِلَـى الرَّيَـانِ
رمضــانُ ليلُـكَ درةٌ وَضَّــاءَةٌ بـالنورِ مشرقـــةٌ بكـلِّ جَنـانِ
الليلُ فـيك تَهجـــدٌ وتـلاوةٌ وتـــزاورٌ فـي الله للإخـــوانِ

اللهـمَّ اقْسِـمْ لنـا مـن خيـراتِ هـذا الشـهرِ وأسـرارِهِ، وبركاتِـه وأنـوارِه، بـأوفرِ الحـظِّ والنصـيب، يـا قريـبُ يـا مجيب، وما توفيقي إلا باللهِ عليه توكلتُ وإليه أنيب.

وصـلَّى الله وسـلَّم علـى نبينـا محمـد وعلـى آلـه وصحبه أجمعين.

* * *

أركان الصوم

الحمدلله الذي أَوْضَح للناسِ مَعَالِمَ دينِه، وَبَيَّنَ ما النَّاسُ بحاجةٍ إلى تبيينهِ، وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ وكرَّم على نبيهِ الأمين، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإنَّ الصيام من افضل الأعمال، المقربة إلى الله الكريم المتعال، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمِّ المؤمنين عائشه رضي الله عنها دَاوِمِي قَرْعَ بابِ الجنَّه، قالت بماذا قال بالجوع، يعني بالصوم، فمن دَاوَمَ قَرْعَ البابِ يُوْشِكُ أن يُفْتَحْ له، وينالَ أملَه.

أَخْلِقْ بذي الصَّبْرِ أَنْ يحظى بحاجتهِ

وَمُدْمِنِ القرعِ لِلْأبوابِ أَنْ يَلِجَا

كيف وللصائمين بابٌ خاصٌّ لا يدخلُ منه غيرُهم، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «للجنة بابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَان لايدخله إلا الصائمون».

ولما كان الصيامُ بهذِهِ الْمثابه، ضاعف الله حسناتِهِ وَأَجْزَلَ ثوابَه.

أَلَا وإنه لَابُدَّ مِنْ أَدَاءِ هذه العبادة على الوجه المشروع، حتى لا يكون حظُّنا من صيامِنا الظمأُ والجوع، فيجبُ الاهتمام بفريضةِ الصيام، ومعرفة ما يترتب على ذلك من أحكام.

أن للصيام أركانا يجب معرفتُها والعملُ بها، فاركان الصيام اثنان، الأولُ النية ويجب أن تكون كل ليلة ولكل يوم نيةٌ مُسْتَقِلَّة.

وعند الإمام مالك تكفي نيةُ صومِ جميعِ أيامِ رمضان في أولِّ ليلةٍ منه، فلا بأس بالأخذِ بذلك على سبيل الاحتياطِ فيما لو شُغِلَ عن النِّيةِ أَوْشَكَّ هل نوى أم لا، ويجبُ تبييتُ النية أي أن ينوي صِيَامَ الفرض

مابين غروبِ الشمس إلى طلوعِ الفجر، أما في النفلِ فتجوز النية قبل الزوال.

الركن الثاني الإمساكُ عن المفطِراتِ من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس قال تعالى وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ

والمفطِّراتُ التي يجب الامساك عنها:

وصولُ عينٍ إلى الجوف عمداً من منفذٍ مفتوح.

ومن ذلك القطرةُ في الأنف، التي يعلم أنها تصل إلى الحلق، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «وَبَالِغْ في الاستنشاقِ إلا أن تكون صائماً » [أخرجه مسلم من حديث لقيط رضي الله عنه]. فالحديث يُفْهِمُ أنه لو دخل الماء من الأنف إلى الجوف فقد أفطر.

ومما يدخل في معنى الأكل والشرب: المحاليل المغذِّية التي تَصِلُ إلى المعدة من طريق الفم، أو الأنف.

و كذا الإبر المغذية؛ فإنها تقوم مقام الأكل والشرب فتأخذ حُكْمَها، ولذلك فإن المريض يبقى على المغذي أياماً دون أكلٍ أو شرب، و لا يشعر بجوعٍ أو عطش.

ومن المفطرات التَّقَيُّؤُ عمداً، وهو مفطر بالإجماع. أَمَّا من غَلَبَهُ القيءُ فلا شيء عليه. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من ذَرَعَهُ القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وَمَنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ)) ومن المفطرات إنزال المني باختيارِهِ بمباشرةٍ، أَوِ اسْتِمْنَاءٍ، ونحو ذلك؛ لأنه من الشهوةِ التي أُمِرَ الصائم أَنْ يَدَعَهَا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَدَعُ شهوتَهُ، وأكلَهُ، وشُرْبَهُ من أجلي)) [متفق عليه].

ومعلوم أن من فعل ذلك عامداً مختاراً، فقد أَنفَذَ شهوته ولم يَدَعْهَا أما الاحتلام فليس مفطراً بالإجماع ومن المفطرات الجماع وإذا كان الفطر متعمَّداً بالجماع فيجب مع القضاء الكفارة، وهي عِتقُ رقبة، فإن لم يجد

فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطعْ فإطعام ستين مسكيناً؛ لحديث أبي هريرة في الصحيحين.

ومن المفطرات الحيض والنفاس والولادة والجنون والأِغماء إذا عَمَّ جميع النهار والردة عياذا بالله من ذلك.

ولهذِهِ المفطِّراتِ تفصيلاتٌ تُؤْخَذُ من كُتُبِ الفقه وَمَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين.

ومن أكل أو شرب ناسيا فلايبطل صومه لقوله صلى الله عليه وسلم: «من نسي وهو صائم فأكل أَوْ شرب فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فإنَّما أطعمهُ الله وسقاه».

والمسافر يجوز له الفطر، ولو لم يكن عليه مشقة في الصيام، ويجب عليه القضاء لما أفطر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وعن حمزةَ بنِ عمروٍ الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أَجِدُ بي قوةً على الصيام في السفر فهل عليَّ جناح؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هي رخصةٌ من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه» [أخرجه مسلم].

و المريض الذي يَشُقُّ عليه الصوم بسبب المرض، أو يحتاجُ إلى تناول علاج، فإنه يجوز له أن يفطر، بل قد يجب إذا ترتب على صيامه إِلْحَاقُ ضَرَرٍ به ويقضي ما أفطر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ومثله في الحكم الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما فإنهما في حكم المريض.

والعاجز عن الصيام؛ كالشيخ الكبير، والمريض مرضاً لا يُرْجَى بُرْؤُهُ كمن يحتاج إلى أخذِ علاجٍ في النهارِ طِيْلَةَ حياته. فهذا لا يجبُ عليه الصوم، ولا يستطيعُ القضاء، وإنما يجب عليه: أن يطعم مكان كلَّ يومٍ مسكيناً.

فعن عطاء ـ رحمه الله ـ سمع ابن عباس رضي الله عنهما قارئاً يقرأ : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكيناً» [أخرجه البخاري].

وهناك شروطٌ معنويةٌ يجب مراعاتُها والأخذُ بها، فبها يزكو الصوم ويعلو، من ذلك اجتنابُ الخمسِ الخصال التي وَرَدَ أنها تُفْطِرُ الصَّائِمَ إن لم يفطر بها في الحسِّ أفطر بها في المعنى.

خمس يفطرن الصائم «الكذبُ والغيبةُ والنميمةُ واليمينُ الكاذبه، والنظرُ بشهوه».

فيجب غض البصر، عما لا يحل إليه النظر، فالنظرةُ سهمٌ مسموم، من سهام إبليس المرجوم، من تركها خوفاً من ربه، آتاه الله عزوجل ايماناً يَجِدُ حلاوتَهُ في قلبه، كما يجب حفظ اللسان، عن الكذب والغيبة والنميمة والبهتان، وعن كل ما يغضب الرحمن،

وَلْيُشْغِلْهُ بذكر الله وتلاوة القرآن، وما يحرمُ النطقُ به يحرم الاستماعُ إليه، فالمغتابُ والمستمِعُ شريكانِ في الإثم.

كما يجبُ كفُّ الجوارح، عن كلِّ فعلٍ جارح، حذارِ حذارِ من الوقوع في الآثام، ولاسِيَّما اكل الحرام، وإذا كان من آداب الصيام أن يأكل من الحلال قَوَامَا، فكيف يسوغُ أن يأكل حراما.

وطاعةٌ ممن حَرَاماً يأكلُ　　مثلَ البناءِ فَوْقَ مَوْجٍ يُجْعَلُ

قال بعضُ السلف إذا صمتَ فانظر على أيِّ شيءٍ تُفْطِر، أي تَحَرَّ أن يكون فطرُكَ على حلالٍ لاشبهةَ فيه.

أصومُ عن حلالٍ ثم فِطْرٌ　　على سُحْتٍ فَمَا جَدْوَى الصِّيَامِ

وهل يُجْدِي صيامٌ أو صلاةٌ　　إذا كان الغذاءُ مِنَ الْحرامِ

أَلَا لاَبُدَّ مِنْ وَرَعٍ يقينًا　　يَقِينَا مِنْ مُبَاشَرَةِ الْأَثَامِ

وَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِمَنْ تَغَذَّى　　بِسُحْتٍ مِنْ شرابٍ أو طعامِ

اللهـم علمنا ما ينفعنـا، وانفعنا بمـا علمتنـا، واجعلنـا هداة مهتدين، علماء عاملين، ومن الذين يستمعونَ القولَ فيتبعو ن أحسنه، آمين اللهـم آمين.

*　　*　　*

مدرسة الصيام

الحمدلله الحكيم العليم، الذي أكرمنا بالعلمِ والتعليم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم، والصلاة والسلام على من بعثه الله مُعَلِّمًا، ولمكارمِ الأخلاقِ مُتَمِّمًا، وهدانا به إلى النهج القويم، وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم.. صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وصحبه أكمل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

إنَّ الصيامَ مدرسةٌ تربويه، عِلمية وعَملية، يتعلم فيها الصائم الكثير والكثير من الأخلاق الفاضلة، وَالْمُثُلَ العليا، طيلة ثلاثين يوما يتلقى الصائم في مدرسة الصيام دروساً تربوية، عامةً وخاصة، فما عليه إلا ان يَفْقَهَ هذه الدروس، التي تزكو بها النفوس، وليتحلّ بها في كلِّ الأحيان، في رمضان وغير رمضان، حتى يَعْرِفَ نفسَهُ

وَيُعْرَفَ عند غيره أنه من خِرِّيجِي مدرسة الصيام، التي منهجها خيرُ الكلام، وعميدها سيدنا محمدٌ عليه افضل الصلاة والسلام، وأساتذتُها من الصحابةِ الكرام، والعلماءِ الأعلام، وطَّلابُها أُمَّةُ الإسلام.

رمضانُ مدرسةُ الصيامِ منهاجُهـا خيرُ الكلامِ

وعميدُها ازكى الورى بدرُ الهدى هادِي الأنامِ

يُلْقِي الدروسَ بها أساتذةٌ مِنَ الصحبِ الكرامِ

للفائزينَ جوائزٌ مِنْ ربهم دَارُ السَّلامِ

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

إنَّ من أهم الدروس التي يتلقاها الصائم في مدرسة الصيام «مراقبة الله تعالى في السر والإعلان، وبذلك يتحقق بمفهوم الإحسان»، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالصائم يَدَعُ طعامه وشرابه وشهوته إختياراً لا اضطراراً، طوعاً لا كرهاً، كان بإمكانه ان يتناول من الفجر إلى الغروب، ماشاء من لذيذٍ

المطعومِ والمشروب، ثم يخرجُ إلى الناس فيوهمهم بأنه صائم، فلا يخشى منهم لومةَ لائِم، فقد صدَّقوهُ فيما أبداه، وَمَادَرَوْا أَنَّهُ سَاهٍ لَاه، وأنه ممن يقولُ فيهم من يعلمُ سِرَّ العبد ونجواه، ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾.

إن الصيام يُقَوِّي في الصائم مَلَكَةَ المراقبة، فإذا خلا بما تتوق إليه نفسُهُ من المآرِب، وشهيّ المطاعم والمشارب، لم تمتدَّ إليها عيناه، وانقبضتْ عنها يداه، طاعة لمولاه، الذي يعلم سره ونجواه، يعلم أن الله مطلع عليه، جاعلاً نصب عينيه، حين يقدم على كل عملٍ صغيرٍ أو كبير ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

يقولُ لنفسِه، في جهرِهِ وهمسِه:

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظُلمةٍ   والنفسُ داعيةٌ إلى العصيانِ

فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإلهِ وَقُلْ لها   إنَّ الذي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي

فَيَسْتَحِقُّ بذلك ماوعده به مولاه العلي، في قوله إلا الصيام فإنه لي، يدع طعامه وشرابه من أجلي.

هنيئاً له ما أطيب مآبه، عندما يلقى ربَّهُ فيوفيه حسابه، والله عنده حسنُ الثواب، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾.

ومن الدروس المستفاده، في شهر العباده، تنميةُ مَلَكَةِ قُوَّةِ الْإِرَادَه، فالصائمُ يكبحُ جِمَاحَ شهوتِه، ويتغلَّبُ على نفسه بإيمانِهِ لا بقوته، يخالفُ هواها ولا ينقاد لها إلى ما تُحب، حتى إذا قضى ما يَجِب، وَكَبَّرَ المؤذنُ لصلاة المغرب، يكونُ قد انتصر على نفسه، وتبقى حلاوةُ النصرِ في ذاكرتِه، يتذوق حلاوتها كلما دعته نفسه إلى فعل ما لا يحل فعله فيمتنع عنه، فقد تعلم في مدرسة الصيام، كيف يجاهد نفسه ويخالف هواه، متذكراً حلاوةَ الانتصار على النفس والشيطان، فيستصحب قوةَ الإرادة في مجاهدة النفس ومخالفة هواها في كل آن.

جَاهِـدِ الـنَّفْسَ وَخَـالِفْ لِهِـــوَاهَا بِالرِّيَاضَـــهْ
فَعَسَــــاهَا أَنْ تُـــوَالِفْ إِنْ رَأَتْ مِنْـكَ الْفَضَاضَـهْ

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ومـن الـدروس المهمـه، التـي تعـم بخيرهـا جميـعَ الأمـة تَـذَكُّرُ الصَّـائم الفقـراء والمسـاكين، مـن إخوانـه المسلمين، الذين يعانون ألـم الجوع كُلَّ العامِ أو أكثره، لا يجدون ما يَسُدُّونَ به رَمَقَهُم، وَيُقِيمُونَ بِهِ أَوَدَهُمْ فإذا مَـا مَسَّـهُ الجـوع، لان الطعـام عنـه ممنـوع، تَـذَكَّرَ أولئـك الجياع، ومـا يُعَانُونَ من اَلَمٍ وَالْتِيَاع، وَتَـذَكَّرَ أَنَّ الله جعـل لهـم فـي مالِـهِ ذلـك الحـق المعلـوم، للسـائلِ والمحـروم، فَبَـادَرَ بإيصـالِهِ إلـى أصـحابِهِ لِيُبْرِءَ منـه ذِمَّتَـهُ وَيَسْـلَمَ مِـنْ حِسَابِهِ، وقد قيل للكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسـف الصـديق لِـمَ تُكْثِـرُ مـن الصـيام وبيـدكَ خـزائنُ الأرض قـال حتَّـى لا أنسـى الجـائعين ألا فَلْـيَعْلَمِ الـذينَ يَبيتُونَ مُتْخَمِينَ مِنْ ألوانِ الأطعمةِ والأشربة، ثـم يُلْقُـونَ

بالفائضِ منها في براميل المخلفات، أنهم مسئولونَ عن إخوانٍ لهم يبيتونَ من الجوعِ في اَرَق، لأنهم لايجدون ما يَسُدُّونَ بِهِ الرَّمَق، فَيَصْدُقُ عليهم قولُ من قال، في وصفِ هذا الحال:

تَنَاوَلَ أَلْوانَ الطعامِ وَبَعْدَ أَنْ
تَضَلَّعَ أَلْقَى فِي البراميلِ مَا اَبْقَى
بَرَامِيلُ غُصَّتْ بالطعامِ وإنَّها
على سَعَةٍ فيها تَفِيضُ بِمَا يُلْقَى
وَثَمَّةَ بَينَ الناسِ مَنْ باتَ سَاهِراً
وليس بذي عِشْقٍ وَلَا عَرَفَ الْعِشْقَا
نَفَى النَّوْمَ عن عينيهِ جوعٌ مُؤَرِّقٌ
فيارَبِّ لاَ نَشْقَى بِمَا فَعَلَ الْحَمْقَى

ومن الدروس التي يستفيدها الصُّوام، في مدرسة الصيام، إكتسابُ أخلاقٍ كريمة، وصفاتٍ حسنة، مثل

الحلم وكظم الغيظ وكف الأذى، ففي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصومُ جُنَّه فإذا كان يومَ صومِ أحدِكم فلا يَرَفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إني صائم» [رواه البخاري ومسلم].

كذالك يتعلمُ الصائم في مدرسةِ الصيام الصبرَ بجميع أقسامه، صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصيته، وصبرٌ على المصائبِ والآلام، ومنها أَلَمُ الجوعِ والعطش، وهذه أنواع الصبر الثلاثة نتعلمها كلهافي مدرسة الصيام.

ونتعلمُ في مدرسة الصيام أَهَمِّيةَ الْوِحْدَةِ بين المسلمين، فالصومُ مظهرٌ لوحدةِ المسلمين، واجتماعِ كلمتهم، ذلك أَنَّ الصيام شعيرةٌ ظاهرةٌ من شعائر الإسلام، حيثُ يُمْسِكُونَ عن المفطرات في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، فيشعرونَ أنهم أُمَّةٌ واحدة، وإن تباعدت أقطارُهم، واختلفتْ لغاتُهم، فالإسلام يجمعُهم برباطِهِ المتين، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

اللهم اجعلنا ممن صام وقام، واستفاد من آثار الصيام والقيام، اللهم علِّمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا من الذين يستمعونَ القول فيتبعون أحسنه، يامن يعلم سر القول وعلنه، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وحزبك المفلحين، وصلَّى الله وسلَّم على سيِّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وَآخِرُ دعوانا أَنِ الحمدُلله رب العالمين.

*　　*　　*

هذا الدرس باكمله من أوله إلى نهايته مقتبس من كتاب النصائح الدينية لإمام الدعوة والإرشاد الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ) رحمه الله آمين

سيد الشهور

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الدعوةَ إلى الهدى، والدلالةَ على الخير، والنصيحةَ للمسلمين، من أفضلِ القربات، وأرفع الدرجات، وَأَهَمِّ المهمات في الدين، وذلك سبيل أنبياء الله المرسلين، وأوليائِه الصالحين، والعلماءِ العالمين الراسخين في العلم واليقين.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين، والحبيب المكين، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد السابقين واللاحقين، وعلى آله وأصحابه المخلصين الصادقين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

واعلموا معاشر الإخوان - يَسَّرَنَا الله وإياكم لليسرى، وجنبنا العسرى، وغفر لنا في الآخرة والأولى -: أنَّ شهر رمضان شهرٌ عظيم القدر والمنزلة عند الله وعند رسوله، وهو سيد الشهور. فرض الله صيامه على المسلمين وكتبه عليهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]. وفيه - أعني: شهر رمضان - أنزل الله كتابه، وجعل من لياليه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. والألف شهر أكثر من ثلاث وثمانين سنة. فتأمل حساب ذلك، وتفكر في نفسك أي ليلة هذه الليلة! التي صارت عند الله خيراً وأفضل من هذه المدة الطويلة.

وقال الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾ [القدر:١-٥].

فعرفنا سبحانه أنه أنزل القرآن في رمضان، ثم إنه أنزله في ليلة القدر منه بالخصوص. وفي فضل شهر رمضان قال رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- : «رمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة مكفراتٌ لما بينهن إذا اجْتُنِبَتِ الْكبائر».

وقال عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان: «هو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة»، وقال فيه: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار». وإن الله تعالى ينظر في أول ليلة منه إلى المسلمين، ومن نظر إليه لم يعذبه، ويغفر لهم في آخر ليلة منه.وقال جبريل لرسول الله عليهما السلام: «من أدرك رمضان فلم يغفر له أبعده الله، قل آمين. فقال رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- :آمين» الحديث.

قلت: وذلك لتيسُّر أسباب المغفرة في رمضان أكثر منها في غيره من الشهور، فليس يُحْرَمُ المغفرة فيه إلا من تفاحش إعراضه عن الله، وعظمت جراءته على الله تعالى فاستوجب البعدوالطرد عن باب الله.نسأل الله العافيةمن سخطه وعذابه وجميع بلائه.

وقد ورد أن أبواب السماء وأبواب الجنة تُفتح كلها في رمضان، وتُغلق أبواب النيران، وَتُقَيَّدُ مردة الشياطين ويذهب بهم إلى البحار كي لا يفسدوا على المسلمين صيامهم وقيامهم، وينادي منادٍ كل ليلة من رمضان: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

وورد أيضاً: «أن من تقرَّب إلى الله تعالى في رمضان بفريضة عدلت له سبعين فريضة في غيره. ومن تقرَّب فيه بنافلة عدلت له فريضة يؤديها في غيره». فنوافل رمضان بمنزلة الفرائض في غيره من الشهور، من حيث الثواب. وفرائضه مضاعفة على الفرائض في غيره إلى سبعين ضعفاً.

وقال عليه الصلاة والسلام :((من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)).

قلتُ: والإيمان: هو التصديق بوعد الله. والاحتساب: هو الإخلاص لله. والله أعلم.

وللصائم آداب لا يكمل صيامه إلا بها. فمن أهمها:

أن يحفظ لسانه عن الكذب والغيبة، وعن الخوض فيما لا يعنيه، ويحفظ عينه وأذنه عن النظر والاستماع إلى ما لايحل له، وإلى ما يُعَدُّ فضولاً في حقه. وكذلك يحفظ بطنه عن تناول الحرام والشبهة، وخصوصاً عند الإفطار يجتهدُ جِداً أن لايفطر إلا على الحلال.

قال بعض السلف: إذا صُمْتَ فانظر على أيِّ شيءٍ تفطر، وعند من تُفْطِر؟ إشارةً إلى الحثِّ على التَّحَرِّيْ والاحتياطِ فيما يفطر عليه. وكذلك يحفظ الصائم جميعَ جوارحه عن ملابسة الآثام ثم عن الفضول، فبذلك يَتِمُّ صومُه ويزكو، وكم من صائم يُتْعِبُ نفسَهُ بالجوع والعطش، ويُرْسِلُ جَوَارِحَهُ في المعاصي فيفسد بذلك

صـومُه، ويضـيعُ بـذلك تعبُـه، كمـا قـال عليـه الصـلاة والسـلام: «كـم مـن صـائمٍ ليس لـه مـن صيامِهِ إلا الجوع والعطش».

وتـركُ المعاصـي واجـبٌ علـى الـدوام علـى الصـائم وعلى المفطر، غير أَنَّ الصائم أولى بالتحفظ، وهو عليه أوجب وآكد، فافهم.

قال عليه الصلاة والسلام: «الصـوم جُنَّةٌ، فإذا كـان يومُ صـومِ أحدِكم فلا يَرْفُثْ ولا يَفْسُقْ ولا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْـرُؤٌ شَـاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَـهُ فَلْيَقُـلْ إنـي صـائم»، ومـن آداب الصـائم: أن لا يكثـر النـوم بالنهـار، ولا يكثـر الأكل بالليل، وليقتصِدْ في ذلك حتى يَجِدَ مَسَّ الجوعِ والعطش، فتتهذب نفسُه، وتضعف شهوته، ويستنير قلبه، وذلك سرُّ الصوم ومقصودُه، وليجانبْ الصائم الرفاهية، والإكثارَ من تناول الشهوات واللذات كما ذكرناه. وَأَقَلُّ ذلك أن تكونَ عادتُهُ من التَّرَفُّهِ واحدةً في رمضان وغيرِه. وهـذا أَقَلُّ مـا ينبغـي. وإلا فللرياضـةِ ومجانبـةِ شـهواتِ

النفس أَثَرٌ كبيرٌ في تنويرِ القلب، وَتُطْلَبُ بالخصوصِ في رمضان. وأمَّا الذين لهم في رمضان عاداتٌ من الترفهات والشهوات التي لا يعتادونها في غير رمضان، فَغُرُوْرٌ غَرَّهُمْ بِهِ الشيطان، حسداً منه لهم، حتى لا يجدوا بركات صومهم، ولا تظهرَ عليهم آثاره من الأنوار والمكاشفات، و الخشوع لله تعالى والانكسار بين يديه، والتلذذ بمناجاته، وتلاوة كتابه وَذِكْرِه.

وكانت عادة السلف - رحمة الله عليهم -: التقليل من العادات والشهوات، والاستكثار من الأعمال الصالحات في رمضان بالخصوص، وإن كان ذلك معروفاً من سِيَرِهِمْ في جميع الأوقات.

ومن آدابه: أن لا يكثر التشاغل بأمور الدنيا في شهر رمضان، بل يتفرغُ عنها لعبادة الله وذِكْرِهِ ما أمكنه، ولا يدخل في شيء من أشغال الدنيا إلا إن كان ضرورياً في حقه، أو في حقِّ من يلزمه القيام به من العيال ونحوهم، وذلك لأن شهر رمضان في الشهور بمنزلة يوم الجمعة

في الأيام؛ فينبغي للمؤمن أن يجعلَ يوم جمعته وشهره هذا لآخرته خصوصاً.

ومن السنة: تعجيل الفطور، وأن يكون على التمر، فإن لم يجده فعلى الماء.وكان عليه الصلاة والسلام يفطر قبل أن يصلي المغرب ويقول: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور» فتأخير السحور من السنة أيضاً.

وينبغي للصائم أن يُقَلِّلَ من الأكل ولا يستكثر منه، وذلك حتى يظهر عليه أثر الصوم، ويحظى بسره ومقصوده الذي هو تأديب النفس، وتضعيف شهواتها، فإن للجوع وخلو المعدة أثراً عظيماً في تنوير القلب، ونشاط الجوارح في العبادة. وَالشِّبَعُ أصلُ القسوةِ والغفلة، والكسل عن الطاعة، قال عليه الصلاة والسلام: «مَا مَلَأَ ابنُ آدم وِعَاءً شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه».

وقال بعضهم: «إذا شَبِعَتِ البطنُ جاعتْ جميع الجوارح، وإذا جاعت البطن شبعت جميع الجوارح».: وجوع الجوارح عبارة عن طلبها وحرصها على شهواتها، فيشتهي اللسانُ الكلام، والعينُ النظر، والأذنُ الاستماع، وكذلك سائر الجوارح. ويكون انبعاثُها لطلبِ الفضول من شهواتِها عند امتلاء البطن. وعند خُلُوِّهِ يكون سكونُها وهدوءُها الْمُعَبَّرُبِهِ عن شِبَعِ الجوارح، وذلك مُشَاهَد، والله أعلم.

ومن المستحب المتأكد تفطير الصائمين ولو على تمرات، أو شربة من الماء، قال عليه الصلاة والسلام: «من فطَّر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، يعني: من أجر الصائم. وهذا الثواب إنما يحصل لمن فطره ولو على الماء، فَأَمَّا من أطعم الصائم من بعد فطره في بيته أو في موضعٍ آخر فلا يحصل له هذا الثواب، ولكن يحصلُ له ثوابُ الإطعام، وهو عظيم، وصلاةُ التراويح في كل ليلة من رمضان سنة

مأثورة. وعادة السلف- رحمة الله عليهم - توزيع القرآن من أوله إلى آخره عليها، يقرؤون منه في كل ليلة ما تيسر، ويجعلون الختم في بعض الليالي من آخر الشهر، فمن أمكنه أن يقتدي بهم في ذلك فليشمر ولا يقصر، فإن الخير غنيمة ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

ومن لم يتفق له الاقتداء بهم في ذلك فليحذر من التخفيف الْمُفْرِطِ الذي يعتاده كثيرٌ من الجهلة في صلاتهم للتراويح، حتى ربما يقعون بسببه في الإخلال بشيء من الواجبات، مثل: ترك الطمأنينة في الركوع والسجود، وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذي لاَبُدَّ منه بسبب العجلة، فيصير أحدهم عند الله تعالى لا هو صلى ففاز بالثواب، ولا هو ترك فاعترف بالتقصير وَسَلِمَ من الإعجاب، يُبْطِلُ على العامل منهم عمله مع فعله للعمل. فاحذروا من ذلك، وتنبهوا له معاشر الإخوان. وإذا صليتم التراويح أو غيرها من الصلوات فأتموا القيام والقراءة، والركوع والسجود، والخشوع والحضور،

وسائر الأركان والآداب. ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطاناً، فإنه ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ فكونوا منهم. ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾؛ فلا تكونوا منهم.

واستكثروا من أعمالِ البر، وفعل الخير ما استطعتم في شهر رمضان، لفضلِ أوقاتِهِ وحصولِ المضاعفةِ فيه، وكثرة الثواب وتيسر العمل بالخيرات. فأَمَّا المضاعفة فلِمَا ورد: أنَّ النافلة في رمضان يعدل ثوابها ثواب الفريضة، والفريضةُ فيه بسبعين فريضةً في غيره. فمن يسمحُ بفوات هذا الربح ويكسل عن اغتنام هذه التجارة التي لا تبور!

وأما تيسُّر العمل بالخير في رمضان فَلِأَنَّ النفسَ الأمارةَ بالسوء مسجونةٌ بالجوع والعطش، والشياطين الْمُثَبِّطِينَ عن الخير الْمُعَوِّقِينَ عَنْهُ مُصَفَّدُونَ لا يستطيعونَ الفساد ولا يتمكنونَ منه، فلم يبقَ بعد ذلك عن الخيرات مانِع، ولا من دونها حاجز إلا من غَلَبَ عليه الشقاء،

واستولى عليه الخذلان والعياذ بالله! فيكون رمضانُ وغيرُه عنده سواء في الغفلةِ عن الله، بل ربما يكون في رمضان أعظم إعراضاً عن ربِّه وأكثر غفلة.

وكما ينبغي للمؤمن أن يستكثر من الأعمالِ الصالحة في هذا الشهر ويسارع فيها، كذلك ينبغي له أن يُبَالِغَ في التَّحَرُّزِ عن المخالفات، ويكون في نهاية الْبُعْدِ عنها، فإن المعاصي في الأوقات الفاضلة يكون إثمُها عظيماً ووزرُها كثيراً، نَظِيرَ كثرةِ الثواب على الأعمال الصالحة الواقعة في الأوقات الفاضلة.

وقد ورد: أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهدُ في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وكان يجتهد في العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها من رمضان. قلت: وذلك لفضلِ العشرِ الْأَوَاخِرِ على غيرها من الشهر، وقد أَمَرَ عليه الصلاة والسلام بِالْتِمَاسِ ليلةِ القدر فيها.

قال العلماء - رحمهم الله تعالى -: وهي في الأوتار منها أرجى.

وبالجملة: فينبغي للمؤمنِ الْفَطِنِ أن يكونَ في كل ليلةٍ من ليالي رمضان مستعداً لليلة القدر ومستيقظاً لها، ومداوماً على العمل الصالح، فإن المقصود الذي عليه المعول: أن تأتي عليه ليلة القدر وهو مستغرقٌ بالعمل الصالح، ذاكراً لله تعالى، غير غافل ولا سَاهٍ وَلَا لَاه، وسواء بعد ذلك رأى ليلة القدر أو لم يَرَهُا، فإن العاملَ فيها بطاعةِ الله يكونُ عملُهُ فيها خيراً من عمله في ألفِ شهر عَلِمَ بها أو لم يعلم.

* * *

وينبغي الإكثارُ من الصدقة والمواساة، وَتَفَقُّدُ الْأرامِلِ والأيتام في هذا الشهر الشريف، فقد ورد «أنه كان عليه الصلاة والسلام أَجْوَدَ بالخير من الرِّيحِ الْمُرْسَلَة، وَأَنَّهُ أَجْوَدُ ما يكونُ في رمضان».

وينبغي الإكثارُ فيه من تلاوةِ القرآن ومدارستِه، وَمِنْ الْاعتكافِ في المساجد ولا سيما في العشر الأواخر، إِذْ كان عليه الصلاة والسلام يعتكفُها.

ثُـمَّ أَعْلَـمْ أَنَّ شـهر رمضـان شـهر مبـارك علـى المسلمين، وفي اليوم السَّابعِ عشر منه كانت «وقعة بدر» وهو يومُ الفرقان يوم التقى الجمعان.

وفـي رمضـان كـان «فـتحُ مكـة المشـرفة» ودخـول النـاس في ديـن الله أفواجاً. وفيـه «ليلـة القـدر» التـي هـي خيرٌ من ألف شهر، وَمَنْ أَدْرَكَهَا وَعَمِلَ فيها بطاعة الله اثْنَتَي عَشْرَةَ سنة مثلاً كان بِمَثَابَةِ مَنْ عاش في طاعة الله ألف سنة، فهل شيءٌ أعظمَ من ذلك وأجلُّ قدراً، وكم في رمضان من البركات والخيرات! فطوبى لمن عرف قـدره، واغتـنم أوقاتِـهِ وسـاعاتِه، واسـتغرق لياليـه وأيامـه بفعل ما يُقَرِّبُهُ من ربِّه، وذلك فضلُ الله يؤتيهِ من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

*　*　*

القرآن العظيم

الحمدُلله الذي أنزل القرآن هدىً ورحمة، وبعث إلينا نَبِيَّهُ محمداً صلى الله عليه سلم يعلمُنا الكتابَ والحكمه، فما أجلَّها من مِنَّةٍ وما أعظمها من نِعمه.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

اللهم صلِّ وسلِّم، وباركْ وكرِّم، في كل لحظةٍ أبدا، على من أرسلتَهُ بالحقِّ والهدى، وأنزلتَ عليه القرآنَ معجزةً خالدةً على طُولِ الْمدى، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله نجوم الإِهتداء، ومن سار على دربهم وَبِهِمُ اقْتَدَى. ربَّنا آتِنا من لدنك رحمةً وَهَيِّءْ لنا من أمرِنا رشدا. وبعد

إن القرآنَ العظيم هو كتابُ الله المنزل، على نبيه

المرسـل، أنزلـه الله تعـالى لهدايـةِ البشـرية جَمْعَـا، إنـه حبلُ الله المتين، والـذكرُ الحكيم، والصـراطُ المسـتقيم، مـن قَـالَ بـه صـدق، ومـن عَمِـلَ بـه أُجِـر، ومـن حَكَـمَ بـه عدل، وَمَنِ ابْتَغَى الهدى في غيره ضَلّ، هو الحقُّ ليس بالهزل، لا يشبعُ منه العلمـاء، ولا تزيغُ به الأهـواء، وَلَا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّد.

كتـابٌ حكـيمٌ مَـا أُحَيْـلَى سَمَاعَـهُ

بِـهِ نهتـدي مـن كـلِّ جهـلٍ وحيـرةِ

شفـــاءٌ لنـــا مـــن كـــل داءٍ وإنَّـــهُ

دليـلٌ إلـى نهـجِ الطريـقِ المنيـرةِ

هُوَ العروةُ الوثقى بهِ الْخوفُ يُتَّقَى

هـو النـورُ وَضَّـاءٌ كشـمسِ الظهيـرةِ

فَنَـوِّرْ بِـهِ يَـارَبِّ قلبـي وقـالبي

وسـمعِي وَنَـوِّرْ مقلتـي وبصـيرتي

إنَّ القلـوبَ تصـدأُ كمـا يصـدأ الحديـد، وجلاؤُهـا تـلاوةُ القـرآن المجيـد، وإنهـا لَتَمْـرَضُ كالبـدن السـقيم، وشـفاؤُها بالآيـاتِ والـذكِرِ الحكيم، إنـه الْمَعِينُ الـذي لا يَنْضَـبُ، والنـورُ الـذي لا يَأْفَـل، إنـه المعجـزةُ الخالـدة، الطِّرِيفةُ التالـدة، أَحْيَـا الله بِـهِ أُمَّةً كانـت في عِدَادِ الْمَـوْتَى فأصبحوا قادةَ الأمم، بعد أن كانوا رِعَاءَ الإبلِ والغنم.

بِـهِ اللهُ أَحْيَـا أُمَّـةً بعـدَ موتِهـا		بِهِ اعْتَصَمُوا كانوا به قَادَةَ الأمَمْ

وَمِنْ قبلِهِ كانوا على شَـرِّ حالـةٍ		وكانوا رُعَاةً لِلْجِمَـالِ وَلِلْغَنَمْ

فَقَادُوا شُعُوبَ الْأَرْضِ لَمَّا تَمَسَّكُوا		بِهِ وَبِمَا يَدْعُـو إليـهِ مِـنَ الْقِيَمْ

اَيَـا أمـةَ الْإسـلامِ فَاعْتَصِـمُوا بِـهِ		زَكَا وَسَمَا أَعْلَى الذُّرى مَنْ بِهِ اعْتَصَمْ

إنَّ تلاوةَ القرآن من أفضل الأعمال، المقربة إلى الله المتعـال، إنهـا عمـلٌ مبرور، تَتَضـاعَفُ فيـه الْأُجـور، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾.

إنَّ لقارئ القرآن بكل حرفٍ يقرأه عشر حسنات قال صلى الله عليه وسلم: «لا أقول الم حرف ولكن أَلِفٌ حرف وَلَامٌ حرف ومَيِمٌ حرف».

فكم حرفٍ يا ترى في الصفحةِ الواحدة، وكم حسناتٍ ستكون لمن يقرأُها، فكيف إذا كانت صفحاتٍ وصفحات، أَلاَ إنَّ الربحَ كبير، والخيرَ كثير، والاجرَ وفير، ولكن أين المسارعون إلى الخيرات، أين المتسابقون في ميدان الأعمال الصالحات، أليس جديرٌ بك أيها المسلم أن تجعلَ لك حِزباً من القرآن العظيم، تقرأه في كل يوم وليلة، حتى تختم القرآن في كل ثلاث ليال، وإن لم تستطع ففي كل اسبوع، وإن لم تستطع ففي كل شهرٍ مرةً واحدة، وهذا أقلُّ القليل، وليس وَرَاءَ ذلك إلا الحرمان من الأجر، والوقوع في الجفاءِ والهجر، المشار إليه في قوله تعالى تحذيراً وتذكيراً، ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾.

فَإِيـاكَ ثـم إيـاك أن تُفَـرِّطَ فـي هـذا الـربح الـوافر، والخيـر المتكاثر.

جَـالِسْ كتـاب الله واحلـل برحابِـه، فإنـه يـأتي يـوم القيامـه شـفيعا لأصـحابِه، ففـي ذلـك اليـوم العصـيب، والموقـف الرهيـب، يـأتي القـرآن العظـيم إلـى أهليـه، ويشفع لِقَارِئِهِ فَيُشَفَّعُ فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: ((إِقـرؤا القـرآن فإنـه يـأتي يـوم القيامـة شفيعـاً لأصحابه)).

وإذا قـرأت القـرآنَ فلـتكن قِراءتُـكَ بِتَـدَبُّرٍ لآياتِـه، وَتَأَمُّـلٍ لأمثالِـهِ، وعظاتِـه، والعمـلِ بـأوامِره، واجتنـاب زواجرِه؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.

أَلَا وإنَّ تِلاوتَـــهُ حـــق تلاوتِـــهِ العمـــلُ بمـــا فيـــه، والأِعتصامُ به، والإِحتكامُ إليه، وإقامةُ حروفهِ وحدودهِ، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

اللهـم اجعلنـا مـن أهـل القـرآن العظـيم الـذين هـم أهلك وخاصتك من خلقك اللهم نَوِّرْ بكتابك أبصارنا وبصـائرنا، وَحَسِّـنْ بـه علانيتنـا وسـرائرنا، اللهـم اجعلنـا ممـن يُحِـلُّ حلالـه، ويحـرم حرامـه، ويـؤمن بمتشـابهه، ويقف عند عجائبه، وارزقنا تلاوته آنآء الليل وأطراف النهار، ولا تُفَرِّقْ بيننا وبينه حتى تُوْرِدَنَا مَوْرِدَهُ في جنات النعيم، ياعليم ياحكيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*   *   *

لعلكم تتقون

الحمدلله الذي وَصَّى عِبَادَهُ بالتقوى، وجعلها للنجاةِ من النار سَبَباً أَقْوَى، والصَّلاة والسَّلامُ على إمام المتقين، الذي بَلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وَعَبَدَ رَبَّهُ حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه الصابرين الصادقين، القانتين الْمُنْفِقِين، وبعدُ فإنَّ من أهم الدروسِ المستفادةِ من الصيام، تقوى الله الملك العلاَّم، القدوس السلام. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

إن تقوى الله سببٌ موصلٌ إلى كل خير، وحصنٌ حصينٌ من كل شرٍ وضير، إنها وصية الله لجميع الخلائق، السابق منهم واللاحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟﴾.

إِنَّ التقوى أيها الناس، هِيَ خيرُ زادٍ وخيرُ لباس، أَمَّا كونُها خيرُ زاد فَلِأَنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ألا تُصغي إلى قولِ المنادي تـزودْ بـالتقى هِـيَ خـير زادِ

جِماعُ الخيرِ تقوى الله منها تـزودْ عَـلَّ تحظـى بـالمرادِ

مِنَ العجب الْعُجَاب تُعِدُّ زاداً لِمُنْتَجَـعٍ إلـى إِحْـدَى الـبلادِ

وعن دنياك ترحلُ عن قريبٍ فـأين الـزادُ زادُكَ للمعـادِ

قـال تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وأما كونها خير لباس فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

وخيرُ لباسِ المرءِ ثوبٌ مِنَ التُّقَى لِبَـاسُ التقـى والله خـيرُ لبـاسِ

ومن يتجمـلْ بالثيابِ بلا تُقَى فعارٍ على التحقيقِ ليس بكاسي

مِنَ النَّاسِ من يُعنى بِرَوْنَقِ مَلْبَسٍ وَمَاهُـمْ إذا فَتَّشْـتَهُمْ بِأُنَـاسِ

جَمَالُ الفتى واللهِ بالعلِم والتُّقى   هُمَا لِلْعُلاَ والفوزِ خيرُ أساسِ

ومـامن رسـول أرسـله الله إلا وأمـر قومـه بـالتقوى، حَثَّهُمْ عليها، ودعاهم إليها، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوْصِي أُمُّتَهُ بالتقوى وَيَحُثُّهمْ عليها، وَيُرُغِّبُهُمْ فيها، وَمِنْ ذلك قَوْلُهُ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: «إِتَّقِ الله حَيْثُمَا كنتَ وَأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُهَا وخالقِ النَّاس بِخُلُق حَسَن».

والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرة، تفيضُ بها كتبُ السُّنَّةِ الْمنيرة.

وعلى هذا المسلكِ دَرَجَ السَّلَفُ الصالح رضوان الله عليهم، ومن ذلك قولُ عمر بن عبد العزيز فيما كتبه إلى بعضِ عُمَّالِهِ:

(أُوصيك بتقوى الله التي لا يقبلُ غيرها، ولا يرحمُ إلا أهلها، ولا يُثِيبُ إلا عليها، فإنَّ الواعظين بها كثير،

والعاملين بها قليل. جعلنا الله وإياك من المتقين).

إذن. ماهي التقوى التي حَظِيَتْ بهذه المنزلة السَّاميَة، والمكانةِ العالية. لقد أُثِرَ عن السلف الصالح تعريفاتٌ كثيرة للتقوى، وهي وإن اختلفت لفظاً ووزناً، فإنها مُتَّفِقَةٌ في الْجوهرِ والمعنى. من ذلك قولُ بعضِهم: تقوى الله أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكرَ فلا يُكفر.

وقال بعضهم: تقوى الله تعالى أَلَّا يراك حيثُ نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: التقوى الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والإستعدادُ ليوم الرحيل.

ووصف المتقين بقوله: هُمْ أهلُ الفضل، منطقهم صواب، وملبسُهم في اقتصاد، ومشيُهم في تواضع، غضوا أبصارهم عن الحرام، ووقفوا أسماعهم على ما يُستفاد. نَزَلَتْ أنفسُهم منهم في البلاء كما نزلت في

الرخاء، عَظُمَ الخالقُ في أنفسِهم فَصَغُرَ ما دُوْنَهُ في أعينِهم، قلوبُهم محزونة، شرورُهم مأمونة، مطالبُهم في هذه الدنيا خفيفة، وأنفسهم عما فيها عفيفة، صبروا أياما قصيرة فأعقبهم راحة طويلة، يَصُفُّونَ بالليل أقدامهم، يرتلون قرآنهم، جَاثُونَ على الركب، يطلبون النجاةَ من العطب، لا يرضون من الأعمال الصالحة بالقليل، ولا يستكثرون منها الكثير، من ربِّهم وَجِلُون، ومن أعمالِهم مُشْفِقُون، يَتَجَمَّلُونَ فِي الفاقة، ويصبرون في الشِّدَة، ويشكرونَ على النِّعمة، قريبٌ أملُهم، الخيرُ منهم مأمول، والشرُّ منهم مأمون.

وَجِمَاعُ القول في بيانِ التقوى، أنها امتثالُ ما أَمَرَ الله به واجتناب ما نهى عنه، فإذا قمت بالأوامر، وابتعدت عن الزواجر، كنت من المتقين، وانتظمت في سِلْكِ عباد الله الصالحين.

هِيَ التقوى امتثالٌ للأوامرْ وتركٌ للنواهي والزواجرْ

وَصِـيَّةُ ربنـا للخلـق جمعـاً بها وَصَّى الأوائلَ والأواخِرْ
عليكم بالتقى في كل حـالٍ أَلَا إن التقـى أسـنى الذَّخَـائِرْ
فطـوبى ثـم طـوبى ثـم طـوبى لذي التقوى فمن أهل البشائر

هـذه هـي التقـوى إذن فمـا هـي خيراتُهـا، ومـا هـي ثمراتهـا؟ إنَّ من خيراتهـا النافعة، وثمراتها اليانِعة، الخيرُ الكثيـر، والـرزقُ الـوفير، وتيسـيرُ كـلِّ عسـير ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾.

ومـن ثمراتهـا العلـوم اللدنيـة، والمعيـة الإلهيـة، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ومـن كان الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل.

أما ثمراتها في الآخرة فَحَدِّثْ ولا حرج، النجاةُ من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، في جنات النعيم، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

يـا أيهـا الـناسُ اتقـوا مَـــنِ اتَّقَــى الله نجـا
ويجعـــــلُ الله لــــه مـن كـل ضـيقٍ مخرجـا
ويجعـــــلُ الله لــــه مِـنْ كُـلِّ هَـمٍّ فَــــرَجَا
وفــاز فـي الــدنيا وفـي أُخْــرَاهُ نَــالَ الْمُرْتَجَــى

اللهمَّ اهْدِنَا بهداك، واجعلنا ممن يتقيك ويخشاك، ويسارعُ في رضاك، وَلَا تُوَلِّنَا وَلِيًّا سِواك، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

* * *

ولعلكم تشكرون

الحمدلله الذي يذكرُ من ذكره، بالرحمة والمغفرة، ويزيدُ من شكره، بالخير وَالْمَيْسَرَة، فهنيئاً لمن وفقه الله للخير وله يَسَّرُه، فالعملُ الصالح علامة السعادة في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك وكرم على من أرسله الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، أفضل من صبر وشكر، وقدر فغفر، صلى الله عليه وآله وصحبه، وتابعيه وحزبه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

أيها الأحباب الكرام لقد ورد في آيات الصيام، قول الملك العلام، ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

تأملوا كيف ختم آية الصيام، بطلب الشكر على مَا مَنَّ به مِنْ إنعام، ذلك أنَّ الصيام يلفت الإنتباه إلى بعض

النعم العظيمة التي ألفناها، وغفلنا عن شكرها، فالإنسانُ في كل يومٍ من الأيام يتغذى بألوانِ الطعام، وقد ينسى ما ينطوي تحت ذلك مِنَ الْإنعام، ولو أنه حِيل بينه وبين ذلك لَتَأَلَّمَ أَشَدَّ الْإيلام، وَلَأَدَّى به ذلك إلى تَجَرُّعِ كاسِ الْحِمَام، فإذا نوى الصيام، وأمسك عن تناول الطعام، من طلوع الفجر إلى الليل يحس بالجوع، وَيَتُوقُ إلى الطعامِ وهو عليه ممنوع، فيعرفُ قدر هذه النعمةِ العظيمة، وَالْمِنَّةِ الجسيمة، التي لم يَقْدُرْهَا حَقَّ قَدْرِهَا، ولم يُؤَدِّي وَاجِبَ شُكْرِها، وَقُلْ مثل ذلك في الماء الذي هو أَرْخَصُ موجود، وأغلى مفقود، يتناوله الإنسان، من آنٍ إلى آن، غافلٌ عن شكر هذه النعمةِ العظيمة، التي لا تُقَدَّرُ بقِيمة، فلو بلغ به الظمأ مبلغاً عظيما، ولم يجد إلى شربة الماء سبيلا، أليس يشتري كأساً من الماء بما يملكُ من ثروة؟ بلى وَإِلَّا لَبَلَغَتِ الرُّوحُ تراقِيها، وفاضتْ إلى باريها، وهكذا فإن الصيام يَلْفِتُ الإنتباه، إلى هذا الإتجاه، يلفتُ إنتباهنا إلى شكر هذه النعم التي نتناولها

بحكم العادة، ولم نشكرها الشكر الذي يُفْضِيَ بها إلى الزيادة، فَلْنَتَعَلَّمْ في مدرسةِ الصيام، هذا الدرسَ الهام، في معرفةِ النعمة وشكرِها، وتقديرِها حَقَّ قَدْرِهَا.

لقد أنعم الله علينا بنعمٍ عظيمة، وآلاءٍ جسيمة، ومن أعظمِها نعمةُ الإسلام، التي هي أعظمُ نعمةٍ ساقها الله إلينا، وَامْتَنَّ بها علينا.

نحنُ في رَوْحٍ وراحةْ وحبورٍ وَاسْتِراحَةْ
نعمةُ الإسلام أعلى نعمةٍ حَلَّتْ بِسَاحَةْ

كما امْتَنَّ علينا ببعثةِ رسولِنا الكريم، سيِّدنا محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليم، وَجَعَلَنَا مِنْ أمتهِ التي هي أكرم الأمم، إكراما له صلى الله عليه وسلم،

بشرى لنا معشر الإسلام إنَّ لنا من العنايةِ ركناً غيرَ منهدمِ
لما دعا الله داعينا لطاعتِهِ بأكرمِ الرسل كنا أكرم الأممِ

وَمِمَّا امْتَنَّ الله به علينا، وأنعم، وتفضل به وتكرم، نعمةَ العافية التي من أُوْتِيهَا فقد أُوْتِيَ خيراً كثيراً، ونعمةُ

الْأَمْنِ التي أمسى بها كَلُّ طَرْفٍ قَرِيَرا، إلى غير ذلك من النعمِ التي نعجزُ عن حصرِها، فضلاً عن القيامِ بشكرها.

تَتَــــوَالَى نِعَــمُ الله علينــا   كَمْ وَكَمْ مِنْ نعمةٍ سِيقْتَ إلينا
نعمةُ الإســلام أعلاها ومن   نعمةِ الصحةِ والأمنِ اكْتَسَيْنَا
في أَوَانِ الصيفِ نُسْقَى بارداً   وإذا جُعْـنَا أكلنا ما اشتـهينا
لـم نُـؤَدِّ عُشُرَ الْمِعْشَــارِ مِنْ   وَاجِبِ الشكرِ فأينَ الشكرُ أينا

* * *

وَلِعِظَـمِ رتبـةِ الشـكر العاليـة، وأنَّـهُ عنـد الله بمكانـة سامية، أمر الله به كُلَّ الأنام، الخاص منهم والعام، فقال تعالى لنبيه الكريم: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

وقال لموسى كليمِه، في توجيهه وتعليمِه، ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

وقال لآلِ داودَ توجيهاً وأمرا ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾.

وقـال لعبـاده المـؤمنين : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

ومـن شَـكَرَ النعمـةَ فقـد عقلهـا بعقالِهـا، وَأَمِـنَ مِـنْ زوالِها، وَاسْتَوْجَبَ المزيدَ من أمثالِها.. قال تعالى مُرَغِّباً بالوعـدِ ومنـذراً بالوعيـد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾.

والشكرُ يعودُ أَثَرُهُ على الشاكرِ فيكون يومُه خيراً من أمسِه ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.

ألا وإنَّ الشكر لا يكون باللسانِ وحده، ومن ظنَّ ذلك فقد أَخْطَأَ قصده، فلا بُدَّ مع الشكر باللسان، من الشكر بالجَنانِ والأركان.

الشكر بِالْجَنَان: أن يمتلئَ قلبُك بعظمةِ المنعم جل وعلا، الذي أَوْلاَكَ من هذه النعم مَا أَوْلَى، مُتَحَقِّقاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾.

والشكر باللسان: أن يلهج لسانُكَ بشكرِ الله وتحميدِه، والثناءِ عليه وتمجيده..

والشكر بالأركان: أن تطيع الله في المأمور، وتنزجر عن المحذور: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾.

الشكرُ ظهورُ أَثَرِ نعمةِ الله على لسان عبده ثناءً واعترافا، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحِهِ انقياداً وطاعة..

لقد أسبغ الله علينا نِعَمَهُ المتكاثرة، باطنةً وظاهرةً، تفضلاً وإنعاماً وَمِنَّةً وإكراما، ورضي منا مقابل ذلك أن نأكل الأكلة ونحمده عليها، ونشرب الشربة ونحمده عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمدُهُ عليها، أو يشربَ الشربة فيحمدُهُ عليها» [رواه مسلم].

ومن أعظم أنواع الشكر الاستعانه بالنعمة على طاعة الله تعالى، وصرفُها فيما خُلِقَتْ له طاعةً له وإجلالاً.

وحذار حذار، من الإستعانة بها على معصية العزيز الغفار، فَتُسْلَب من العاصي وتزول، وَتَتَغَيَّرَ وتَحُول، فيصبح بعد العزِّ ذليلا، وبعد العافيةِ عليلا، وبعد الغنى فقيرا، وبعد البهجةِ حَسِيراً، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرًا﴾.

إن قَيْدَ النعمةِ عن الزوال، شُكْرُ الله الكبيرِ المتعال، وطاعتُهُ في كل حال، فَأَحْسِنُوا جِوَارَ هذهِ النِّعمِ بشكرِ الله تعالى عليها، وَصَرْفِها فيما يعودُ عليكم بالخيرِ الْعميمِ في دنياكم وآخرتكم.

ولهذا كانوا يُسَمُّوَن الشُّكْرَ الْحَافِظ، لأنه يحفظُ النعم الموجودة، وَيُسَمُّونَهُ الْجَالِبَ لأنه يجلبُ النعم المفقودة؛ قال بعض السلف: النِّعَمُ وحشيةٌ فَقَيِّدُوَها بالشكرِ والطاعة، حسب الاستطاعه.

إذا كنتَ في نعمةٍ فَارْعَهَا فإنَّ المعاصي تُزِيلُ النعمْ
وحافظْ عليها بشكرِ الْإِلَه فإنَّ الإلهَ سَرِيعُ النقمْ

سُئِلَ أبو حازم مَا شُكْرُ العينين يا أبا حازم قال إذا رأيتَ بهما خير أَعْلَنْتَه، وإذا رأيتَ بهما شرا سترتَه، قال فما شكرُ الأذنين؟ قال إذا سمعتَ بهما خيراً وعيتَه، وإن سمعتَ بهما شرا دفعته، قال فما شكرُ اليدين قال أَن لاَّ تأخذَ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حق الله فيهما، وقال الحسنُ البصري رحمه الله الخيرُ الذي لاَ شَرَّ فيه العافيةُ مع الشكر فكم مِنْ مُنْعَمٍ عليه غير شاكر، وكان بعضُ الصالحين يكثر من قوله: الحمدُ لله، استغفرُ الله فلما سُئِلَ عن ذلك قال إنَّ ابْنَ آدم مابين نعمةٍ ساقها الله إليه، وذنبٍ ستره عليه، فلا يُنَاسِبُ النعمةَ إلا الْحَمْدَ والشكر، ولا يُنَاسِبَ الذنبَ إلا التوبةَ والاستغفار.

ثم إِنَّ للشكر ثمراتٍ يانعة، وخيراتٍ جامعة، منها ما يَتَرَتَّبُ عليهِ من الأجر العظيم، وفي الحديث عن النبي الكريم، إنَّ للطاعِمِ الشاكر من الأجر مثل ما للصَّائِمِ الصابر.

وقال صلى الله عليه وسلم: «عجباً لِأَمْرِ الْمؤمن، إنَّ

اَمْرَهُ كُلَّهُ خير، إِنْ اَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانَ خيراً له، وَإِنْ اصابته سَرَّاءُ شَكَرَ فكان خيراً له».

ومنها ما وَعَدَ الله به عباده، من بقاءِ النعمة مع الزيادة، وفي الخبرِ أو الأثر، مَنْ أُعْطِيَ أربعاً لم يُمنعْ أربعاً من أُعْطِي الشكر لم يُمنعِ المزيد، ومن أُعطي التوبةَ لم يُمْنَعِ القبول، ومن أُعْطِيَ الإِستخارةَ لم يُمْنَعِ الْخِيرة، ومن أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لم يُمْنَعِ الصَّواب.

وبالشكرِ تكونُ النجاةُ من الخطر، والسلامةُ من الضرر، قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾.

وبالشكرِ يرضى الله عن عبدِه، إذا أكثر من شكرِهِ وحمدِه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وبالشكرِ يكون الأِجتباءُ والهدايةُ إلى الصراطِ المستقيم، كما قال تعالى عن خليلِهِ إبراهيم، ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْوَعَ الأمثلةِ في الشكر فكان صلَّى الله عليه وسلَّم يتهجدُ لمولاه، ويقومُ بين يديه حتى تَوَرَّمَتْ قدماه، من طول القيامِ في الصلاة، فلما سُئِلَ كيف تفعلُ ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال صلى الله عليه وسلم: «أَفَلَا أَكُونُ عبداً شكورا».

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أَمْرٌ يُسَرُّ بِهِ خَرَّ ساجداً، شاكراً لله وحامداً.

فَلْتَكُنْ لنا في رسول الله أسوةٌ حسنة وقدوة نافعة.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

اللهم أَعِنَّا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحسنِ عبادتك،

اللهم اجعلنا مظهراً لنعمائك، وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِ آلَائِك،

اللهم اجعلنا شاكرينَ لنعمتك، مُثْنِينَ عليك بها قَابِلِيهَا.

اللهم ما أنعمتَ فَزِدْ وما زِدتَ فَبَارِكْ وَلَكَ الْحَمْدُ على ما أنعمتَ وَزِدتَ وَبَارَكْتَ. وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين.

* * *

الصلاة عماد الدين

الحمد لله الذي جعل الصَّلاةَ عِمَادَ الدين، وأمرنا بالمحافظة عليها في كتابه المبين، قال تعالى وهو أصدق القائلين، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾)، وصلَّى الله وسلَّم، وَبَارَكَ وكرَّم، على سيدنا محمد بن عبدالله، الذي جُعِلَتْ قُرَّةُ عينِهِ في الصلاه، فكان يَجِدُ فيها طمأنينةً القلبِ وراحةَ البال، ولهذا كان يقولُ أَرِحْنَا بها يابلال. وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، أهل الْخُلُقِ المحمود، الْمُوْفِينَ بالعهود، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ، أَمَّا بعد

إِنَّ الصلاة عمودُ الدِّين، ومعراجُ المؤمنين إلى رب العالمين وهي من صفات المتقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وبها يُسْتَعَانُ على أمور الدنيا والدين

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ وهـــي أول ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة، عن عبدالله بن قرط - رضـي الله عنـه - أنَّ النبـي - صـلى الله عليـه وسـلم - قال: ((أولُّ ما يُحاسب به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صـلحتْ، صـلح سـائرُ عملـه، وإن فسَـدَتْ، فَسَـدَ سـائِرُ عمله)).

الصلاةُ آخِرُ وصيةٍ وَصَّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمَّتَهُ عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى، في اللحظات الأخيرة من حياته الأولى، كان يقول: ((الصلاة الصلاة، وما ملكتْ أيمانُكم)) مازال يكررها حتى بلغت الروحُ تراقِيها، وفاضتْ روحُهُ إلى باريها.

وقد بلغ من عناية الاسلام بالصلاة، أَنْ أمر بالمحافظة على أدائها في الحضرِ والسفر، والأمنِ والخوف، والسِّلْمِ والحرب، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ

﴿تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ وَتَوَعَّدَ الله من أضاعها أَوْ فَرَّطَ فيها بالغيّ في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ وبالويل في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ ومن ترك الصَّلاة جحوداً بها وانكاراً، فقد كفر جهاراً، ومن تركها تهاوناً وكسلاً فأمره على غاية الخطر، إن لم يكن قد كفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين الرجلِ وبين الكفرِ تركُ الصلاة» [رواه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذي وابن ماجه].

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» [رواه أحمد وأصحاب السنن].. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له برهاناً ونوراً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا

برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وَأُبَيِّ بْنِ خَلَف».

الصلاةُ صِلَةُ العبد بربِه، فيها راحةُ رُوحِهِ واطمئنانُ قلبِه، يُشرُح بها الصدر ويتيسر الأمر، تشرق بالنور وتغمر القلب والكيان، بالسكينة والاطمئنان.

إنَّ الصلاةَ منهلٌ عذبٌ مُتَدَفِّق، وكثيرٌ من الناس في غفلة عن سِرِّهِ الْمتألق، إنه يَغْسِلَ دَرَنَ الذنوب، ويجلو الصَّدأ عن القلوب، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أرأيتُم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمسَ مرَّات؛ هلْ يبقى من دَرنِه شيءٌ؟»، قالوا: لا يبقى مِن درنه شيء، قال: «فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بِهِنَّ الْخطايا»؛ متفقٌ عليه.

وقد ضرب لنا نبيُّ الإسلام، وأصحابه الكرام، والتابعون لهم بإحسان على الدوام، ضربُوا لنا أَرْوَعَ الأمثلةِ في الحرص على أداء الصلاة والإهتمامِ بها غاية الإهتمام، ما كانوا يتشاغلون عنها بتجارة ولا بيع ولا

منام، أَوَمَا قال عنهم الله العزيز الغفار ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ عن ذكرِ الله وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

لقد كانت الصلاةُ قُرَّةَ عين نبينا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم كان يَحِنُّ إليها، ويتلهَّفُّ عليها، ويقول في شوقِ وإجلال: «أَرِحْنا بها يا بلال أَرِحْنا بها يا بلال».

وكان أصحابه الأطهار يرون في الصلاة أُنْسَهم ومتعتهم، وفرحَهم وراحتَهم، حتى والمعركة قائمة في ميدانها، والسيوفُ مُصْلَتَةٌ في يدي شجعانِها، والموتُ يلوح شَبَحُهُ في لَمَعَانِها، ماكان هذا يشغلهم عن أداء صلاتهم بشروطها وأركانِها فَشُرِعَتْ لهم صلاة الخوف فأقاموها احتسابا وإيمانا، وفي التحام الحرب ان لم يمكنهم أن يُصَلُّوا جماعةً صلوا وِحْدَانَا، ممتثلين قولَ ربهم فإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانَا. ولسانُ حالِهِم، يُرَدِّدُ قولَ قائلِهم:

نَحْـــنُ الَّـــذِينَ إِذَا دُعُـــوا لِصَـــلاَتِهِمْ

وَالْحَـرْبُ تَسْـقِي الأَرْضَ جَامًـا أَحْمَـرَا

جَعَلُـوا الْوُجُـوهَ إِلَـى الْحِجَــازِ فَكَبَّـرُوا

لا يَقْــدِرونَ عَـنِ الصَّــلاةِ تَأَخُّــرَا

قال سعيد بن المسيب: مَا دَخَل عليَّ وقتُ صلاةٍ إلا وقد أخذت أُهْبَتَها ولا دخل علي وقتُ فرضٍ إلا وأنا مشتاقٌ إليه.. وكان الأعمش رغم كِبَرِ سِنِّه يحرص على التكبيرةِ الأولى مع الإمام. قال عنه وكيع: كان قريباً من سبعين سنة لم تَفُتْهُ التكبيرةُ الأولى.

وهذا الرَّبيع بن خثيم، يُهادَى بِهِ بين رَجلين يحملانِه إلى المسجد، فقيل له: يا أبا يزيدَ، لقد رُخِّص لك، لو صليتَ في بيتك! فقال: إنَّه كما تقولون، ولكنِّي سمعته ينادي: (حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح)، فمَن سَمِعَ منكم هذا النداء فَلْيُجِبْه ولو زحفًا، ولو حبوًا.

إنَّهــا الصَّــلاة؛ الحُكــم الفصــلُ بــين الكفَّــار، والمســلمين، وهــي أوَّل مــا يحاســب عليــه العبــد يــومَ القيامة.

ولقـد كـانوا يُعَـزُّوَن مَـنْ فاتتـه الصـلاة مـع الجماعـة يقولـون: لـيس الْمُصَـاب، مـن فـارق الأحبـاب، لكـن المصاب من حرم الثواب، إذا كان هذا في فوات الصلاة جماعة، فما هو الحال فيمن ترك الصلاة بالكلية.

وبلـغ مـن حـرص السلف على الصلاة في جماعـة عـدم الإنشـغال عنهـا حتـى فـي ليلـة الـزواج. فقـد روى الطبراني عـن عنبسـة بـن الأزهـر قـال: تَـزَوَّجَ الحـارثُ بـن حسّـان رضـي الله عنـه وكـان لـه صُـحبة. فقيـل لـه: أتخـرج لصلاة الفجر ـ : وقد بنيتَ بأهلِكَ في هـذه الليلة. قـال : والله إنَّ امرأةً تمنعني من صلاة الغداة لَامْرَأةُ سُوء.

فأين منهم هولاء الذين أضـاعوا الصـلوات، واتبعـوا الشـهوات، شـغلتهم المباريات، عـن أوامـرِ رب البريات،

وألهتهم القنواتُ في الْغُدُوِّ والَرَّوَاح، عن إجابةِ حيَّ على الصلاةِ حيَّ على الفلاح.

إنَّ مما ينذر بالخطر، ويجب أن نكونَ منه على حذر، التهاون بالصلاة من قبل كثير من الشباب، اضاعوها أو أَخَّرُوَها عن وقتها لِأَتْفَهِ الأسباب، خصوصا صلاة الفجر، التي يُضاعف فيها الأجر، حيث يسهرونَ إلى وقت مُتَأَخِّرٍ من الليل، أمام القنوات التي عُقْبَاهَا الثُّبورُ والويل، تَعْرِضُ عليهم ما يندى له الجبين، ويَخُشْىَ منه على البناتِ والبنين؛ نعوذ بالله من العصيان، ومن فساد أبناء الزمان. إنَّ أَهَمَّ ما يُوَجَّهُ إليه الشباب، أَلَّا يضيعوا وقتهم في اللهو والألعاب، وأن يُحافظِوا على صلواتِهم بلا إِضَاعه، وَيُؤَدُّوهَا في أول وقتها في المسجد جماعة، فبذلك تتهذب نفوسُهم، وتزكو عقولُهم، ويكونونَ نَوَاةَ الْمُجْتَمِعِ الْأَمْثَل، ويحوزونَ على الْمستوى الأفضل، فإذا استجابُوا لنداء الحقِّ الأكبر، الله أكبر الله أكبر، حسن منهم الباطنُ والمظهر، فلا ترى

منهم إلا ما يَسُرُّ ويَبَهْرَ، من إِيْحَاءَاتِ وَأَسْرَارِ إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، فإلى المساجد أيُّها الشباب، ففيها عِزُّكُمْ ومجدُكُمْ يا أُولِي الْألباب، وبها تغنمونَ الثواب، وتسلمون من العقاب، وتفوزونَ بحسن المآب.

مَا لِلشَّبَابِ عَنِ الْمساجِـدِ يَبْتَعِدْ

فَتُّشْتُّ عنهم في الصفوفِ فلم أَجِدْ

أَدِرَاسَـةٌ تُثْـنِيهِ أَمْ هُـوَ مَلْعَـبٌ

يُلْهِيهِ؟ قُلْ لِلنَّشْءِ إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ

فَلَسُوفَ تُسأَلُ عَنْ صَلَاتِكَ يافتى

مَاذَا تقـولُ إِذِ الْفَرَائِضُ تَرْتَعِد

قَدِّمْ لِنَفْسِكَ صَالِحـاً تَنْجُـو بِهِ

لاَ بُدَّ مِـنْ كَاسِ الْمَنِيَّـةِ فَاسْتَعِدّ

إنَّ الصلاةَ رُكنُ الدِّين وعمودُه، غِيَابُهَا غِيَابُهُ وَوُجُودُها وُجُودُه، فلا دِينَ لِمَن ليس له صلاةَ، ومن قطعها قطع صِلَتَهُ بمولاه، ومَن تَرَك صلاةً مكتوبة متعمِّدًا بَرِئَتْ منه ذِمَّة الله، ولقد كان أصحاب محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - لا يَروْنَ شيئًا من الأعمال تَرْكُه كفرٌ غير الصلاة، فمَن حَفِظَها حَفِظَ دِينَه أجمع، ومَن ضيَّعها فهو لِمَا سواها أضيع، إنها أوَّل فروض الإسلام، وآخر ما يُفقد مِن الدِّين، ومن لم يُؤَدِّ صلاَتَهُ لا يُعَدُّ من المسلمين، ولم يُرخَّص في ترْكها لا في مرضٍ ولا في سفر؛ ولا تسقطُ حتَّى في الظروف الصعبةِ وَمُدَاهَمَةِ الْخطر، قال - سبحانه -: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩]، وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: «صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنبٍ» [رواه البخاري].

فيا تاركًا للصَّلَوَاتِ، ويا هاجرًا للجُمَعِ والجماعات، ألَم يَأْنِ لك أن تندمَ على مافات، أما آن أن يحزنَ قلبُك على ما تركت من الصلوات، إلى متى وأنت ساهٍ لاه، تتخطَّفك الشهوات والأهواء، وَتُلْهِيكَ عن طاعةِ بارئِ الأرض والسماء، أما تخشى أن يُفَاجِئَكَ هَاذِمُ اللذَّات، ومُفرِّق الجماعات؟! فتصبح في قبرك وحيدا فريدا، لاأنيس ولا جليس، الأهلُ والصحبُ لما ألحدُوا ذهبوا، وَارَوكَ في الترابِ وْانْقَلَبُوا، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ إِلَى قَبْرِهِ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ». ففكر في نفسك أيُّ عَمَلٍ هذا الذي سيبقى معك، أيؤنسُكَ أم يُوْحِشُ مضجعَك، فهنيئا لمن كانت الصلوات الخمس أنيساً له في الرَّمْس، سيحمدُ في ذلك اليوم مَا ادَّخُرَهُ بالأمس، وأما من أضاع خمسَه، وَسَوَّدَ بالسيئات طِرْسَه، فلا يلومنَّ إلا نفسه، من عمل صالحا فلنفسِهِ ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

فَارْجِعْ إلى الله مادمت في زمن الْإمهال، وأقلع عما أنت عليه من ضياعِ وإهمال، أَدِّ صلاتك قبل أن يُصَلَّى عليك، واسع إليها قبل أن تَسْعَ الْمَنُونُ إليك، إرجع إلى الله بالتوبة النصوح، قبل أن تُنْزَعَ منك الروح، قبل أن تَعَضَّ البنانَ حسرةً وَنَدَمَا، وتبكي بعد الدموع دَمَا، قبل أن تُصْبِحَ مغلولاً مُسْلَسَلَا، وتقولُ ياليتني لم أُشَاهِدْ مُسْلَسَلا، قبل أن يُحِيطَ بك العذاب من كُلِّ اتِّجَاه، وتقول ياليتني لم أتشاغل عن صلاتي بِلَعِبٍ أو مباراه، قبل أن تُصْبِحَ تحت أطباق الثرى، وتقول ياليتني لَمْ آتِ منكرا، تدارك نفسك قبل الفوت، قبل أن ينزل بك الموت، مازالت أمامك فرصةٌ سانِحة، لِلتَّزَوُّدِ بالأعمال الصالحة، فتب إلى الله توبة نصوحا، مادام بابُ التوبة مفتوحا، هذا شهر رمضانُ مجالٌ واسعٌ للتوبة، هذا شهر رمضان فرصةٌ سَانِحةٌ لِلْأَوْبَة، فما عليك إلا أن تؤب، ما عليك إلا أن تتوب، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

اللهم تب علينا توبةً نصوحا، وَزَكِّنَا بها جسماً وقلباً وروحا، اللهم وفقنا لما تحب من القول والعمل، وبلغنا من رضاك غاية الأمل، وَمُنَّ علينا بِحُسْنِ الختام عند حضورِ الأجل، واجعلنا ممن أَحَبَّ لقاءك وأحببتَ لقاءه، ونزل بك فأكرمتَ نُزُلَهُ وأحسنتَ إِيْوَاءَه، اللهم إنكَّ عفوٌ تُحِبُّ العفوَ فَاعْفُ عنَّا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عنَّا، واملءْ قلوبنا إيماناً وَأَمْنَا، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

إني صائم

الحمدلله الكريم الحليم، الغفور الرحيم، يُسَبِّحُ له مافي السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيم، اللهم صلِّ وسلِّم، وبارِكْ وكرِّم، في كل لحظة أبدا، على سيدنا محمد أكملِ الناس حِلما، وأغزرِهم علما، وعلى آله سُفُنِ النجاة، أهلِ الحلم وَالْأَنَاه، وعلى صحبِه الكرام، أُولِي النُّهَى والأَحلام، صلاةً وسلاماً يتكررانِ بتكرر الشهورِ والأعوام، وبعد.

إنَّ حقيقةَ الصيام تكمنُ في الدروس المستفاده، من هذه العبادة، فالصيام بحقيقتِهِ الْقُصْوَى هو الذي يَصِلُ بصاحبه إلى درجةِ التقوى، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

ولا يَصِلَ الإنسانُ إلى درجةِ التقوى إلا بِالتَّحِلِّي

بالأخلاق الكريمة، وَالْبُعْدِ عن الصفاتِ الذميمة، وبدون ذلك يكون الصيام جسداً بلا روح، صورةً بلا حقيقة، مظهراً بلا مخبر.

إنَّ كثيراً من الناس يدخلُ عليهم رمضانُ ويخرج بِلاَ تغييرٍ في حياتِهم، ولا تأثيرٍ في سلوكِهم، ولا رُقيٍّ في أخلاقِهم.

وأيُّ فائدةٍ للصومَ يَكْسِبُها مَنْ كَانَ يخرجُ مِنْهُ مِثْلَمَا دَخَلاَ

فليكنْ شهرُ رمضان بمناهجه القيمة، مدرسةً لِتَرْبِيَةِ الْأُمَّةِ المسلمة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصيامُ جُنَّةٌ فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يَفْسُقْ ولا يَرْفُثْ، فإن سَابَّهُ أحدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إني صائم».

وفي هذا التوجيه النبويّ الرشيد، درسٌ نبويٌّ مُفِيد، يرشدنا إلى خُلُقٍ حميد، من أخلاق الإسلام العالية، ومبادئِه السَّامية، أَلَا وهو الْحِلْم، المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن سَابَّهُ أحدٌ أو قَاتَلَهُ فليقل: إني صائم».

فالصائِمُ يضبطُ نفسه، ويَغْلِبُ هواه، وَيُطْفِئُ بحلمِهِ نَارَ غضبِه، فإذا تَعَرَّضَ له أحدٌ بِسِبَابٍ أو جِدال، فإنه لاَ يَنْسَاقُ معهُ في هذا المجال، بل يتحلَّى بِالْحِلمِ الذي هو من أشرفِ الخصال، ويتصرَّفُ بما يُوحِي إليه الحلم من تَصَرُّفٍ ملائم، ويقولُ إني صائم، وَنِقيضُ الْحِلْمِ الغضب، ويعني اِنْفَاذَ الْغَيْظ، وَعَدَمَ السَّيْطَرَةِ على النفس، وهو خُلُقٌ ذميم، يجب الْإِبتعادُ عنه، وَالْحَذَرُ منه.

جاء رجلٌ الى النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسولَ الله أَوْصِني. فقال له صلى الله عليه وسلم: «لا تغضبْ» فأعاد الرجل السؤال ورده مرارا، وفي كلِّ مرةٍ يقول له النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - : «لا تغضب».

قد قيل ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن:

لا يُعرف الْجَوَادُ إلَّا في الْعُسْرَة، ولا يُعْرَفُ الشجاعُ إلَّا في الحرب، ولا يُعْرَفُ الحليمُ إلاَّ عند الغضب.

وَرُوِيَ أنَّ سلمان الفارسي رضي الله عنه قال لعليٍّ رضي الله عنه:

ما الذي يُبَاعِدُنِي من غضبِ الله عزّ وجل؟ قال: أَن لاَّ تَغْضَبْ.

وفـي فضـلِ الحلـمِ والحـثِّ عليـه وَرَدَ الكثيـرُ مـن الأخبار والآثار، عن النبيِّ المختار، والسلفِ الأخيار،

رُوِيَ عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: «إنّ الله يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيِيّ»، ويبغضُ الفاحِشَ البذِيْ.

والحلم صفةٌ يحبها الله -عز وجل-، قال صلى الله عليــه وســلم لأحــدِ الصــحابة: «إن فيــك خصــلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» [رواه مسلم].

كما أَنَّ الحلمَ وسيلةٌ للفوز بِرِضَا الله وجنته، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَظَمَ غيظاً وهو قادرٌ علــى أَن يُنْفِــذَهْ، دعــاه الله - عــز وجــل- علــى رؤوسِ الخلائق يوم القيامة، يُخَيِّرُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاَء».

[رواه أبو داود].

والحلمُ دليلُ على قوةِ ارادةِ صاحبه، وسيطرتِهِ على

انفعالاتِه، فقد قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «ليس الشديدُ بالصُّرْعَة، انما الشديد الذي يَمْلِكُ نفسَهُ عند الغضب» [رواه مسلم].

والحلمُ وسيلةٌ لِكَسْبِ الْخُصُوم، وتحويلِهم من أعداء إلى أصدقاء، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾، ومن الأدعيةِ النبويةُ المرويَّةِ عن خير البرية-: «اللهمَّ اغْنِنِى بالعلم وَزَيِّنِيْ بالحلم». وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خمسٌ من سُنَنِ المرسلين..» وَعَدَّ منها الحلم.

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إِنَّ الرجل المسلم لَيُدْرِكُ بالحِلْمِ درجةَ الصَّائمِ القائمِ».

وقال بعض الشعراء:

أُحِبُّ مكَارِمَ الأخلاقِ جُهْدِي ... وَأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا

وَأَصْفَحُ عَنْ سِبابِ النَّاسِ حِلْما ... وَشَرُّ الناسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا

وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ ... وَمَنْ حقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

فَالْحِلْمُ من أشرفِ الخصال، وأكرمِ الخِلال، لما فيه من سلامةِ العِرض، وراحةِ الجسد، واكتسابِ الحمد.

ولمكانةِ الحلم العالية، ورتبتِهِ السَّامية، وَصَفَ الله به نفسَهُ جلّ وعلا قال تبارك وتعالى واعلموا أَنَّ الله غفورٌ حليم.

الحلم خُلُقٌ من أخلاق الأنبياء الكرام، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾، وقال عن إسماعيل في محكم التنزيل وبشرناه بغلامٍ حليم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أحلم الناس.

وقد زخرتْ كتبُ التاريخ والتزكية، بِصُوَرٍ متالقة، ونماذِجَ وَضَّاءة، من الشخصيات الإسلامية التي ضربتْ أروعَ الأمثلةِ في الحلم والأناة.

ويأتي في طليعتهم الْقُدْوَةُ الْمُثْلى، والأسوةُ الحسنة، سيدَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم، فلقد وَاجَهَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم الكثيرَ - مِنَ الشَّتْمِ

وَالسَّبِ، هجاه الشعراءُ، وَسَخِرَ منه سادةُ قريش، وقالُوا عنه ساحرٌ ومجنون، وغير ذلك من صور الأذى، فكان يتلقَّى كل ذلك بسعةِ صدر، وعفوٍ وحلمٍ وتسامح، ولهذا امتدحه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وَمَنْ تَأَمَّلَ سيرتَهُ صلى الله عليه وسلم تتجلَّى له صِفَةُ الحلمِ في مواطنَ متعددة من سيرته عليه الصلاة والسلام، ففي غزوة أُحُدٍ شُجَّ رَأْسُهُ وكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَأَدْمَوا وَجْهَهَ الشريف، فقال له بعضُ أصحابه: أَدْعُ الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لم أُبْعَثْ لَعَّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمة، اللهمَّ اهْدِ قومي فإنهم لايعلمون» بدلاً مِنْ أَنْ يَدْعُوَ عليهم دعا لهم.

وحين دخل مكة فاتحاً منتصرا، دخلها مُطَأْطِأً رأسه، تواضعاً لمولاه، الذي أكرمه بهذا النصر وحباه، واجتمعتْ قريشٌ في المسجد الحرام، أمام خير الأنام، ليحكم فيهم بما شاء من أَسْرٍ أَوْ إِعْدَام، قلوبُهم واجفة، وأبصارُهم زائغة، فَهُمُ الذين آذوه أَشَدَّ الإيذاء. كادوا أن

يخنقُوه لولا أن خَلَّصَهُ منهم أبو بكر قائلاً أتقتلونَ رجلاً أن يقول رَبِّيَ الله.

أَلْقَوْا سَلَا الجزورِ على جسده الطاهر وهو ساجد عند الكعبة، فَبَقِيَ ساجدا حتى جاءت فاطمةُ وألقته عن ظهره.

تآمَرُوا على قتله لولا أن أَمَرَهُ الله بالهجرةِ فَهَاجَر.

هَاهُمُ اليومُ جَبَابِرَةُ الأمس، وطغاةُ الجاهلية، يَحْنُونَ رِقَابهم، ويُصْغُوَن بآذانهم، ماذا سَيَصْدُرُ في حقِّهم من أحكام، وَيَنْسَابُ صوتُ الرَّسُولِ الكريم في حِلْمٍ وَأَنَاه، ورفقٍ وحنان، قائلاً: «ما تَظُنُّونَ أَنِي فاعلٌ بكم» فيقولون: (خيراً أَخٌ كريم، وَابْنُ اَخٍ كريم) فيقول لهم عليه الصلاة والسلام: «لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ الله لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

«إِذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاَء».

* * *

ومن الصور المتألقةِ في الحلمِ وكظمِ الغيظ ما يُروى أَنَّ عمر بن عبد العزيز خرجَ ذاتَ ليلة، لِيَتَفَقَّدَ أحوالَ رعيته، وكان في صُحبته شرطي، فدخلا مسجدًا، وكان المسجد مظلمًا، فَتَعَثَّرَ عمرُ برَجُلٍ نائم، فرفع الرجل رأسه وقال له: أمجنونٌ أنت؟ فقال عمر: لا. وأراد الشرطيُّ أن يضربَ الرجل، فقال له عمر: لا تفعل، إنما سألني: أمجنونٌ أنت؟ فقلتُ له: لا، فَتَقَبَّلَ ببساطةٍ أن يَصِفَهُ رجلٌ من عَامَّةِ الناس بالجنون، ولم يدفعه سلطانُهُ وَقُوَّتُهُ إلى البطِش به.

وكان الصَّحابيُّ الجليل الأحنفُ بن قيس، شَدِيدَ الحلم حتى صار يضرب به المثل في ذلك الْخُلُق، فَيُقَال: أحلمُ من الأحنف. وَيُحْكَى أَنَّ رجلا شتمه، فلم يَرُدَّ عليه ومشى في طريقه، ومشى الرجل وراءه، وهو يزيدُ في شتمه، فلما اقترب الأحنف من الحيِّ الذي يعيش فيه، وقف وقال للرجل: إن كان قد بَقِيَ في نفسك شيءٌ فقله قبل أن يسمعك أحدٌ من أهلِ الحي فيؤذيك.

ولما سُئِلَ: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم: كنا نختلفُ إليه في الحلم كما يُختلف إلى الفقهاءِ في الفقه، ولقد حضرتُ عنده يوماً في نادِي قومه فَجِيْءَ برجلٍ قتيل، وآخرَ مكتوفاً وقيل له:

إن أخاك هذا قتل ابنك هذا فما حَلَّ حُبوتَه، ولا قطع حديثه ثم قال:

اذهِبُوا بِابْنِي هذا فادفنوه وَحُلُّو الْكُتَافَ من أخي،.. وَاحْمِلُوا إلى أُمِّ ولدي دِيَتَهُ مِائَةَ ناقة، فَإنَّهَا ليستْ من قومِنا ثم أنشأَ يقول:

أقولُ للنفسِ تَأْسَاءً وتعزيةً　　إِحْدَى يَدَيَّ أصابتني وَلَمْ تُرِدِ
كِلَاهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ　　هذا أخي حِينَ أدعُوهُ وذا وَلَدِي

وقال رجاءُ بن حَيَوَة لعبدِ الملك بن مروان حين انتصر على بعض المناوِئين: إن الله قد أعطاك ما تُحِبُّ مِنَ الظفر، فَأَعْطِ الله ما يُحِبُّ مِنَ العفو.

وقال رجلٌ لِضَرارِ بن القعقاع، واللهِ لَوْ قُلْتَ وَاحِدةً

لسمعتَ عشراً، فقال ضِرار: والله لو قلتَ عشراً ما سمعتَ واحدة.

ويُروى أنَّ ابْنَ هُبَيرة أسمعَهُ رجلٌ مَا سَاءَه، فأعرضَ عنه، فقال الرجلُ له: إِيَّاكَ أَعْنِي. فقال ابْنُ هُبَيْرَة: وَعَنْكَ أُعْرِض.

وقال الشاعر:

إِذَا نَطَقَ السفيهُ فَلاَ تُجِبْهُ   فخيرٌ من إجابتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُّ عَنِ السفيهِ فظنَّ أني   عَيِيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيِيْتُ

وَشَتَمَ رجلٌ الشعبي فقال: إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك .

هذه بعض النماذج المضيئة في الحلم والأناه، فليكن لنا بهولاء قدوةٌ حسنة، ولنتخلق بهذا الخلق الكريم، ومن لم يكن حليماً بالطبع فَلْيُرُوِّضْ نَفْسَهُ عليه، فإنما العلمُ بالتعلم، والحلمُ بِالتَّحَلُّم، فلنحمل أنفسنا على كظمِ الغيظِ عند هَيَجَانِهْ، حَتَّى تَحْصُلَ لنا صِفَةُ

الْحِلـم. وحتـى نكـون مـن أهـل قولـه تعـالى والكـاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.

وممـن يقـولُ فيهم رسـولُ الله-صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم-: «مـن كظـم غيظـا و لـو شـاء أن يُمْضِـيَهُ أمضـاه، مَلَأَ الله قلبه يوم القيامة رضا».

اللهم اغننا بالعلم، وَزَيِّنَا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجملنـا بالعافيـة، واهـدنا لأحسـن الأخـلاق، لا يهـدينا لأحسـنها إلا أنـت، واَصْـرِفْ عنـا سـيئها لا يَصْـرِفُ عنـا سـيئها إلا أنـت برحمتـك يـا أرحـم اراحمـين، وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.

*　　*　　*

رمضان والأعمال الصالحة

الحمدلله الموجودِ في كل مكان، المعبودِ في كل زمـان، المـذكور بكـل لسـان، المعـروف بـالكرم والإحسان، يسألُهُ من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، وصلَّى الله وسلَّم، وَبَارَكَ وَكَرَّم، على سيدنا محمد الذي جاءنا بالإسلامِ والإيمان، وأظهر الله دينه على سائرِ الأديان، المخصوص بالمقام المحمود يوم يُمَدُّ الصراط ويُنْصَبُ الميزان، صلى الله وسلم عليه في جميع الأحيان، وعلى آله وصحبه والذين اتبعوهم بإحسان.

أما بعد فإنَّ شهرَ رمضان المبارك شهرُ الهدى والنور، يَخْتَصُّ بأنواعٍ من الطاعة تتضاعف فيها الأجور، عن غيرِهِ من الشهور، أو يكونُ لها ثواباً موعوداً به على فعلها في رمضان، دون غيره من الأزمان، ومن ذلك

قيام ليالي شهر رمضان، وَإِحْيَائِهَا بالصلاةِ والذكرِ والدعاءِ وتلاوةِ القرآن، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) [أخرجه البخاري ومسلم].

وقد كان قيامُ الليل دَأْبَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه. قالت عائشة: رضي الله عنها: (لا تَدَعْ قيام الليل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لاَ يَدَعُهُ، وكان إذا مرض صلَّى قاعداً).

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يصلي من الليل ما شاء الله حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول لهم: الصلاة، الصلاة.. ويتلو هذه الآية: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

وكان عثمان رضي الله عنه يُحْيِي الليلَ بالصلاة والقراءة حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعة.

وفي حديث السائب بن زيد قال: كان القارئُ يقرأُ أي في صلاة التراويح بِالْمَئِين - يعني بمئات الآيات - حتى كُنَّا نعتمدُ على الْعِصِيّ من طول القيام، قال: وما كانوا ينصرفون أي عن القيام في رمضان إلا عند الفجر.

فَلْنَجْتَهِدْ في قيام ليالي رمضان، ونحييها بصلاة التراويح والوتر، لننال مغفرة ماتقدم منا من وِزْر، كما جاء في الحديث الشريف مَتَقَدَّمِ الذكر، ومن صلَّى مع الإمام حتى ينصرف من قيامِه، كُتِبَ له قِيَامُ تلك الليلةِ بفضل الله وإكرامِه، قال صلى الله عليه وسلم: «من قام مع إمامه حتى ينصرف كُتِبَ له قِيَامُ ليلة» [رواه أهل السنن].

ومن الأعمال المستحبة في كل زمان، وخصوصا في شهر رمضان، مواساةُ الْمُعْوَزِين، والصدقةُ على الفقراءِ والمساكين.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ الناس، وكان أَجْوَدَ ما يكونُ في رمضان كان أَجْوَدَ بالخيرِ من الريح الْمُرْسَلَة..

وللصـدقةِ فـي رمضـان مَزِيَّـةٌ وخصوصـية، ومزيـدُ أفضـلية، قـال صـلى الله عليـه وسـلم: «أفضـلُ الصـدقةِ صدقةٌ في رمضان» [أخرجه الترمذي عن أنس]. فبادر إليها أيها المسلم إلى ذلك بحرصٍ شديد، واعتناءٍ أكيد.

ومن الأعمال المستحبة في كل زمان وخصوصا في شهر رمضان تفطير الصائمين: قال صلى الله عليه وسلم: «من فَطَّرَ صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقصُ من أجرِ الصائم شيء» [أخرجه أحمد والنسائي وصححه الألباني]. وفي حديث سلمان: «ومن فطر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء» قالوا: يا رسول الله ليس كُلنُّا يَجِدُ ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعطي الله هذا الثواب لمن فطَّر صائماً على مذقةِ لبن أو تمرةٍ أو شربةِ ماء ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربةً لا يظمأُ بعدها، حتى يدخل الجنة».

ومـن ذلـك أيضـا إطعـامُ الطعـام: قـال الله تعـالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ
ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

[الإنسان: ٨ ـ ١٢].

وقـد كـان السـلف الصـالح يحرصـونَ علـى إطعـام الطعـام، ويقدمونـه علـى نوافـلِ العبـادةِ مـن صيـامٍ وقيـام، لان نفعَـهُ عَـامٌّ، للخـاصِ والعـام. وللإطعـام ثـوابٌ كبيـر، سـواء كـان لفقيـر أو غيـر فقيـر، قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «أَيُّمـا مـؤمنٍ أَطْعَـمَ مؤمنـاً علـى جـوعٍ أطعمـه الله مـن ثمـار الجنـة ومـن سـقى مؤمنـاً علـى ظمـأٍ سقاه الله من الرحيق المختوم» [رواه الترمذي بسند حسن].

قـال بعـض السـلف: لَأَنْ أَدْعُـوَ عشـرةً مـن أصـحابي فـأطعمهم طعامـاً يشـتهونه أحـب إلـي مـن أن أعتـق عشـرة من ولد إسماعيل!!

قال أبو السوار العدوي: كان رجالٌ من بني عدي يصلون في هذا المسجد ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قط وحده، إن وجد من يأكلُ معه أكل وإلاَّ أخرج طعامه إلى المسجد فأكل مع الناس وأكل الناس معه.

ومن الطاعات المستحبة قراءةُ القران، ولها في رمضان مزية على غيره من الأزمان، لأنَّ شهرَ رمضان هو شهر القرآن، فينبغي أن يكثر الصائم من تلاوته، وقد كان جبريل يُدَارِسُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم القرآن في رمضان، وكان بعضُ السلف يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليالٍ ختمه، وبعضهم في كلِّ أسبوع، وبعضهم في كل عشر، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمه، وكان الزهريُّ إذا دخل رمضان يَفِرُّ من الحديث ومجالسةِ أهل العلم ويقبلُ على تلاوة القرآن مِنَ المصحف، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميعَ العبادةِ وأقبل على قراءة القرآن.

قال ابن رجب: إنما ورد النهيُّ عن قراءة القرآن في أقلِّ من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان وفي الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوةِ القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان.

وَلْتَكُنْ قِرَاءتُنَا للقران بترتيلٍ وتدبرٍ وتفهمٍ لمعانيه، مع الخشوع والخضوع، وجريان الدموع، حتى تَتَأَثَّرَ به القلوب، ويربطُها بعلام الغيوب.

ففي البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اِقرأ عليَّ. فقلت: أَقْرَأُ عليكَ وعليك أُنْزِل؟ فقال إني أحبُّ أن أسمعه من غيري» قال: فقرأتُ سورة النساء حتى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ قال: «حَسْبُك»، فَالْتَفَتُّ فإذا عيناه تذرفان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَلِجُ النارَ من بكى من خشية الله».

ومـن الطاعـات المسـتحبة فـي شـهر رمضـان، ولهـا مزية على غيره من الأزمان، الاعتكاف لاسيما في العشر الأخيـرة، مـن هـذه الليـالي المنيـرة، فالاعتكـافُ مـن العبـادات التـي تجمـع كثيـراً مـن الطاعـات؛ الـتلاوة، والصلاة، والـذكر، والـدعاء، وقـد كـان النبـي صـلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلمـا كـان العـام الـذي قُـبِضَ فيـه اعتكـف عشـرين يومـاً.. [أخرجه البخاري].

وإنَّما كَانَ يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم هـذه العشر التي يُطلب فيها ليلة القدر قَطْعاً لِأَشْغَالِه، وتفريغا لِبَالِه يتفرَّغُ لمناجاة ربّه، والإقبالِ عليه بقالبه وقلبه.

وكـان يَحْتَجِرُ حصيراً يتخلَّى فيـه عـن النـاس، فـلا يخالطهم ولايشتغل بهم، ولهذا ذهبَ إِمامُ السنة أحمد بن حنبل إلى أن المعتكف لا يُسْتَحَبُّ لـه مخالطةُ النـاس حتـى ولا لتعلـيمِ عِلْـمِ وإقـراء قـرآن، بـل الأفضـل لـه الانفـراد بنفسـه، والتخلـي بمناجـاة ربـه وذكـره ودعائـه،

وهـذا الاعتكـاف هـو الخلـوةُ الشـرعية وإنمـا يكـونُ فـي المسـاجد لِئَلَّا يتـركَ بـه الْجُمَـعَ والجماعـات فإن الخلـوةَ القاطعةَ عن الجمع والجماعات مَنْهِيٌّ عنها.

فـالمعتكف قـد حَبَسَ نفسَـهُ علـى طاعـة الله وذكـرِه، وَجَـالَ فـي ملكـوت السـموت والأرض بنظـرِهِ وفكـرِه، وأطلق لسانه بحمد الله وشكره.

إن حقيقـةَ الإعتكـاف قطـعُ العلائـق، عـن جميـع الخلائق، لِلتَّفَرُّغِ لعبادةِ الله الخالق، وكلما قَوَيْتِ المعرفةُ بـالله والمحبـة لـه والأنـس بـه أورثـت صـاحبها الانقطـاع إلى الله تعالى المتعال، والتعلق به على كل حال؛ هكذا كـان اعتكـاف رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مفارقـة الخلـق، واتصـالاً بِالْإِلَـهِ الْحـق، تخلَّـى عـن النـاس طـرا، واشــتغل بــذكر الله جهــراً وســرا، وفــي هــذا تحصــيلٌ لمقصود الاعتكاف، عَكْسَ ماعليه المعتكفون في هذا العصر، من اتخاذ الْمُعْتَكَفِ مُنْتَدًى للحديثِ والسمرِ مـع الأصـحاب، وأكـلٍ وشـربٍ ممـا لَـذَّ وطـاب، يتجـاذبون

أطراف الحديث، ويجولون في مَجَالَاتِ مُتَعَدِّدَةٍ من قديمٍ وحديث، يُدِيرُ أحدُهم عَمَلَهُ وهو في مُعْتَكَفِهْ، وكأنما هو في معرضِهِ أو مصرفهِ، فهذا اعتكاف من نوعٍ جديد، وأما الإعتكاف النبوي فإقبالٌ على الربِّ وإعراضٌ عن العبيد.

فعلى المعتكف أن يقتديَ برسول الله في اعتكافِه، منذ دخوله فيه حتَّى انصرافِه، وذلك بالإكثار من الطاعات كالصلاةِ وتلاوةِ القرآن، والدعاءِ والذكرِ بالقلب وباللسان، واجتناب ما لا يَعْنِيه، ومالا فائدة فيه، حتى ينال بذلك فضيلةَ الإعتكاف، وما يترتب عليه من الْمِنح والإتحاف، ومن ذلك ما رُوِيَ عن علي بن الحسين عن أبيه رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنِ اعْتَكَفَ عشراً في رمضان كان كحجتينِ وعمرتين» [رواه البيهقي].

واخرج البيهقي والطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«مَـنِ اعْتكـف يومـا ابتغـاء وجـه الله تعـالى جعـل الله بينـه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين».

ومـن الأعمـال الصـالحة، التـي لهـا فـي رمضـان مزيـةٌ واضــحة، أَدَاءُ مناســكِ العمــرة، فقــد ثبــت عــن النبــي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عمرةٌ في رمضان تعدل حجـة» [أخرجه البخاري ومسلم]. وفـي روايـة: «تَعْـدل حجـة معـي». فـإذا أردت أن تفـوز بهـذه المعيـة، وتحـوزَ هـذه الأفضلية، فما عليك إلا أن تَعْتَمِرَ في هذا الشهر الكريم، لتفوزَ بهذا الفضل العظيم.

وإن لـم تَتَيَسَّـرْ لـك ألأسـباب لأداء العمـرة، لبعـد المسـافة أو عـدم القـدرة، فإيـاك أن تتحسـر، ولا يَتَكَـدَّرْ قلبُكَ ولا يتغير، فقد فتح الله لك مجالاً آَخَر، وذلك أن تقعدَ في مصلاك الذي أَدْيَّتَ فيه صلاةَ الغداه، تذكرُ الله حتى تطلع الشمس ثم تُصَلِّي ركعتين فيكتب الله لك بذلك ثوابَ مَنْ حَجَّ واعتمر، بدونِ اقْتِحَامِ مَشَقَّةِ السفر، تفضلاً وتكرماً من الرَّحمنِ الرحيم، ذلك فضل الله يؤتيه

من يشاء والله ذو الفضل العظيم، أخرج الترمذي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من صلَّى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلَّى ركعتين كانت له كأجر حجةٍ وعمرةٍ تامّة تامّة تامّة» [صححه الألباني].

فلا تفوتك هذه الغنيمة الباردة، فما أعظمها من فائدة، ومع تَيَسُّرِهَا وعظيمِ ثوابها فكم من نفسٍ عنها راقدة، فاحرص على فعل الخير وسلوكِ النهج القويم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾..

ومما يتأكد استحبابُه، ويتضاعفُ في شهر رمضان ثوابُه ذكر الله العزيز الغفار، آناء الليل وأطراف النهار، وقد جاء في حديث سلمان واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادةُ أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذونَ به من النار.

هذه هي الآعمال الصالحة التي يخصها الصائمون بمزيد العناية، في شهر رمضان شهر الخير والهداية، فَلَنْغْتَنِمْ فرصة مواسم الخير والهدى، فَمَا أَمْكَنَ اليوم قدلا يُمْكِنُ غدا، حذار حذار أن تذهب أوقاتُنا سدى، فلقد سارع المتقون وتأخرنا، وسبقوا وأبطأنا، ذاقوا حلاوة الطاعة فاستكثروا منها، وتجرعنا مرارةَ المعاصي ولم نُقْلِعْ عنها، فيا أيها المتكاسل عن الطاعة حتى متى هذا الكسل، وإلى متى هذا الفتور والملل، ألا تتغانم فسحة الأمل، قبل دنو الأجل، قبل أن ينزل الموت بِفِنَائِك، وَيَخْتَطِفُكَ من بين نسائِك وأبنائك، فَتَتَمَّنَى الْإِمْهَال، لِتَتَزَوَّدَ بصالح الأعمال، لكن أَنَّى لك برجوع الروح بعد مُضِيِّهَا، أَنَّى لك بِنَشْرِ صحيفتِكَ بعد طَيِّهَا، أما سمعتَ قولَ العليمِ الخبير: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾.

اللهم وفقنا للأعمال الصالحة، والتجارة الرابحة، حتى نحظى بالمآل الحسن، والعقبى المحمودة، يوم

لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؛ اللهمَّ ارْحَمْ غربتنا في القبور، وآمنَّا من الفزع يوم النشور، وثبتنا على الصراط يوم العبور، واسقنا من حوض نبيك من شرابه الطهور، إنك رحيمٌ غفور، عليم بذات الصدور، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*   *   *

قيـــام الليل

الحمدلله الذي وَفَّقَ من شاء لعبادته فرضا ونفلاً، وأفاض عليهم ما أفاض من جزيل الثواب تكرماً منه وفضلا، يقبل على من اقبل عليه ويسهل له فعل الخير فيكون عليه سهلا.

نسأله تعالى أن يُنَعِّمَنَا بمناجاته، ولذيذ خطابه وإن لم نكن لذلك أهلا،

فَاحْرِصْ أيها المسلم على أن تكون من عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فَاتَّصِفْ بوصفهم وانتظم بصفهم تَنَلْ عِزًّا وإكراماً.

إذا صُفَّتِ أقدامَهم في الدُّجى فِيَ الليلِ يا حسرةَ الغافلين

وطاب المنام، لأهل السقام وطابتْ مناجاةُ أهل اليقين

فيا لله ما أَطْيَبَهَا مِنْ مناجاة، وما أَلَذَّهَا من ملاقاةَ،

قال عنها من أُفِيضَ عليهِ مِنْ غيثِها الصَّيِّبْ «إنْ كَانَ أَهْلُ الجنَّةِ في مثلِ ما نحنُ فيه إنَّهم لَفِي عَيْشٍ طَيِّب».

وقال بعضُ الصالحين: «أهلُ الليل في ليلِهم أَلَذُّ من أهلِ اللهوِ في لَهْوِهِم».

لِمَا يجدونَ من نعيم الْأُنْسِ بالله الذي يُنْسِي كُلَّ نَعِيم، وما تَهُبُّ بِهِ عليهم نسائِمُ الأسحار التي هِيَ أَبْرَدُ من كُلِّ نسيم، فما كان لهم من أمل بطول الحياة إلا لِيَقِفُوا على بابه، وَيَنْعَمُوا بلذيذ خِطابه، حتى قال قائلهم:

لولا الاستغفار وقت الأسحار، وتلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ما أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ في هذه الدار.

لو رأيتَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ وقد نصبُوا أقدامهم، وَافْتَرَشُوا جِبَاهَهُم، يدعونَ الله ويستغفرونَه، ويحمدونَهُ ويُكَبِّرُونَه، قد أَسْهَرُوا الْأَجْفَان، وَأَتْعَبُوا الْأَبْدان، والدموعُ من أَعْيُنِهِمْ كَالصَّيِّب الْهَتَّان، إِذاً لَرَأَيْتَ قوماً هُمْ بالملائكةِ أَشْبَهْ، فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا الْغَافِلُ تَنَبَّهْ، وَخُذْ نصيبَك من قيامِ الليل ولا تَغْفَلَ فما الله بغافلٍ عمَّا تَعْملَ.

قُمَ في الدَّجى وَاتْلُ الْكِتَابَ الْمُنْزَلَا

وَاحْذَرْ بِأَنْ تُدْعَى لَهُ وَتَقُولُ لَا

طُوْبَى لِمَنْ أَحْيَا اللَّيَالِي تَالِياً

آيَ الْكِتَابِ مُرَتِّلاً مُتَبَتِّلَا

بُوْرِكْتَ يامن يُسْهِرُ العينين في

ترتيلِ قرآنٍ ويبكي إِنْ خَلَا

في ظِلِّ عرشِ الله فَازَ بِظِلِه

قَدْ جَاءَ هذا فِي الحديثِ مُفَصَّلَا

وكم في قيام الليلِ من خيرات، وكم فيه من بركات، فيه ساعةُ الإجابه، مَنْ دَعَى الله فيها أَجَابَهَ، قال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في الليلِ ساعةً لا يُوَافِقُها رجلٌ مسلمٌ يسألُ الله تعالى خيراً من أمرِ الدنيا والآخرةِ إلا أعطاه إيَّاه و ذلك في كلِّ ليله».

وفيه النُّزُولُ الإلهي قال صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربُّنا كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليلِ الآخِر فيقول هل من داعٍ فاستجيبَ له هل من سائلٍ فأُعطِيَه هل من مستغفرٍ فَأَغْفِرَ له».

وبالذكر والوضوء والصلاة تُحَلّ عُقَدُ الشيطان، الذي يعقدها على قَافِيَةِ الإنسان، فيصبح نشيطاً طَيِّبَ النفسِ وَإِلَّا أصبح خبيثَ النفس كسلانا.

ولا شك أنَّ قيام الليل ثقيلٌ على النفس ثقيل، وليس إليه مِنْ سبيل، إلا بمجاهدةٍ وصبرٍ جميل، وَأَيُّ شيءٍ أصعبُ على الإنسان مِنْ أَنْ يقومَ عن فراشِهِ اللَّيِّنِ وَامْرَأَتِهِ الْحَسْنَاء ونومِهِ اللذيذ إِلَّا أَنَّ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلِيهِ مَا بَذَلَ ولهذا جاء في الحديث الشريف: «ثلاثةٌ يحبُّهم الله ويضحكُ إليهم ويستبشرُ بهم فذكر منهم الذي له امرأةٌ حسناء وفراشٌ لَيِّنٌ حَسَن فيقوم من الليل فيقول الله عزوجل يَذَرُ شَهْوَتَهُ «أَيْ مِنْ أجلي» وَلَوْ شَاءَ لَرَقَدَ.

ومن جَاهَدَ نفسه في البدايه، إِستراح في النهاية، وَأَنِسَ بقيامِ الليل وَارْتَاح، ووجد فيه طمأنينةَ القلبِ وراحةَ الأرواح، أَلَا وإنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أدومُها، وقليل دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطع، ومن تَعَوَّدَ قيامَ الليل فَلْيُوَاظِبْ عليه باستمرار، وإن فاته ليلاً قَضَاهُ في النهار، فقد جاء في الحديث: «مَنْ نَامَ عن حزبِهِ من القرآنِ فَقَرَأَهُ ما بين الصبحِ والظُّهر، كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل، وكان نومُهُ عليه صدقه»، والحمدُ لله القائل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾.

إنَّ قيام الليل عظيمٌ قدرُه، كبيرٌ أجرُه، كثيرٌ خيرُه، يُحَطُّ به عن القائم وِزْرُه، ويُشرح صدرُه، ويُيَسَّرُ أمرُه، ويكون ذا قلبٍ نقيٍّ ووجهٍ ناصع، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾.

وروى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُحْشَرُ الناس في صعيدٍ واحد فينادِي منادٍ

فيقـول أيـن الـذين تتجـافى جنـوبُهم عـن المضـاجع، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب».

فأيُّ نعمةٍ أكبر من هذه النعمة، وَأَيُّ مكافأةٍ أكبر من هذه المكافأة، إنها النعيم الدَّائِمُ والفضلُ الواسع، فهنيئاً لقومٍ تتجافى جنوبُهم عن المضاجع.

لقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويرغب فيه، ولا يَدَعُهُ سفراً ولا حضرا، وكان يُوْقِظُ اهله ويقول: «أيقظوا صَوَاحِبَ الْحُجَرَات، رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة».

وكان يطرقُ باب عليٍّ وفاطمة ويقول: «أَلَّا تقومانِ فَتُصَلِّيَان».

وكان يُرَغِّبُ أُمَّتَهُ في قيام الليل ويحثهم عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ الله رجلاً قام من الليل فصلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فإن أَبَتْ نَضَحَ في وجهِها الماء، رَحِمَ الله امْرَأَةً

قامتْ من الليل فصلَّتْ وأيقظتْ زوجَها فإن أبى نَضَحَتْ في وجهِهِ الماء».

وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه أن رسـو ل الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ الليل وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا ركعتين جَمِيعاً كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ الله كثيراً والذاكرات».

وعلى هذا المسلكِ السَّوِي، وَالْمَنَهَجِ النَّبَوِي، سار الصحابة والتابعون، فكان عمرُ بن الخطاب يصلِّي من الليل ما شاء الله أن يُصَلِّيَ ثم يوقِظُ أهلَهُ للصلاة، ويتلو هـذه الآيـه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وكانـتِ امْـرَأَةُ أَحَـدِ الصـالحين تُوْقِظُـهُ للصَّـلاةِ فـي الليـل وتقـول، قـد ذَهَـبَ الليـلُ وبـين اَيْـدِينَا طريـقٌ بعيـدٌ، وَزَادُنَـا قليـل، وَقَوَافِـلُ الصـالحين قـد سـارتْ ونحـنُ قـد بَقِينَا.

فياللهِ هذه المرأةُ الصالحة، التي تَحَثُّ زوجَها على التجارةِ الرابحة، وَأَنَّى لنا بمثلِها في هذا الزمان، الذي فُقِدَ فيه الْمُسَاعِدَ على الخير وَقَلَّ الْأَعْوَان.

على أنه لا يخلو زمان منهم إِنْ شاءالله تعالى، وقليلٌ مَاهُمْ، أَلاَ فَتَعَاوَنُوا على الْبِرِّ والتقوى، فَالْأَخُ بأخيهِ يَنْشَطُ وَيَقْوَى، والمؤمنونَ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُهم بعضا..

اللهم يامن وَفَّقَ أَهْلَ الخير للخير وأعانهم عليه، وَفِّقْنَا للخيرِ وَأَعِنَّا عليهِ وَتَقَبَّلْهُ مِنَّا، اللهم اهدِنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وباركْ لنا فيما اعطيت، وَقِنَا شرَّ ما قضيت، نستغفرُك اللهم ونتوبُ إليك، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

من آداب الصيام

الحمـد الـذي خلـق فسـوَّى، وقـدَّر فهـدى، ونسـألُهُ التوفيقَ لِلسَّيْرِعلى الْمَنْهَجِ الْأَقْوَى، وَاَنْ يُحَقِّقَنَا بالتَّقوى، وَمُرَاقَبَتِهِ في السِّرِّ والنَّجْوى، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير مـن صـلَّى وصـام، وتهجَّـدَ وقـام، أَرْشَـدَنَا إلـى آدابِ الصِّيام، وَالتَّخَلُّقِ بأخلاقِ الكرام، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آلِهِ وصحبهِ أفضلَ صلاةِ وَأَتَمَّ سلام.

وبعـد

فـإنَّ حقيقـة الصـيام، لا تتوقـف علـى تـرك الشـراب والطعام، وغيرهما من المفطرات الحِسِّيَّه، بل لاَ بُدَّ مع ذلك مِنَ التَّحَقُّقِ بآداب الصيام المعنويَّة، التي لا يكملُ الصـيامُ إلا بهـا، ولا يُقْبَـلُ إلا بالأخـذِ بأسـبابِها، وَأْتُـوا الْبُيُوتَ من أبوابِها واتقوا الله لعلكم تفلحون.

ولهذا جاء في الحديث عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصيام جُنَّةٌ فإذا كان يومُ صيام أحدكم فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ وإن سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِني صائم» [رواه البخاري ومسلم].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «من لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه».

قال جابر رضي الله عنه إذا صمتَ فليصم سَمْعُكَ وبصرُكَ ولسانُك، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ. ولا تجعلْ يوم صومِكَ ويوم فطركَ سواء.

ان من آدابِ الصيام ان يصومَ اللسان عن السب واللعان، والكذبِ والبهتان، وهذا مطلوبٌ في رمضانَ وغير رمضان، إلا إنه في رمضان آكَدُ وَأَوْجَبُ، ومن العجب العجاب، ان يمتنعَ الصائم عما أَحَلَّ الله من الطيبات، ويتناول ما حَرَّمَ عليه من منهيات، يَبْنِيْ قصرا، ويهدِمُ مصرا، كيف ينال بركة الصيام وأسرارَه، وثوابه وأنوارَه، مَنْ اطلق لِلِسَانِهِ الْعِنان، في السبِّ واللعان،

والفحشِ والبهتان، أَوَ مَا بلغَهُ قولُ سيِّدِ ولد عدنان، ليس المؤمن بطعَّانٍ ولا لعَّان.

إِلاَ إِنَّ جرحَ اللسان، آلَمُ مِنْ جُرْحِ السِّنان، وعثرةَ الفم، أَشَدُّ خطـراً من عثرةِ القدم.

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِهِ ... وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجْلِ

فعثرتُـهُ بـالقولِ تُـذْهِبُ رَأْسَـهُ ... وعثرتُهُ بِالرِّجْـلِ تَـبْرَأُ بالمهـل

رَحِمَ الله سلفنا الصالحين، كان أكلُهم فاقه، ونومُهم غلبة، وكلامُهم ضروره «رحم الله امرأ قال خيراً فغنم، أو سكت عن شرٍ فَسَلِم»، قال ابنُ مسعودٍ والله مافي الأرض أَحَقُّ بطولِ حبسٍ مِنَ اللِّسَان، كيف وقد أحاطَهُ الله بِدَرْبَيْن، دربٌ من عَظْمٍ: الاسنان، ودربٌ من لَحْمٍ: الشفتان..

إِحفـظْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يَلْدَغَنَّــكَ إِنَّــهُ ثُعْبَــانُ

كم في المقابرِ من قتيلِ لِسَانِهِ ... كانتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

أخي الصائم إنَّ الصوم يُحَلّيكَ بالاخلاقِ الكريمه، ويبعـدُكَ عـن الصِّـفَاتِ الذميمـه، يبعـدُك عـن الكـذب، والفجور، والغيبةِ والنميمةِ وقولِ الزُّور.

فإياكَ والكذب في رمضان وفي غيرِه، ألا وإنه في حق الصائم أَعْظَمُ حرمةً واشدُّ عقابا، «ولايزال العبدُ يكذبُ ويتحرَّى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كَذَّابا».

وإياك والغِيبة وهي ذكرُكَ أخاك بما يكره في خَلقه أو خُلقه فإن قلت مافيه فقد اغتبتَهْ وإن قلتَ ما ليس فيه فقد بَهَتَّهْ وكلاهما مذموم، وأنت بهذا لأخيك ظلوم، وعند الله تجتمع الخصوم.

واحذرْ أن تسعى بين الناس بالنميمة، فأنها من الصفات الذميمه، التي تُخَالِفُ الإسلام وتعاليمه، وهي نقل الكلام من فلان إلى فلان، على وجه الفتنة بينهما وزرع الأظغان، إنها من الذنوب المهلكه، والأدواء الفاتكة، وفي الحديث الشريف عن خيرالأنام، لا يدخل الجنة قَتَّات أي نمام، وكما تصونُ اللسانَ عن الكلام

الحرام وابتداعِه، فَصُنْ أُذَنَيْكَ عَنِ سَمَاعِه، فإن أنت أصغيتَ إليه، كان عليك من الإثمِ مثلما عليه.

وسَمْعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيحْ   كصونِ اللسانِ عَنِ النُّطْقِ بِهْ

فإنَّكَ عند سماعِ القبيحِ   شريكٌ لقائلِهِ فَانْتَبِهْ

فياأيها المسلم إحفظْ أذنيك عن سماع المحارِم، ولا تصغ إلى المآثم، فمن ملا أذنيه من كلام المجون، المنثور منه والموزون، تَصِمُّ أُذُنَاهُ بعد ذلك عن سماعِ العلمِ النافعِ والمواعظِ الحسنة، وَيُحْرَمُ مِنَ الْأِنتظامِ في سلك قولِهِ تعالى ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾، وَرُبَّ كلمةٍ آثِمَةٍ نفذت إلى القلب فزلزلتْ أَرْكَانَهْ، وخربتْ بُنيانه، فكن من عبادِ الله الصالحين الذين إذا مَرُّوا باللغوِ مروا كراما، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا سلاما.

كما أنَّ من آداب الصيام، حفظُ العينِ عن النظر الحرام، فكم جَلَبَتِ الأنظار، من مصائبَ واخطار، وكم

أَشْـعَلَتْ مـن فِتنـه، وكـم جلبـت مـن مِحْنَـهْ، وَرُبَّ نظـرة، أَوْرَثَتْ حسرة.

كُلُّ الْحَوَادِثِ مبداها مِنَ النَّظَرِ   وَمُعْظَمُ النارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
والمـرءُ مـادام ذا عـينٍ يُقَلِّبُهَـا   في أَعْيُنِ الْغِيدِ موقوفٌ على الخطرِ

ألاَ فَغُضُّوا الأبصار، تسلموا من الأضرار، وَتَظْفَرُوا بِالْمَسَـار، فمـن غـضَّ بصـرَهُ طاعـةً لربـه، أَوْرَثَـهُ الله إيمانـا يَجِدْ حلاوتَه في قلبه.

واعلم أن نظر الله إليك، أَسْرَعُ وأسبقُ من نظرِكَ إلى ما حَرَّمَ عليك، فلا تُلْقِ بنفسِكَ في الخطر، وكن من الله على حذر، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالْعِبَادِ ﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كُلَّ عين باكيةٌ يوم القيامة إلا عينٌ بكت من خشيةِ الله وعينٌ غَضَّتْ عن محارم الله وعينٌ سهرتْ في سبيل الله.

إِنْ صمتَ لا ترفُثْ ولا تَفْسُقْ ولا   تَجْهَلْ وَحَاذِرْ أَنْ تقولَ الزُّوْرَا
لِيَصُـمْ لِسَـانُكَ عَـنْ كـلامٍ فَـاحِشٍ   وَالْعَـينُ لاَ تَنْظُـرْ بِهَـا مَحْظـورا

وَالْأُذْنُ لاَ تُصْغِ بهـا إِلَّا إِلى خَيْرٍ دَعِ الْأَلْحَانَ وَالطُّنْبُورا
وَاثْبُتْ عَلَى مَا اعْتَدَتَ مِنْ خيرٍ تَفُزْ وَغَداً تُلَقَّى نَضْرةً وَسُرورا

اللهم طَهِّرْ قلوبنا من النفاق، وألستنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم اجعلنا ممن صام عن الآثام، كما صام عن الشراب والطعام، وتقبل منا الصيام والقيام، ياذا الجلال والإكرام، وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله الكرام، وصحبه الأعلام، والحمدلله في البدء والختام.

* * *

غزوة بدر الكبرى

الحمد لله وليِّ المتقين، الذي يَتَوَلَّى الصالحين، وعد المؤمنين بالنصر المبين، فقال وهو أصدق القائلين، وكان حقًّا علينا نصرُ المؤمنين، اللهم صلِّ وسلِّم، وبارِكْ وكرِّم، على إِمامِ المجاهدين، وقائدِ الْغُرِّ المحجلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الْغُرِّ الْمَيَامِين، الذين جاهدوا في الله حَقَّ الجهاد، وفازوا بإحدى الحسنيين النصرِ أَوِ الاستشهاد، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين من يومِنا هذا إلى يوم التناد.

أما بعد فإنَّ شهر رمضان المبارك هو شهرُ الخير والبركات، شهر الجهاد الانتصارات، شهر الغنائم والفتوحات، وإنَّ المتتبع للانتصارات العظيمة التي أحرزها المسلمون الأبطال، يَجِدُ أن كثيرًا منها كان في شهر رمضان المبارك، فغزوة بدر الكبرى.

كانت في شهر رمضان ، والفتحُ العظيمُ فتحُ مكةَ المكرمة كان في شهر رمضان، وفتحُ الأندلسِ على يدِّ القائدِ المظفّر «طارق ابن زياد» كان في رمضان، ومعركةُ عينِ جالوت التي قضى فيها المسلمون على الزحفِ التتاريّ البغيض كانت في شهر رمضان المبارك شهر الجهاد والفتوحات، شهر الخير والبركات؛ شهرٌ تجلَّتْ فيه الملاحم والبطولات الإسلامية، في أبهى صُوَرِهَا، على أيدي رجالٍ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذا ما جَنَّ عليهم الليل كان لهم دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النحل بالأذكارِ وقراءةِ القرءان، فإذا أشرقِتْ شمس الصباح كانوا فرسانَ الميدانِ، المتفوقينَ على الأقران، نصروا دين الله تعالى وطبقوا شرعه الحنيف، فأكرمهم الله بنصر من عندِه، وَأَيَّدَهُمْ بِجُنْدٍ من جُندِه.

وإنَّ معركة بدرِ الكبرى درةٌ ناصعة نادِرة، ونجمةٌ مضيئةٌ زاهرة، في تاريخ الأمجاد والانتصارات الإسلامية، نصر الله فيها الْفِئَةَ القليلةَ المؤمنة، على الفئةِ

الكثيـرةِ الكـافرة، نصـر الله فيهـا رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم ومـن معـه مـن المـؤمنين، الـذين اتبعـوا نبيهم عليه السـلام فـي السـراء والضـراء بصـدق وإخـلاص، وثبتـوا كالجبال الراسية على ما هم عليه من هدى وإيمان.

لَمَّا اسْتَقَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُهُ في المدينة المنورة، وَشَاءَ الله لهم أن يحيوا بمعية نبيهم الكـريم حيـاةً نيـرة، طـاب لهـم فـي طيبـة المقـام، وَأَدَّوْا شـعائِرَ ديـنهم باطمئنـانٍ وسـلام، ونَعِمُـوا بِطِيـبِ الْعيش،وارتاحت نفوسُهم، واطمأنت أرواحُهم بعد العناء والآلام التي كانوا يلاقونها في مكة، لكن ذلك أَثَارَ غَيْظَ الكفـرةِ الملحـدِين، وأقلقهـم كـل القلـق، فأرسـلوا إلـى عبد الله بن أُبي بن سلول حيث كـان رئيس الأنصـار قبل الهجرة كتابًا يقولون فيه: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لَنُقَاتِلَنَّهُ أو لَتُخْرِجَّنَه، أو لَنَسِيَرنَّ إليكم بأجمعِنا، حتى نَقْتُـلَ مُقَـاتِلَتَكُمْ وَنَسْـتَبِيحَ نِسَـاءُكم، وأرسـلتْ قـريشٌ إلـى

المسلمين تقول: لَا يُغَرَّنَّكُمْ أنكم أَفْلَتُّمُونا إلى يثرب سنأتيكم فَنَسْتَأْصِلُكُمْ ونبيدُ خضراءَكم في عَقْرِ دارِكم.

وَأَمَامَ هذا التهديد، والوعيد الشديد، كان على المسلمين أن يُعِدُّوا أنفسَهم لمجابهة هولاء الأعداء الْأَلِدَّاء، وَأَذِنَ الله لهم بالقتال، لِيَرُدُّوا كيد أهل الكفر والضلال، قال العليم الخبير، في الكتاب المنير، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

ونما إلى علم المسلمين أَنَّ عِيراً لقريش قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان، ألف بعير موقرة بالأموال، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأصحابه الكرام: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن يُنَفِّلْكُموهَا» ولم يعزم على أحد بالخروج، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائةٍ وأربعةَ عشرَ رجلاً بِفرسَيْنِ وسبعين بعيرًا يتعاقَبُونَها.

وَدَفَعَ لِواءَ القيادة لمصعبِ بن عمير، وَقَسَّمَ الجيش إلى كتيبتين، كتيبةِ المهاجرين وأعطى عَلَمَهَا عَلِيَّ بن أبي

طالب، وكتيبةِ الأنصار وأعطى عَلَمَهَا سَعْدَ بْنَ معاذ، وجعل على قيادةِ الميمنة الزُّبيرَ بن العوَّام، وعلى الميسرةِ المقدادَ بن عَمْرو، وعلى الساقةِ قَيْسَ بن أبي صعصعة، وكان صلى الله عليه وسلم القائد الأعلى للجيش.

وَعَلِمَ أبو سفيان بمسيرِ عسكرِ المؤمنين، فأرسل ضُمْضُمَ بن عمرو الغِفاري إلى مكة، فصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره، وقد جَدَعَ أَنْفَهُ، وَحَوَّلَ رَحْلَه، وَشَقَّ قميصَه وهو يقول: يا معشرَ قريش، اللَّطِيمَةَ. اللطيمة، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرَضَ لها محمدٌ في أصحابِه، لا أرى أن تُدركوها، الغوثَ الغوثَ.

فَتَحَفَّزَ الناسُ سِراعًا وتجمَّعَ منهم نحو ألفٍ وثلاثمائةِ مقاتل، في مائة فرس وستمائة درع وجِمالٍ كثيرة، بقيادةِ أبي جهل وقد أَفْلَتَ أبو سفيان بالعير فسار باتجاه الساحل، وأرسل رسالة إلى جيش قريش وهم في الْجُحفة: إنكم خرجتم لتحرزوا عِيْرَكم ورجالَكم وأموالَكم، وقد نجَّاها الله فارجعوا، فَهَمَّ الجيشُ بالرجوع، إلا أنَّ أبا

جهل، قال: واللهِ لا نرجع حتى نَرِدَ بدرًا، فنقيم بها ثلاثًا فَنَنْحَرَ الجزور، ونُطْعِم الطعام، وَنَسْقِي الخمر، وتَعْزِفُ لنا الْقِيَانْ، وتسمعُ بنا العرب وبمسيرِنا وجمعِنا، فلا يزالونَ يهابوننا أبدًا، فسار الجيش من ألف مقاتل حتى نزل قريبًا من بدر وراء كثيب بالعُدوةِ القصوى. بعد أن رجَعَتْ بني زهرة وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل.

ولما بلغ رسولَ الله نَجَاةُ القافلة وخروجُ قريشٍ لمحاربته، جَمَعَ أصحابَهُ الكرام، واستشارهم فيما وَاجَهَهُمْ مِنَ الْمَهَامْ، فقام أبو بكر فَقَالَ وأحسن، وقام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقدادُ بن عمرو فقال: يا رسول الله، اِمْضِ لما أَرَاكَ الله فنحنُ معك، والله لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اِذْهَبْ أنت وربك فقاتلا إنا مَعَكُمَا مُقَاتِلون، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بالحقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بَرَكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا معك مَنْ دُونَهُ حتى تَبْلُغَهُ، فقال

لَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له، وهؤلاءِ القادةُ الثلاثة كانوا من الْمُهاجِرين وهم قِلَّةٌ في الجيش.

فقال عليه السلام: «أَشِيرُوا عليَّ أيُّها الناس» فقال سعدُ بن معاذ: واللهِ لَكَأَنَّكَ تريدُنا يا رسولَ الله، قال: «أجل». فقال سعد: لَعَلَّكَ تخشى أن تكونَ الأنصارُ تَرَى حقًا عليها أَن لَّا تنصرُك إلَّا في ديارِهم، وإني أقولُ عن الأنصار وَأُجيبُ عنهم: قد آمنَّا بكَ وصدقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا على السمع والطاعة، فَامْضِ يا رسول الله لِمَا أَردتَ، صِلْ حَبْلَ من شِئْتَ، واقطعْ حبل من شئت، وسَالِمْ مَنْ شِئْتَ، وَعَادِ من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت مِنَّا كان أَحَبَّ إلينا مما تركت، وما أَمَرْتَ به من أمر فَأَمْرُنَا تَبَعٌ لأمرك، ووالله لَئِنِ اسْتَعْرَضْتَ بنا هذا البحر فَخُضْتَه لَخُضْنَاهُ معك، ما تَخَلَّفَ منا رجلٌ واحد، وإنا لَصُبْرٌ عند الحرب، صُدْقٌ عند اللقاء، ولعلَّ الله يُرِيكَ مِنَّا ما تَقَرُّ به عينُك.

وَسُرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقول سعد ثم قال: «سِيرُوا وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، وَاللهِ لَكَأَنِّيْ أنظرُ إلى مَصَارِعِ القوم».

وَتَحَرَّكَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأصحابه فنزلو بالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بدر، وَاسْتَكْشَفَ عليه السلام الْأَمْرَ بنفسِه، فَعَلِمَ عَدَدَ القوم، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أَشرافِ مكة، فقال لأصحابه: «هذه مكةُ قد أَلْقَتْ إليكم أَفْلَاذَ كَبِدِهَا».

وفي هذه الأثناء بدأت أولُّ بَشَائِرِ النصر في أرض المعركة، أنزل الله المطر، فكان على المشركين وابلاً شديدًا مَنَعَهُمْ مِنَ التحرك، وكان على المسلمين طَلاًّ مفيدا طهرهم الله به، وَأَذْهَبَ عنهم رِجْسَ الشيطان، وَثَبَّتَ بِهِ الْأقدام، وَمَهَّدَ بِهِ المنزل، وَرَبَطَ بِهِ على قلوبِهم.

وَلَمَّا الْتَقَى الفريقان، وَتَراءَى الْجمعان، بَدَأتِ المعركةُ بالمبارزة، حيث خرج ثلاثة من فرسان قريش، هم عتبةُ وشيبةُ إِبنا ربيعة، والوليدُ بن عتبة، وطلبوا المبارزة فخرج إليهم عوف ومعوذ أَبْناءَ عفراء وعبدُ الله

بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهطٌ من الأنصار. قالوا: أَكْفَاءٌ كِرام؛ ما لنا بكم حاجة، وإنما نريدُ بني عَمِّنَا، ثم نادى منادِيهم يا محمد، أَخْرِجْ إلينا أَكْفَاءَنَا مِنْ قومِنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بن الحارث، وَقُمْ يا حمزة، وقم يا علي»، فلم يلبث حمزة وعلي أَنْ قَتَلَ كُلٌ منهما خصمَه، وأما أبو عبيدة فكلاهما أَثْبَتَ خصمَهُ بضربةٍ مُمِيتة، ثُمَّ الْتَحَمَ الصَّفان، وَاشْتَبَكَ الْفريقان، وَأَمَدَّ الله المؤمنينَ بالملائكةِ الأطهار، والقى الرُّعْبَ في قلوبِ الكفار، وَعَمِيَتْ منهمُ القلوبَ والأبصار، فصاروا بين قتيلٍ أو أسِير، أَوْ منهزمٍ يَجِدُّ في الْمَسِير، وكان عَدَدُ القتلى من الكفار سبعين، وعدد الأسرى سبعين، وَاسْتُشْهِدَ من المسلمين أربعةَ عشر، فاضت أرواحهم إلى جنات وَنَهَر، في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

* * *

نماذج متألقة ومثل عليا

وفـي هـذهِ المعركـةِ الفاصـلة، ضـرب رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه الأبطال، أَرْوَعَ الأمثال، فـي البطولـةِ والقتـال، تـدلُّ علـى الشـجاعةِ فـي أروع صُـوِرها، وعلـى البطولـة فـي أَسْـمَى مَظَاهِرهـا، ونبـدأ بِالقُـدْوَةِ الْحُسْـنَى، وَالْمَثَـلِ الْأَسْـنى، الـذي يسـتمِدُّ منـه المسلمون الرُّوْحَ المعنوية، وَالْهِمَّةَ الْعَلِيَّة، فكان حاضراً بنفسه في قلب المعركة، حيثُ يعتكرُ غُبَارُها وَتَضْطَرِمُ نَارُهـا، بـل كَـانَ أقـربَ مـا يكـونُ مـن الأعـداء، نَفْسِـي لَـهُ الْفِداء، قال عليٌّ رضي الله عنه لما كان يوم بدر وَاشْتَدَّ الْبَأْسُ إِتَّقَيْنَا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم فما كان أحدٌ أقربَ إلى المشركين منه، وحين كانوا يَتَعاقَبُونَ الرُّكْوبَ كلُّ ثلاثةٍ على بعير، كان لا يأخذُ إلا نَوْبَتَهُ ثُمَّ يَسِير، وكان يُعْطِي لصاحبيه وَهُمَا عليُّ بن أبي طالب

ومرثـدبن أبـي مرثـد نصـيبَهما مِـنَ الركـوب، حتـى لا يَمَسُّهما لُغُوب، ولم يقبل منهما تنازَلهما له عن نوبتهِما، ويقولُ ما أنتما بِأَقْوَى على المشيِ مني، ولا أنا أغنى عَنِ الْأجرِ منكما.

كمـا تألقـتْ صـورٌ زاهيـة، مـن صُـوَرِ الْبطولـةِ والتضحية، للصَّحابةِ الشُّجعان، خريجي مدرسة القرآن، وتلامذةٍ أفضلِ إنسان، في ذلك الزمانِ وكلّ زمان.

ومن تلك الصورِ المتألقة، والنماذجِ المشرقة، بطولةُ عُمَيرِ بْنِ الحمام، عندما سَمِعَ رسولَ الله يقول والذي نفسي بيده لا يقاتلُهُمُ الْيَوْمَ رجلٌ فَيُقْتَل صَابِراً مُحْتَسِباً، مقبلاً غير مُدْبِر، إلا أدخله الله الجنة فقال عُمُيْرُ بَخٍ بَخ فقال له صلى الله عليه وسلم ما يحملُكَ على قولِكَ بخٍ بخٍ فقال رَجَاءَ أن أكونَ من أهلِها وكان في يده تمراتٌ يأكلُ منهنّ ثم قال لَئِنْ حَيِيْتُ حتى آكلَ تمراتِي هذه إنَّها لحياةٌ طويلة فرمى بهنَّ من يده وَانْدَفَعَ إلى الميدان، وهو يقولُ في ثباتٍ وإيمان :

رَكْضًا إلى الله بغيرِ زادِ إلاَّ التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
والصَّبْرِ في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرّ والإرشادِ

وما زال يقاتلُ حتى فاضتْ روحُهُ إلى مولاها، وَظَفِرَ بالشهادةِ التي يَتَمَنَّاهَا.

ومن الصُّوَرِ الْجلية، والنماذجِ البهية، قِصَّةُ سَوَادِ بن غزية بينما كان النبيُّ يُعَدِّلُ الصفوفَ بِسَهْمٍ لاَ نَصْلَ له، ومن كان خارج الصف عَدَّلَه، ضرب سوادا في بطنه لِيَنْقَاد، وقال اسْتَوِ يَا سَوَاد، فقال سواد يا رسول الله أَوْجَعْتَنِي وقد بعثك الله بالحق والعدل فَأَقِدْنِي مِنْ نفسِك فأخذها منه صلى الله عليه وسلم مَأْخَذَ الْجِدْ، وَكَشَفَ عن بطنِهِ فقال اسْتَقِدْ، فما كان من سواد، إلا أَنِ اعْتَنَقَ بَطْنَ خير العباد، بكل حُبٍّ وَوِداد، فقال له ماحملك على هذا ياسواد، فقال يارسول الله حَضَرَ مَا تَرَى فأردتُ

أن يَمَسَّ جلدي جلدَكَ وأن يكون آَخِرَ الْعَهْدِ بِكَ فَسُرَّ منه صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير.

وصورةٌ مشرقةٌ أخرى، هي بالتنويهِ أَجْدَرُ وَأَحْرَى، وَهِيَ مَوْقِفُ أبناءٍ عَفْرَاء، رواها عبدُ الر حمن بن عوف، كان واقفاً يوم بدرٍ في صَفِّ الْقتال، فنظر عن يمينِهِ والشِّمال، فإذا هُوَ بين غلامين من الأنصار، حديثةٌ اسنانُهما، فلم يَطْمَئِنّ لموقفِهِ بينَهما، فإذا أَحَدُهُمَّا يَهْمِسُ في أُذْنِهِ سِرًّا مِنْ صاحبِه، ياعم هل تعرف أبا جهل بن هشام قال نعم فما حاجتك به ياغلام قال بلغني أنه كان يَسُبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والله لَوْ رأيتُهُ لا يُفَارِقُ سوادُه سوادِي حتى يموتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا وَغَمَزَهُ الآخر سِرًّا من صاحبه وطلب منه مثل ذلك الطلب، فعجب منهما غاية العجب، وما لَبِثَ أن رأى أبا جهل يجولُ بين الناس فقال لهما هذا صاحِبُكما الذي تسألان عنه، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حتى أَشْرَفَ على الموت، وَخَفِيَ منه الصوت، ثم انصرفا يزفان هذه البشرى، إلى

أشرفِ الخلقِ طرا، وقال أيكما قتله قال كلٌ منهما أنا قتلته، قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر إلى سيفيهما فقال كِلَاكُمَا قتله.

هذه بعضُ صُوَرِ البطولة، ومواقف الرجولة، التي تألقت في هذه الغزوة المباركة، وهكذا نصر الله رسوله والمؤمنين، وأكرمهم بهذا النصر المبين، وَارْتَدَّ الكفار على أعقابهم خاسرين، فَقُطِعَ دَابِرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ومن الجدير بالمسلمين أن يَطَّلِعُوا على سيرة هولاء الأبطال، وينشروا مواقفهم البطولية، وتضحياتهم النموذجية بين الأجيال، حتى تُغْرَس في قلوبهم المحبةُ لهم والإجلال، وَتَنْطَبِعَ في نفوسهم هذه الْمُثُلُ العليا

التي هي مضربُ الأمثال، ويقتدون بهم في رفع علم الجهاد والدعوة إلى الدين والتضحية في سبيل ذلك بالأنفس والمال، فينالون بذلك في الدنيا المجد والعز والشرف في كُلِّ مجال، وينالونَ في الآخرة حُسْنَ المآل، مساكن طيبة في جناتِ عَدْنٍ ورضوان من الله أكبر.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعلِ كلمة الحق والدين، ووفق المسلمين إلى العمل بكتابك المبين، وسنة رسولك الصادق الأمين، وامنحهم منك التأييد والنصر، وأكرمهم بيوم كيوم بدر، يحظون فيه بالنصر والتمكين، والفتح المبين، آمين اللهم آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، على أمور الدنيا والدين، القائل في كتابه المبين، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ .

اللهم صل وسلم، وبارك وكرم، في كل لحظة أبدا على سيدنا محمد إمام المتقين، وخاتم النبيين والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم، وعلى آله الْغُرِّ الميامين، وصحابتهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

إن الخشوعَ لُبُّ الصلاةِ وروحُها، وبه تحصلُ بركتُها وفتوحُها، وبدون ذلك فهي جسدٌ بلا رُوح، وبابُ القبولِ دُوْنَها مُغْلَقٌ لا مفتوح..

وأشدُّ من ذلك وَأَرْهَبْ، أنَّ صلاةً بدون خشوعٍ إلى العقوبةِ أَقْرَبْ، وهذا هو الغالب على صلاةِ أهل هذا

الزمان، الَمَمْلُوءِ بِالْمُنُغِّصَّاتِ والأشجان.

فهـم فـي كـلِّ وَادٍ يهيمُـون، وفـي كـل فَلَـكٍ يسبحون، إلاَّ من نَوَّرَ الله بصيرتَه، وأصلح سريرتَه، وقليلٌ ما هم..

والدَّواءُ النَّاجع، وَالْبَلْسَمُ النَّافعِ، لِمَنْ أَرَادَ أن تحظى صـلاتُهُ بـالقبول، وَأَلَّا تُوَاجِـهَ لَوْحَـةَ ممنـوعُ الـدخول، أن يَحْرِصَ كُلَّ الحرص على صلاةِ الجماعة، تَقَرُّباً إلى الله وطاعة، وقد وَرَدَتْ في فضل الجماعهِ أخبارٌ وآثار، عـن النبيِّ المختار، والسلف الأخيار، فيها بُرْهَانٌ ودليل، على مـا تَخْتَصُّ بِـهِ صـلاة الجماعـة مـن تفضـيل، فَلْنُصْـغِ إلـى بعض ماورد في فضلِها، لعلَّ ذلك يحملُنا أن نكـون مـن أهلها..

وهذه هِيَ بعضُ البشائرِ السَّاطعةِ بالبهجةِ والأفـراح، لِمَنْ أَجَابَ نِدَاءَ «حيَّ على الصلاةِ حيَّ على الفلاح».

فمن تلك البشـائر التي تـأتي فـي أولِ العـد، مضـاعفةُ صـلاةِ الجماعـة علـى صـلاةِ الفـرد، قـال صـلى الله عليـه

وسلم: «صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الْفَذِّ بسبعٍ وعشرين درجة» [متفق عليه].

ومن تلك البشائر رفعُ الدرجات، وكتابةُ الحسنات، وَمَحْوُ السيئات، بِعَدَدِ ما تمشي به إلى الصَّلاةِ من خطوات، عن أبى هريرة رضي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلّم: «صَلاةُ الرجل في الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ في بَيْتِهِ وَفي سُوقِهِ خَمْسَة وَعِشرِينَ ضِعْفاً، وَذلِكَ أَنَهُ إذا تَوَضَّأ فأَحْسَنَ الوضوء. ثم خَرَجَ إِلى اْلمَسْجدِ لا يُخْرِجُهُ إِلاّ الصلاةُ. لم يَخْطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ، وَحُط عَنْهُ بِهَا خَطِيئَة، فَإذا صَلى لَمْ تَزَلِ اْلمَلائِكَةُ تُصَلِّى عَلَيْهِ مَا دَام في مُصلاّهُ : اللهمَّ صَلّ عَلَيهِ، اللهم اغْفِرْ له، اللهمَّ ارحَمْهُ، وَلا يَزَال في صَلاةٍ مَا انْتَظر الصلاةَ» [متفق عليه واللفظ للبخاري].

وَمِنَ البشائرِ الثابتةِ في الصِّحَاح، أَنَّ مَنْ غَدَا إلى المسجد أوراح، أَعَدَّ الله له نُزُلاً في الجنة كلما غدا أو راح.

ومن البشائر أَنَّ مَنِ اعْتَادَ الذِّهَابَ إلى المسجد كلما سَمِعَ الأذان، كان ذلك على إيمانه أَصْدَقُ بُرهان، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المسجدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمان».

ومن البشائرِ لكل منيبٍ أَوَّاه «أنه لا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة».

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزالُ أحدُكم في صلاةٍ مَادَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُه».

ومع ذلك فإن الملائكة تدعو له بالرحمة ما دام في مُصَلَّاه، مُنْتَظِراً إقامةَ الصلاة، تقول: «اللهم اغفر له اللهم ارحمه» كما جاء ذلك في حديثٍ صحيح، فيا له من متجرٍ ربيح.

ومن البشائر إكرامُ الله تعالى لمن زاره في بيته وَتَبَشْبُشُهُ إليه قال رسول صلى الله عليه وسلم: «من تَوَضَّأَ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زَائِرُ الله وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورَ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائرَ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يتوضأُ أحدُكم فَيُحْسِنُ وضوءَه وَيُسْبِغُه ثم يأتي المسجدَ لا يريدُ إلا الصلاةَ فيه إلاَ تَبَشْبَشَ الله إليه كما يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائبِ بطلعتِه) وَالْبَشُّ فَرَحُ الصديقِ بصديقهِ حين يلقاه».

واضافةً إلى هذه البشارات العامة لسائر الصلوات فقد وردت بشائر خاصة بصلاة الصبح والعشاء لأنهما أثقل صلاةٍ على المنافقين، ولا ينشطُ لها إلا من كان من ذوي الإيمان بيقين..

فمن تلك البشائر أن من صلى الصبح والعشاء في جماعة، كان كمن أحيا الليل في عبادةٍ وطاعة، قال صلى الله عليه وسلم: «من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلّى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله».

ثم إنه يَبيتُ وَيَظلُّ في حفظ الله و رعايتهِ، وحصنِه وعنايتِه:

وإذا العنايةُ لاحظتك عُيُونُها   نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهنَّ أمانُ

قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى الصبح في جماعةٍ ظَلَّ في ذمة الله حتى يُمْسي ومن صلى العشاء في جماعة أمسى في ذمة الله حتى يُصْبح».

فَحَصِّنْ نفسك من آفات الزمان وشروره بحصنٍ قويِّ المناعة، وذلك بِأَدَاءِ هاتينِ الصَّلاتينِ في جماعة.

ومن البشائر أنَّ من حافظ على أداءِ صلاة الصبح والعصر كان من أهل الوجوه الناضِره، التي إلى ربها ناظره، روى جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال أما إنكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمر. لا تُضَامُّونَ في رؤيتِه. فَإِنِ استطعتُم أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصرَ والفجر. ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾

ولا تزال البشائر تتوالى، من فضل الله تبارك وتعالى، فإن من صلى الصبح والعشاء في جماعة يكون

مـن أهـل قولـه تعـالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾.

قال رسول الله صلى عليه وسلم: «بَشِّرِ الْمشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنُّورِ التَّامِ يوم القيامه» [رواه أبو داود والترمذي].

وبعد هذه البشائرِ العظيمة، والأوسمةِ الفخيمه، فإنه لا يتهاونُ بصلاة الجماعة، ويغفل عنها بالتكاسلِ والإضاعة، إلا من قَلَّتْ في الخيرِ رغبتُه، وَعَظُمَتْ عن الآخرةِ غفلتُه.

فيا أيها المسلمون حافظوا على أداء هذه الصلوات المكتوبات، وواظبُوا على أدائِها في جماعةٍ في أول الأوقات، لتنالوا بذلك رِضَاءَ رَبِّ البريات، وتكون لكم حِصنًا حَصِيناً من جميع المصائب والآفات، وتفوزُوا بجنة عرضُها الأرض والسماوات.

لقد ضرب لنا سلفُ هذه الأمةِ أروعَ الأمثلةِ في المحافظةِ على صلاة الجماعة والاهتمام بها.

روى الإمام البخاري عن ثابتٍ أنه كان مع أنسٍ رضي الله عنه بالزاويةِ فوق غرفةٍ له فسمع الأذان فنزل ونزلت فقارب في الخُطا وقال: كنتُ مع زيد بن ثابت رضي الله عنه فمشى بي هذه الْمِشية وقال: أتدري لم فعلتُ بك ذلك؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم مشى بي تلك الْمِشية وقال: أتدري لِمَ مشيتُ بك؟ قلت: الله ورسوله اعلم. قال: لِيَكْثُرَ عَدَدُ خُطَانَا في طلبِ الصلاة.

وقال بن مسعودٍ رضي الله عنه: لقد رأيتُنا وما يَتَخَلَّفُ عنها (أي صلاة الجماعة) إلا منافقٌ معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادَى بين الرجلين حتى يُقام في الصف».

و ذكر الإمام ابن المبارك عن عَدَيِّ بن حاتم رضي الله عنه قال:

(ما دخل وقتُ صلاةٍ قط حتى أَشْتَاقَ إليها، وما أُقِيمَتِ الصَّلاةُ منذ أسلمتُ إلا وأنا على وضوء)...

وَرُوِيَ عن سعيدِ بن المسيب أنه قال:

(مَا أَذَّنَ المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد) وَلَمَّا اشْتَكَى عَيْنَهُ فقالوا: (لو خرجتَ يا أبا محمد إلى العقيق فنظرتَ إلى الْخُضْرَةِ لوجدتَ لذلك خِفَّة).

فقال: (فكيف أصنعُ بشهودِ الْعَتَمَةِ وَالصُّبْح)..

الله أكبر! إنه يتحمل مرضاً في العين، لكنه لا يتحمل تفويتَ صلاتي الفجر والعشاء في جماعة فأين نحنُ من هؤلاء؟

وَسَمِعَ أذانَ المغرب ثابتُ بْنُ عامر وهو أَحَدُ التابعين وكان مريضاً فقال لأبنائِهِ احْمِلُوني إلى المسجد قالوا له أنت مريض وقد عَذَرَكَ الله فقال لا إله إلا الله أسمعُ حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح ثم لا أُجِيبُ

فَأَصَرَّ على أن يحملُوه إلى المسجد فَحَمَلُوهُ ولما كان في السجدةِ الأخيرةِ من المغربِ فَاضَتْ روحُهُ إلى باريها. وقد كان من دُعَائِهِ اللهم إني أسألك مِيْتَةً حسنة قِيلَ له وما الْمَيِتَةُ الحسنة قال أَنْ يتوفاني وأنا سَاجِد فَاسْتَجَابَ الله دعوتَه، وَحَقَّقَ أُمْنِيَّتهُ.

أَلاّ فَلْتَكُنْ لنا قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ بهؤلاءِ الْقاده، حتى نكون مِمَّنْ لَهُمُ الْحُسْنَى مِنَ الله وَزِيادة.

اللهم وفقنا لما تحبُّ وترضى، وتقبلْ منا ما وفقتنا له من الخيرِ نفلاً وفرضاً.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.

* * *

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

الحمد لله الذي تَطَّمَئِنُّ القلوبُ بذكرِه، أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقلوب.

ويُجْلَبُ الْمَزِيدُ مِنَ النِّعَمِ بِشُكْرِه، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

ونسألُهُ المزيدَ من فضلِهِ وَبِرِّه، ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

وصلَّى الله وسلَّم، وَبَارَكَ وَكَرَّم، على النِّعْمَةِ الْمُسْدُاة، والرحمةِ الْمُهْدَاه، حبيبُ الله وَمُصْطَفَاه، سيدُّنا مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ الله، وعلى آلهِ وصحبِهِ وَمَنْ وَالَاه، وبعد:

فإنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأعمال، الْمَقُرَبَّةِ إلى ذِي الْعِزَّةِ والجلال، ذِكْرُ الله تعالى على كل حال، وَمَا أَمَرَ الله

تعالى بِالْكَثْرَةِ في شيءٍ من الأعمال غُدُّواً وآَصالاً، إلَّا ذِكْرَ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

وإذا ذكرتَ ربَّك وحده، وَكَرَّرْتَ تسبيحَهُ وَحَمْدَه، ذَكَرَكَ الله فِي مَنْ عِنْدَه، فِي الملأِ الأعلى، كما قال جلَّ وعلا، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ إذا ذكرتَ ربك بالتسبيحِ والتحميدِ والتكبيرِ والتهليل، ذَكَرَكَ الله تعالى بالمغفرةِ والرحمةِ والأجرِ الجزيل، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

وفي فضلِ الذكر والترغيبِ فيه، وردتْ آياتٌ بينات، وأحاديثُ مَرْوِيَّات، عن سيدِ الْبَرِيَّات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بخيرِ أعمالكم، وأزكاها عند مليكِكم، وأرفعِها في درجاتِكم، وخيرٍ لكم من إنفاقِ الذهبِ وَالْوَرِقِ، وخيرٍ لكم مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فيضربُوا أعناقَكم وتضربُوا أعناقَهم»، قالوا بلى يارسول الله قال: «ذِكْرُ الله».

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَأَنْ أَقْعُدَ مع قومٍ يذكرون الله منذ صلاةِ الغداة حتى تطلع الشمس أحبُّ أليَّ من أن أُعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيل. وَلَأَنْ أقعدَ مع قومٍ يذكرونَ الله منذ صلاةِ العصر إلى أن تَغْرُبَ الشمس أَحَبُّ أَلِيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أربعة».

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الذي يذكرُ ربه والذي لا

يذكره مَثَلُ الحيِّ والميت». وعن ثوبان رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال بعض الصحابة لو عَلِمْنَا أَيُّ المال خيرٌ فنتخذه أي كنزاً نكنزه فقال صلى الله عليه وسلم: «أفضلُهُ لسانٌ ذاكر، وقلبٌ شاكر، وزوجةٌ مؤمنةٌ تعينُهُ على إيمانه» [رواه ابن ماجه والترمذي].

وفي فضل ثواب حِلَقِ الذكر والاجتماع عليه روى معاوية رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر آلله ونحمده على ما هدانا للإسلام وَمَنَّ به علينا قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل وأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» [رواه مسلم] وقال التابعي الجليل عبيد بن عمير رحمه الله تعالى إنْ أَعْظَمَكُمْ هذا الليل أن تكابدوه،

وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه، فأكثروا من ذكر الله عز وجل.

وقال الإمام الحداد رحمه الله تعالى:

وإن رُمْتَ أن تحظى بقلبٍ مُنَوَّرٍ
نَقِيٍّ عَنِ الأغيارِ فَاعْكِفْ عَلَى الذِّكْرِ
وَثَابِرْ عليهِ في الظلامِ وفي الضِّياء
وفي كلِّ حالٍ باللسانِ وبالسِّرِ
فإنكَ إِنْ لازمتهُ بِتَوَجُّهِ
بَدَا لَكَ نَورٌ ليس كالشمِس والبدرِ
ولكنَّهُ نُوُرٌ مِنَ الله وَارِدٌ
أتى ذِكْرُهُ في سورةِ النُّورِ فَاسْتَقْرِ

وقد وردتْ أحاديثُ عن النبيِّ المختار، في الترغيبِ وَالْحَثِّ على بعضِ الأذكار، وبيانِ ما يترتبُ عليها من أجرٍ عظيم، وثواب جسيم:

ومن ذلك كلمةُ التوحيد لا إله إلا الله فقد جاء عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» [رواه ابن ماجه والنسائي].

وقال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الدعاء دعاء يوم عرفه وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) وورد في حديث آخر أن من قالها مائة مرة كانت له عِدْلَ عشرِ رقاب، وكُتبت له مِائَةُ حسنة، ومُحيت عنه مِائَةُ سيئةٍ، وكانتْ له حِرْزاً من الشيطانِ يومَهُ ذلك حتى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مِمَّا جاء به إلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذلك» [رواه البخاري ومسلم].

وفي فضلِ التسبيح روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتانِ على اللسان ثقيلتانِ في الميزان حبيبتانِ إلى الرحمن

سـبحان الله وبحمـده سـبحان الله العظـيم» [رواه البخـاري ومسلم].

وقال صلى الله عليه وسلم : **«لَأَنْ أَقُوْلَ سبحان الله والحمـد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبـر أَحَـبُّ إلـي ممـا طلعت عليه الشمس»؛ وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبُّ الكـلام إلـى الله أربـع: سـبحان الله، والحمـد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»**.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي. فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام. وأخبرهم أن الجنةَ طيبةُ التربة عذبةُ الماء، وأنها قِيعان، وأن غِراسها، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خـذوا جُنَّـتُكُمْ» قـالوا: يـا

رسول الله أَمِنْ عَدُوٍّ حضر؟ قال: «لا، ولكن جُنَّتُكُمْ من النار. قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فإنهنَّ يأتِينَ يوم القيامة معقبِّات مجنِّبات، وَهُنَّ الباقيات الصالحات».

وعن سعد رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيعجز أحدُكم أن يكسبَ كلَّ يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جُلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبحُ مائة تسبيحة فيُكتب له ألف حسنة، أو يُحطُّ عنه ألف خطيئة».

وفي رواية للحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله: أسلم عبدي واستسلم. وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سَبَّحَ في دُبُرِ كل صلاة ثلاثا وثلاثين وَحَمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين وَكَبَّرَ الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم

قـال تمـام المائـة لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه لـه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غُفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

ومـن أنـواع الـذكر الإسـتغفار، آنـاء الليـل وأطـراف النهـار، قـال صـلى الله عليـه وسـلم مـن لـزم الإسـتغفار جعـل الله لـه مـن كـل هَـمٍّ فرجا ومـن كـل ضـيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. وقال صلى الله عليه وسلم :طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً.

وقـال صـلى الله عليـه وسـلم: «ألا أخبـركم بِـدَائِكم وَدَوَائِكِم ألا إن دَاءَكم الذنوب ودَوَاءَكم الإستغفار».

ومـن صَـيغ الإسـتغفار النبويـة: «رب اغفـر لـي وتـب علي إنك أنت التواب الرحيم».

«اللهـم اغفـر لـي خطـأي وعمـدي وهزلـي وجـدي وكل ذلك عندي».

ومـن أفضـل الأذكـار، الصـلاة والسـلام علـى النبـي المختار، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ

واحدة صلى الله عليه بها عشراً».

وعند النسائي من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحُطت عنه عشر خطيئات وَرُفِعَت له عشر درجات».

فلا يتساهل بهذه الفضائل العظيمة، ويتغافل عن هذه الأجور الجسيمة إلا من كثرت عن الله غفلته، وقلت في الآخرة رغبتُه، وَضَعُفَتْ عَنِ الخير هَمَّتُهِ، أَلاَ فَلِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العاملون، وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون، فلتكن ألسنتُنا رطبةً بذكر الله تعالى، في كل أحوالِنا حتى نحظى من الرب الكريم، بالأجر العظيم، اللهم أَعِنَّا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحُسْنِ عبادتك، اللهم أطلق ألستنا بذكرك وتلاوة كتابك والصلاة والسلام على نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين..

* * *

فتح مكة

الحمد لله الفتاح العليم، العزيز الحكيم، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كَرِهَ المشركون.

اللهم صلِّ وسلِّم، وباركْ وكرِّم، على سيدنا محمد الذي أيدته بنصرك وبالمؤمنين، وأكرمته بالنصر والفتح المبين.

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

اللهم صل وسلم في كل لحظة أبدا على سيدنا محمد النبي المختار، وآله الأطهار، وصحبه الأخيار، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، يحبهم ويحبونه، أَذَلَّةٍ على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾.

وبعد فإن فتح مكة هو الفتح المبين، الذي أَعَزَّ الله به الدين، ونصر به رسوله الأمين، وأصحابه الغر الميامين، طَهَّرَ به بيته العتيق من رجس الكفار والمشركين، إنه الفتح المبارك الذي امتلأت به قلوب المسلمين ابْتِهَاجًا، ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجا، وكان مفتاح هذا الفتح المبين، هو صلح الحديبية بين المسلمين وقريش، فقد كان من بنود هذا الصلح، أن من أَحَبَّ أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن أي قبيلة تنضم إلى أيِّ الفريقين تُعْتَبَرُ جُزْءًا من ذلك الفريق، فأيُّ عدوان تتعرض له أيٌّ من تلك القبائل يُعْتَبَرُ عدواناً على الفريق الذي دخلت في عقده.

وَطِبْقاً لهذا البند دخلت خُزَاعَة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وصارت كلٌّ من القبيلتين في أمنٍ من الأخرى، إلا أن بني بكر، لأمرٍ قضاه الله وَلاَ رَادَّ لِمَا قضى سَوَّلُتْ لهم أنفسُهم أن يُصيبوا من خزاعة الثأر القديم، فأغاروا على خزاعة ليلاً، وهم على ماءٍ يقال له: [الوَتِير] فأصابُوا منهم رجالاً، وأعانتْ قريشٌ بني بكر بالسِّلاح، وقاتل معهم رجالٌ من قريش خِفْيَةً تحت جُنْحِ الظلام، وَإِثْرَ هذا الإعتداءِ السافر، الذي يُعْتَبَرُ نَقْضاً لِلصُّلْحِ، أسرع عَمْرُو بن سالم الخزاعي، حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فوقف عليه، وهو جَالِسٌ في المسجد بين ظهراني الناس فقال أَبْيَاتاً منها:

يا ربِّ إني ناشد محمدَاً حِلْفَ أبينا وأبيهِ الأتلدا

إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

هم بَيَّتُونَا بالوتيرِ هُجَّدَا وقتَّلونا ركعاً وسجداً

فانصر هـداك الله نصر أُيِّداً وأدعُ عبـاد الله يـأتوا مـددا

فيهـم رسـولُ الله قـد تقـلدا أبيضَ مِثْلَ البدرِ يسمو صُعُدَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتَ يَا عَمْرو بْنُ سالم».

وجاء أبو سفيان إلى المدينة محاولاً تجديدَ الصلح بعد نقضِه، فَقُوبِلَ طَلَبُهُ برفضِه، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعِدُّ الْعُدَّة لمهاجمة قريش الذين نقضوا الصلح ونكثوا العهد، ولعشرٍ خَلَوْنَ من شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة من الهجرة، غادر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة متجهاً إلى مكة المكرمة، في عشرةِ آلاف من الصحابة رضي الله عنهم، وَاسْتَخْلَف على المدينة أَبَا رُهْمٍ الغفاري.

ولما كان بالجُحْفَة ـ أو فوق ذلك ـ لَقِيَهُ عَمُّهُ العباسُ بن عبد المطلب، وكان قد خرج بأهله وعياله مسلماً مهاجراً.

وَوَاصَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَيْرَهُ وهو صائم، والناس صيام، حتى بلغ الكُدَيْد ـ وهو ماء بين عُسْفَان وقُدَيْد ـ فأفطر، وأفطر الناس معه.

ولما وصلوا «مَرَّ الظهران» قريباً من مكة، نصبُوا خِيامَهم، وَأَشْعَلُوا عَشْرَةَ آلافِ شُعْلَة نار. فَأَضَاءَ الوادي.

وركب العباس ـ بعد نزول المسلمين بمر الظهران ـ بَغْلَةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، وخرج يلتمسُ، لعله يجدُ بعضَ الحَطَّابة أو أحداً يخبر قريشاً ليخرجوا يَسْتَأْمِنُونَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلَها عِنوة. فسمع صوتَ أبي سفيان فعرفه ومعه بُدَيْلُ بن وَرْقَاء، وهما يتراجعانِ، وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كالليلةِ نيراناً قط ولا عسكراً. قال العباس فقلت: أبا حَنْظَلَة؟ فعرف صوتي، فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك؟ فداك أبي وأمي . قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، وَاصَبَاحَ قُرِيشٍ والله.

قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربَنَّ عُنُقَكْ، فَارْكَبْ في عَجْزِ هذهِ البغلةِ، حتى آتي بكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَسْتَأْمِنُهُ لك، فركب خلفي، ورجع صاحباه. وأخذه العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام :

«ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلمَ أن لا إله إلا الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وَأَوْصَلَك؟ لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد. قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟»، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك: أما هذه فإنَّ في النفس حتى الآن منها شيء. فقال له العباس: وَيْحَكَ أَسْلِمْ، وَأَشْهَدْ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، قبل أن تُضْرَبَ عنقُك، فأسلم وَشَهِدَ شهادةَ الحق.

ثم قال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر فاجعلْ له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آَمِن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن».

ثم رجع أبو سفيانٍ مُسْرِعاً إلى مكة، ونادى بأعلى صوته: «يا معشر قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به. فمن دخل داري فهو آمن، قالوا له قاتلك الله وما تغني عنا دارُك قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن». فهرع الناس إلى المسجد وإلى دُورِهم. وأغلقوا الأبواب عليهم وهم ينظرون من شُقُوقِها وثُقُوبِها إلى جيش المسلمين، ودخل جيشُ المسلمين مكة في صباح يوم الجمعة الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾.

وأخذ المسلمون يهتفون في جَنَبَاتِ مكة وأصواتُهم تَشُقُّ عنان السماء:الله أكبر الله أكبر.

وقد سطعتْ في هذا الفتح المبارك صورًا مشرقة، وَمَشَاهِدُ متألقه، من تلك المشاهد المثيرة، التي تَسْتَنِيرُ بها القلوبُ البصيرة، لقطاتٌ منيرة، عن مواكبِ الفتح الْمُتَأَلِّقَه، وكتائبِهِ الْمُتَدَفِّقَة، وقد أَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب أن يَقِفَ بأبي سفيان، على مَمَرِّ كتائبِ الإيمان، وانطلقت كتائب الفتح المسلمة، كأمواجِ البحرِ المتلاطمة، لكل قبيلة لواء، يرفرف عالياً في السماء، وكلُّ ما مرت قبيلة سأل ابو سفيان عَنِ اسْمِها، بعد أَنِ أنْبَهَرَ بكثافةِ حجمها، ثم يقول مالي ولبني فلان، حتى مَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في كتيبةٍ خضراء فيها المهاجرون والأنصار، أولي بأسٍ شديد، لا يُرَى منهم إلا الْحَدَقَ مِنَ الحديد، فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس، قال هذا رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال مَا لِأَحَدٍ بهولاء من قِبَلٍ ولا طاقة.

ومن المشاهد الوضاءة تَوَاضُعُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فَاتِحاً منتصراً، فلم يكن متجبراً ولا مستكبراً، كان يَتَحَلَّى بالحلمِ والوقار، لا تَجَبُّرَ وَلَا اسْتِكْبار، فكان صلى الله عليه وسلم يُطَأْطِئُ رأسه تواضعاً لله حين رَأَى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أَنَّ شَعَرَ لحيتِهِ لَيَكَادُ يَمَسُّ مُؤَخِّرَةَ رَحْلِه.

وَكَلَّمَهُ رجلٌ يوم الفتح فأخذته رِعْده من هيبتِه صلى الله عليه وسلم فقال له عليه والصلاة والسلام مُهَدِّئاً من رَوْعِهِ الشديد، هَوِّنْ عليك فإني لستُ مَلِكاً إنَّما أَنَا ابْنُ امْرأةٍ من قريشٍ كانت تأكل القديد.

ودخلت جيوشُ الإسلام، إلى البلد الحرام، دون قتالٍ يُذكر، إلا ماكان من صفوان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وقد أرادوا ان يقاوموا لكنهم سُرْعَانَ مَا انْهَزَمُوا وكان فيهم حِمَاس بن قيس ـ كان يُعِدُّ قبل

ذلك سلاحاً، فقالت له امرأته: لماذا تُعِدُّ ما أرى؟ قال: لمحمدٍ وأصحابه. قالت: والله ما يقومُ لمحمدٍ وأصحابه شيء. قال: إني والله لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم، فلما جاءها هارباً منهزماً عاتبته على انهزامِه، ولامته كيف لم يفِ بكلامِه فقال لها معتذراً:

إِنَّكِ لو شَهِدتِ يَوْمَ الخندمهْ إِذْ فَرَّ صفوانٌ وَفَرَّ عكرمهْ
واستقبلتنا بالسيوفِ المسلمهْ تَقْطَعُ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
لم تَنْطُقِي باللَّومِ أدنى كلمهْ ولا طلبتي خَادِماً وَلاَ أَمَهْ

وهكذا أنجز الله وعده لرسوله وللمؤمنين، ودخلوا مكة فاتحين منتصرين.

ومن تلك الصُّورِ الناصعة، صورةٌ متألقةْ عن عَفْوِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَحِلْمِه... ويأتي في مقدِّمة ـ ذلك عَفْوهُ عَنِ ابْنِ عَمِّهِ أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقد كان صديقاً لرسول الله قبل البِعثه وكانت بينهما محبةٌ وموده، فلما بُعِثَ رسول الله نَاصَبَهُ

الْعِدَاء، وقابله بالهجاءِ والإيذاء، وفي غزوة الفتح جاء إلى رسول الله نادماً معتذرا، فأعرض عنه رسول الله لما سبق منه من إيذاءٍ متتابع، وَهِجَاءٍ لاذع، فشكى إلى عليّ رضي الله عنه مَا مُنِيَ بِهِ من الصَّد، وَمَا قُوْبِلَ بِهِ مِنَ الرَّد، فقال له عليٌّ رضي الله عنه وهو الخبيرُ بما طُبِعَ عليه الرسولُ صلى الله عليه وسلم من مكارم الْخِلَال، وما تتوقُ إليه نفسُه مِنْ حَمِيدِ الْخِصَال، وقال لَهُ إئْتِ رسول الله مِنْ قِبَلِ وجهه وقل له ما قال أُخْوَةُ يوسف ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ فإنه لا يرضى أن يكون أحدٌ أَحْسَنَ منه قولا، فأخذ برأيه الصائب، واستقبل رسولَ الله قائلاً له: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين. فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال له ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

فحسن إسلامه بعد ذلك وما رفع رأسَهُ إلى رسولِ الله حياءَ منه ثم كان له في غزوة حنين موقفاً

بُطُولِياً في الثبات والصمود، والدفاع عن سيد الوجود، صلى الله عليه وسلم... ومن صور العفو والصفح اللذين هما عنوان الكرم والفضل، عَفْوُهُ صلى الله عليه وسلم عن عكرمة بن أبي جهل، وكان قد فَرَّ إلى اليمن هَارِبَا، وناقماً على المسلمين وَغَاضِبَا، فجاءتِ امرأتُه إلى رسول الله تطلب له الأمان، فأجابها إلى ذلك بما طُبِعَ عليه من شفقةٍ وإحسان، وحين عاد استقبله رسول الله بالتأهيل والترحيب، ووثب إليه مُرَحِبًا ومؤهلاً بدلاً من اللوم والتثريب، فأسلم وَحَسُنَ إسلامُه، وكانت له مواقف عظيمه في حروب الرِّدَّةِ وفتوحِ الشام...

ومن ذلك العفو الشامل، والصفح الكامل، الذي مَنَّ به على قريش، برغم ما لاقى منهم من سَفَهٍ وطيش، فقد وَسِعَهُمْ صفحُهُ وَعَفْوُه، فأصدر تعليماته القيمة، وتوجيهاته الحكيمة، إلى كتائب الإيمان، وجنود الإسلام، أَلَّا يرفعوا سيوفهم في وجه إنسان، إلا من اعترضهم وبدأهم بالعدوان، ونادى المنادي، في

المجالس والنوادي، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل بيته وأغلق عليه بيته فهو آمن.

وبذلك أَمِنُوا مِنَ الخوفِ والحيف، مِنْ طعنةٍ برمحٍ أو ضربةٍ بسيف.

وحين اجتمعتْ قريشٌ بالمسجد الحرام، ينتظرون ما يُوَاجِهُهُم من سِجْنٍ أو إِعدام، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة المشرفة، وأخذ بِعُضَادَتَي الْباب، وقريشٌ تَنْتَظِرُ ما ينزلُ بهم من عقاب، فقال صلى الله عليه وسلم:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

يا معشر قريش إن الله قد أَذْهَبَ عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وَتَعَاظُمَهَا بالآباء، الناسُ من آدم وآدم من تراب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش ما ترون إني فاعلٌ بكم؟»

قالوا خيرا أَخٌ كريم، وَابْنُ أَخٍ كريـم.

قال صلى الله عليه وسلم: «فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته:

لا تثريب عليكم اليوم... اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وأمام هـذا التسامح الكـريم، وَالْخُلُـقِ الْعظـيم، لـم يسعهم إلا الدخول في الإسلام، بِانْشِرَاحِ صَدْرٍ وَرِضَاءٍ تَام.

وامـتلأت قلـوبهم أُنْسـاً وابتهاجـاً، ودخلـوا فـي دين الله أفواجـا.

ولمـا أَطْمَـأَنَّ النـاس وَأَمِنُـوا ودخلُـوا فـي ديـن الله وَآمَنُوا.

تدفقوا للمبايعة، بقلوب راضية طائعة، وجلس لهم رسول الله على الصفا وبايعوه على السمع والطاعة لله ورسوله فيما استطاعوا.

وبايعنَهُ النساء كما بايعه الرجال، وَكَفَى الله المؤمنين شَرَّ القتال.

ومن المشاهد الناصعة، التي لم تزل أخبارُها شائعةً ذائعة، تطهير الكعبة المشرفة، من الأصنام التي كانت فيها بصورةٍ مكثفة، فقد جاء صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام، وطاف بالبيت العتيق، وكان حول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما؛ فكان يطعنُها بقوسِهِ وهو يتلو ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

فَتَخِرُّ الأصنام لِتَوِّهَا، ساقطةً على وُجُوهِهَا، ولما أتم طوافه، وأَمَّنَ الناس بعد المخافة، دعا عثمان بن طلحه فطلب منه مفتاح الكعبة المشرفة، فدفعه إليه، وَلَمْ يَتَأَبَّى عليه، وكان قد طلبه منه قبل الهجرةِ فَأَغْلَظَ لَهُ المقال،

ونال منه ما نال، فقال له حين ذاك يا عثمان لعلك ترى هذا المفتاح يوماً بيدي أَضَعُهُ حيث شئت، فَتَذَكَّرَ عثمان ذالك الموقف وكيف حقق الله كلام رسوله فأصبح المفتاح بيده، فَأَيْقَنَ أن المفتاح لن يعود إليه بحال، جزاءً ما بَدَرَ منه من سُوْءِ المقال، لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس حقوداً على أحد، وصفحهُ وعفوه ليس له حد، فلما خرج من الكعبة المشرفة قال أين عثمان بن طلحه فَدُعِيَ له فقال هاك مفتاحك ياعثمان، اليوم يوم بِرّوٍ وفاء، خذوها خالدةً تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم.

ومشهدٌ آخر تَهْتَزُّ القلوب لروعتِه، وتزدادُ يقينا بحكمة الله وقدرتِه، ففي يوم الفتح الأنور، الذي اشرق بالنصر وأسفر، لما حَانَتْ صلاةُ الظهر قال صلى الله عليه وسلم أين بلال؟ فقال بلال هَا أَنَا يارسول الله، فأمره أن يرقى على سطح الكعبة فيؤذن، وَأَذَّنَ بلال، فَأَوَّبَتْ معه أَرْجَاءُ مكةَ سهولُها والجبال، فيا لِرَوْعةِ الزمانِ والمكانِ والمناسبة.

عجيبٌ يومُ الفتح الأكبر، يوم أَغَرُّ أَزْهَر، الله أكبر، الله أكبر.

قائد موكب الفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبطال الفتح المهاجرون والأنصار، والبلدُ المفتوحُ مكةُ المكرمة مهبطُ القرآنِ ومنبع الإيمان، والدين هو الإسلام، والمؤذن بلال، ومن هو بلال؟ العبد الضعيف الذي كان يُعَذَّبُ في ذاتِ الله، وكان مولاه أمية يخرج به إلى بطحاء مكة، فَيُلْهِبُ ظَهْرَهُ بالسياط، ويضعُ على بطنه الحجارةَ الملتهبة، وهو يتلقى كل ذالك بصبرٍ وَجَلَد، قائلا أَحَدٌ أحدْ، أَحَدٌ أحدْ.

هاهو اليوم بلال يستوي على ظهر الكعبة المشرفة، ويخاطب الدنيا بشهادةِ الحق، ويجلجل صوتُهُ بكلمة التوحيد، أمام صناديد قريش وزعمائِها، فلا يملكون إلا أن يَحْنُوا رؤسَهم، ويرددون كَلِمَةَ التوحيدِ طوعاً أَوْ كَرْهَا.

ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم

وهي بلدُه، وبها نشأتُهُ وَمَوْلِدُه، تَحَدَّثَ الأنصار فقالوا إن رسولَ الله قد فتح الله عليه أرضه وبلده، فهو يقيم بها ولا يعـود إلـى المدينـة، وبلـغ حـديثُهم هـذا إلـى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فجمعهـم وَطَمْـأَنَهُمْ عليـه الصـلاة والسـلام بمـا اَثْلَـجَ صُـدورَهم وضـاعف حُبـورَهم، فقـال لهـم عليـه الصـلاة والسـلام معـاذ الله المحيـا محيـاكم، والمماتُ مماتَكم.

وكان لفتح مكة أثرٌ عظيم في نفوس العرب جَمْعَا، فشـرح الله صـدورَ كثيـرٍ مـنهم للإسـلام، وأقبلـوا عليـه بِشَغَفٍ وَاهْتِمـام، فللـه الحمـد والمنه علـى مـا أمـد الله بـه رسوله الأمين، مِنَ الفتح العظيم والنصر المبين:

فللــه الحمــد رب الســماوات ورب الأرض رب العـالمين ولـه الكبريـاء فـي السـماوات والأرض وهـو العزيز الحكيم.

*　　*　　*

العشر الأواخر

الحمدلله الواحد الأحد، الفردِ الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُواً أحد.

سبحانه سبحانه هو الحيُّ الذي لا يموت، ذو الملك والملكوت، نِعَمُهُ كثيرةٌ وَالَآؤُهُ لَا تُعَدّ، خَصَّنَا بهذا الشهر الميمون الذي خيراتُهُ كثيرةٌ لا تُحَدّ.

اللهم صلِّ وسلِّم، وباركْ وكرِّم، في كل لحظة أبدا، على نبيك المصطفى، ورسولكِ الْمُجَتْبَى، المبعوثِ بالحق والهدى، وعلى آله وصحبه وَمَنْ بِهِمُ اقْتَدَى، وَجَدَّ فِي الخيرات وَاجْتَهَد، فمن جَدَّ وجد ومن زرع حصد.

أمَّا بعد فهذه هي العشرُ الأخيره، خيراتُها كثيرة، وأجورُها كبيره، وأمطارُ الرحمةِ فيها غزيره، فاغتنموا هذه المواسم، لِتَفُوزُوا فيها بالغنائم، فلكل مجتهد

نصيب، ومن سارع في الخيرات لا يخيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب..

فَأَرُوا الله من أنفسكم خيرا، وَوَاصِلُوا على دربِ الصالحاتِ سيرا، واجتهدوا في العبادةِ أَيَّمَا اجتهاد، واغتنموا اوقاتكم فايامُ العمرِ إلى نفاد، واستبقوا الخيرات وكونوا منها دائماً فِي ازْدِيَاد، فاليوم يوم البذر وغداً يوم الحصاد..

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرتَ حاصداً
نَدِمتَ على التفريطِ في زَمَنِ الْبَذْرِ

* * *

فَشَمِّرْ ففي التشميرِ خيرٌ ونعمةٌ
ولا سِيَّمَا التَّشْمِيرُ في هذهِ الْعَشْرِ
أَلاَ فاغتنمْ خيراتِها واجتهدْ بها
لَعَلَّكَ أن تحظى بها ليلة القدرِ

وَلُذْ بعظيمِ الفضلِ وَارْفَعْ يديكَ في

خشوعٍ وقُلْ ياربِّ يَا مَالِكَ الْأَمْرِ

عفـوٌ كـريمٌ فَاعْـفُ عَنِّـي وَعَـافِنِي

وَجُدْلِي بعفوٍ منك والشرحِ للصدر

عـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالـت: «كـان رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم إذا دخلـتِ العشـرُ الأواخـرُ مـن رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَر» [متفق عليه].

ومعنى شَدَّ المئزر أَيْ إِجتهد في العبادةِ وسارع إلى الطاعـة، وعنهـا رضـي الله عنهـا قالـت: «كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدُ في رمضـان مـالا يجتهـدْ في غيره ويجتهدُ في العشرِ الأواخرِ مـالا يجتهـد في غيرهـا» [رواه مسلم].

لقد كان صلى الله عليه وسلم يَخُصُّ العشرَ الأواخر بمزيد من الاجتهاد، وَيُمَيِّزُهَا عن غيرِها بأعمال خاصَّة،

منها الاعتكاف فإنه يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضان، ومازال يعتكفُها حتى انْتَقَل إلى الرَّفِيقِ الأعلى.

وإنَّما يخصُّها بالإعتكاف ليتفرغَ للعبادة وَحْدَهَا، وَيَشْتَغِلُ بمناجاةِ رَبّهِ واقفاً على أعتابِه، مُتَنَعِّماً بلذيذ خطابِه، مُجْتَمِعَ الْفِكْرَة، مُنْفَرِداً بنفسِه، مُشْتَغِلاً بالذكرِ والدَّعاءِ وتلاوةِ القرآن.

وإليكم هذه الصُّورةَ الْوَضَّاءة، وَالْمَشْهَدَ الْمَتَأَلِّقَ، عن تَهَجُّدِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، يرسمُها ابْنُ مسعود، لصاحبِ المقامِ المحمود، قال: صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً، فلم يزلْ قائما حتى هممتُ بأمرِ سُوء، قيل ماهَمَمْتَ به قال: هَمَمْتُ أَنْ اَجْلِسَ وَأَدَعَهُ. أَيْ لكثرةِ ما أَطَالَ الْقِرَاءَةَ فِي القيام.

وصورةٌ أروعُ وأروع، للشفيعِ المشفع، تنقلُها إلينا السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها تقول: (كان صلَّى الله عليه وسلم يُصَلِّي أربعاً لاَ تَسَلْ عَنْ حسنِهنَّ وطُولهِنَّ، ثُمَّ يصلِّي أربعاً لاَ تَسَلْ عن حسنِهنَّ وطُولهِنّ، ثُمَّ يُوترُ

بـثلاث، وكـان يسـجدُ السـجدةَ قَـدْرَ مـا يقـرأُ أحـدُكم خمسـين آيـة، هـذه هـي صـورةٌ وَضَّـاءَةٌ عـن تهجـدِهِ صلى الله عليه وسلم، وَطُولِ قِيَامِه، وركوعِهِ وسجودِهِ، مع أَنّ الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكنه مع ذلك يقول: أَفَلَا أَكُونُ عبداً شَكُوراً.

خُذْ صورةً وضاءةً وَنَمُوذَجاً ... متألقـاً عَـنْ ليلِـهِ وَتَعَبُّـدِهْ

قد قـامَ في محـرابِهِ مُتَبَـتِّلاً ... لِله جَـافَى جَنْبَـهُ عَـنْ مَرْقَـدِهِ

صلَّى (عليهِ الله صَلَّى) أَرْبَعـاً ... وَبِمِثْلِهَا وَالَى الصَّـلاةَ بمسجدِهْ

عَنْ حسنهنَّ وطولهنَّ فَلاَ تَسَلْ ... ثُمَّ الثلاثُ بها خِـتَامُ تَهَجُّدِهْ

فلتكن لنا برسول الله أسوة حسنة وَخَيِّرَة، بإحياء هذه الليالي النَّيِّرَةَ، وَلْيُضَاعِفْ كُلُّ مِنَّا اجْتِهَادَه، وَيُشَمِّرْ في العبادة، وليكن كُلَّ ليلةٍ من الخير في زيادة، وَلَيَكُنْ يومُهُ خيراً مِنْ أمسِه، وَغَدُهُ خيراً من يومِهِ، فالمؤمنُ لا يشبعُ من خير حتى يكونَ منتهاه الجنه ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

إنَّ علينا أن نجتهد في هذه العشر، لاِغْتِنَامِ ما فيها من الأجر، وَتَحَرّيْ ليلةِ القدر، التي هي خيرٌ من ألف شهر، ويكونُ إِحياءُ هذه الليالي بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان ايماناً واحتساباً غُفِرَ له ماتقدم من ذنبِه».

وَحَذَارِ حَذَارْ، من ضياع الأوقات في حديث الأسمار، واللعبِ والنومِ في ساعاتِ الليل والنهار.

فالمحرومُ من حُرِمَ خيراتِ هذه الشهر وبركاتِه، ولم يتعرضْ لنفحاتِه، فمن خَسِرَ في هذا الموسم متى يَرْبَح، ومن أَضَاعَ الفرصةَ فيهِ فَأَيُّ فُرْصَةٍ بَعْدَهُ تَسْنَح، إن لله في أيام دهرِكم نفحات، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لها، تعرضوا لها بالخشوع وَالْأِخْبَات. والمسارعه إلى فعل الخيرات، والمبادرةِ بالأعمال الصالحات، فعسى أن تكونوا من الفائزين، وتظفروا برضوان الله رب العالمين، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فـاغتنموا الفرصـةَ مازالـت مُوَاتِيـه، وصـلُّوا وصـومُوا مـادمتم تَرْفُلُـونَ فـي ثيـابِ العافيـه، قبـل أن يُحَـالَ بيـنكم وبـين ذلـك بآفـةٍ مـن الآفـات، أو تُصْـبِحُوا فـي عـداد الأموات.

إِغتـنمْ ركعتينِ زُلْفَى إلى الله   مَا دُمْتَ قــادراً مُسْــتَرِيحَا
وإذا ما هممتَ بالنُّطْقِ في البا   طِلِ فاجعلْ مكانَهَ تَسْبِيحَا

كان أَبُو ذرٍ رضي الله عنه يقول أرأيتُم لـو أنَّ أحـدَكم أراد سفرا أليس يَتَّخِذُ مِنَ الزّاد ما يُصْلِحُه وَيُبَلِّغُه قـالوا بلى قـال: فَسَفَرُ القيامةِ أَبْعَدُ فخذوا ما يصلِحُكم حُجُّوا حجةً لعزائم الأمور، وصومُوا يوماً شديداً حَرُّهُ لِحَرِّ يـوم النشـور، وصـلُّوا ركعتين في ظلمـةِ الليـل لظلمـةِ القبـور، وتصدَّقُوا صدقة السِّرِّ ليوم عسير ؛.

فياعبـاد الله أيـامُ الحيـاةِ إلـى نفـاد، والأيـام والليـالي تَفْتِـكُ فـي الأجسـاد، وإذا بلـغ الـزرعُ تمامَـهُ لاَبُـدَّ لـه مـن

الحصــاد، فَلْيَعْتَبِــرِ الأولادُ والأحفــاد، بمصــيرِ الآبــاء والأجداد.

قال بعضُهم لحكيمٍ أَوْصِني قال إنه ليس بينك وبين آدم أبٌ حي أي إنَّ آباءك من لدن آدم عليه السلام إلى أبيك الذي وَلَدَكَ كلُّهم قد ماتوا وَلاَبُدَّ لك أن تصير إلى ما صاروا إليه، وَأَنْ تَقْدَمَ عَلَى مَا قَدِمُوا عليه، فَاسْتَعِدَّ لــذلك بالعمــل الصــالحِ المبــرور، والســعي الحميــدِ المشكور، والتجارةِ التي لا تبور، تَأْمَنْ بذلك من العذاب الأليم، وتحظى بجناتِ النعيم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

اللهم يا مَأْمَنَ كُلِّ وحيد، وَيَا صَاحِبَ كلِّ فريد، يا قريباً غيـر بعيـد، يـا شـاهداً غيـر غائـب، يـا غالبـاً غيـر مغلـوب، نسـألك اللهـم بأسـمائِكَ الْحُسْـنَى، وصـفاتِك الْعُلَى، أن تَقْسِمَ لنا من خيراتِ هذا الشهر، وبركاتِ ليلة القـدر، بـأوفرِ الحـظِّ والنصـيب، يـا سـميعُ يـا قريـب، واجعلنـا اللهـم ووالـدينا وأولادَنـا وإخوانَنَـا وأحبابَنـا مـن

أعظمِ عبادك حظا ونصيبا في كل خيرٍ تقسمُه، ونورٍ تهدِي به، ورحمةٍ تنشرُها ورزقٍ تبسطُه، وَضُرّ تكشفُه وبلاءِ ترفعه، وفتنةٍ تصرفُها واجعلنا اللهم من العائدِينَ إلى أمثالِ هذه الليالي المباركة، في خيراتٍ ومسرات، وعوافي وألطاف، أعواماً بعد أعوام، على ما تُحِبُّ وترضى ياذا الجلال والإكرام.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾.

* * *

ليلة القدر

الحمدُلله الذي يَعْلَمُ السِّرَّ والجهر، بِيَدِهِ الْخلقُ والأمر، أكرمنا بليلةِ القدر، التي هي خيرٌ من ألف شهر، فلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً جَلَّ عنِ الْعَدِّ والحصر،

حمداً لك اللهمَّ يا رحمنُ ... حمداً كثيرا دُوْنَهُ الْحُسْبَانُ
حمداً كثيراً طَيِّباً وَمُبَارَكاً ... مُتَوَالِياً مَا دَامَتِ الْأزمانُ
أَكْرَمْتَنَا يَا ربِّ بالشهرِ الذي ... فيهِ النَّدى والفضلُ والإحسانُ
رمضانُ شهرُ الخيرِ والبركاتِ ما ... أعلاكَ ما أسماكَ يا رمضانُ
أَوَ لَيْسَ فيهِ ليلةُ الْقَدْر التي ... مَنْ قَامَهَا فَجَزاؤُهُ الْغُفْرانُ
يا ربِّ وفِّقْنا وَأَجْزِلْ حظَّنا ... مِنْ خَيْرِها يا ربُّ يا رحمنُ

اللهم صلِّ وسلِّم، وَبَارِكْ وَكَرِّمْ، في كل لحظةٍ أبداً، على سيدنا محمد الذي دَلَّنَا على الْهُدَى ودعانا إليه،

وَأَجْرَى الله لنا هذا الْخَيْرَ على يَدَيْه، صلَّى الله وسلَّم وَبَارَكَ عليه، وعلى آلِهِ وصحبهِ وسَلَّم تسليماً كثيراً.

وبعدُ فإنَّ مِنْ فضلِ الله علينا، وخيرِهِ الَّذِي سَاقَهُ إِلينا، ليلةُ القدر، عظيمةُ المنزلةِ والقدر، عِنْدَ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ والأمر، ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر، فَمن وَفَّقَهُ الله لِقَيامِها، وَأَكْرَمَهُ باغْتِنَامِهَا، فَكَأَنَّما قَضَى أَلْفَ شَهْرٍ لِلْعِبَادَةِ مُلَازِمَا، صَائِماً قَائِمَا، وَمَنْ وُفِّقَ لقيامِها اِثْنَى عَشَرَ عَامَا، فَكَأَنَّمَا عَبَدَ الله أَلْفَ سَنَةٍ صِيَاماً وَقِيَامَا، فَيَالَهُ مِنْ أَجْرٍ عظيم، ومقامٍ كريم.

إنها ليلةٌ أجرُها عظيم، والخيرُ فيها جَزِيلٌ وَعَمِيم، وكان في صبيحتِها يَوْمَ بَدَر، التي أَكْرَمَ الله فيه رَسُولَهُ بالفتحِ وَالنَّصر.

وكفى هذه الليلة فضلاً وشرفاً، قَوْلُ الحبيبِ الْمصطفى، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وَحْيٌ يُوْحَى «مَنْ قَامَ ليلةَ القدرِ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّمَ

مِنْ ذنبِه» فقولُهُ: إيماناً واحتساباً يعني: إيمانًا باللهِ تعالى، واحتساباً أَيْ طَلَباً للأجرِ والثوابِ مِنَ الله تعالى..

قال النبيُّ وليس ينطِقُ عَنْ هَوَى
إنْ قَالَ عَنْ وحيٍ وَعَنْ إِلْهَامِ

مَنْ قَامَ منكم ليلةَ الْقدرِ التي
هِيَ خيرُ من ألفٍ. يَفُزْ بِمَرَامِ

مَنْ قَامَهَا بُشْرَى لَهُ يُغْفَرْ لَهُ
مَا كَانَ مُقْتَرِفاً مِنَ الْآثامِ

فتعرَّضُوا لِهَوَاطِلِ النَّفحاتِ في
رمضان في صومٍ لَهُ وَقِيَامِ

وقد أَخْفَى الله هذه الليلة في سائِرِ الشهر، ليكون ذلك بَاعِثاً للإجتهادِ في الأعمالِ الصَّالحات، وْالْمُسَارَعةِ إِلى الخيرات، فلو كانتْ ساعةً محدودة، أو ليلةً مقصودة، لَاْعَتَنَى الناسُ بها وَحْدَهَا، وناموا عمَّا قبلها

وما بَعْدَها، فمن وُفِّقَ لِإِحْيَاءِ ليالي الشهر بِأَسْرِهَا، شَفْعِهَا وَوَتْرِهَا، فقد أدرك ليلةَ القدر، وفازَ فيها بعظيمِ الأجر، فإياك والكسل، وَالْفُتُورَ والملل، وَضَاعِفْ نشاطَكَ في إِحْيَاءِ هذه الليالي، وَصِلِ السَّابقَ مِنْهَا بِالتَّالِي، حتى ينتظمَ عِقْدُها الْمُتَلَالِي، بالجواهرِ واللآلي، فتفوزَ بِالسَّبْقِ مع السابقين، وَتُدْرِكَ نصيبَكَ مِنْ ليلةِ القدر بيقين، ذلك الفوزُ المبين.

وكم في ليلة القدر | من الأنوارِ والسِّرِ
وَمَنْ فيها بإيمانٍ | تَعَبَّدَ بُغْيَةَ الْأَجْرِ
لَهُ الغفارُ يغفر ما | تَقَدَّمَ منهُ مِنْ وِزْرِ
وتلك بشارةٌ جاءتْ | عَنِ الشَّافعِ في الْحَشْرِ

فيا أيها المسلمُ اغْتَنِمْ هذه الفرصةَ السَّانِحة، في الأعمال الصالحة، وَتَعَرَّضْ لنفحاتِ الله النازلة، في هذهِ الليالي الفاضِلة، إن كُنْتَ أحسنتَ فيما مضى من شهرِ رمضان، فاثبتْ على مَا اعْتَدتَ مِنَ الْإِحسان، وَضَاعِفْ

الْإِجْتِهَادَ فيما بَقِيَ بِقَدْرِ الْإِمْكَان، وإن كنتَ قد فَرَّطتَ في لياليهِ الماضِيات، فَتَدَارَكْ مَا فَات، قبل الفوات، فالمجتهدُ غَانِم، والمفرط نَادِم، وشتان بين قائمٍ ونائم، القائمُ فوزُهُ معلوم، والنائم عن الخير محرُوم.

قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ هذا الشهر قد حَضَرَكُمْ وفيه ليلةٌ خَيْرٌ من ألف شهر، من حُرِمَهَا فقد حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّه ولا يُحْرَمُ خيرُها إلا محروم) فإياك أن تكون محروماً.

وَلْتَكُنْ لنا برسولِ الله أسوةٌ حسنة، فقد كان يَحْتَفِي بهذه الليالي أَيّما احْتِفَاء، العشرون الأولى كان يخلطُها بصلاةٍ ونوم، فإذا دَخَلَتِ الْعَشْرُ جَدَّ وشمّر، وَشَدَّ الْمِئْزَر، يهجرُ فِرَاشَه، وَيُوْقِظُ أَهلَه، يَطْرُقُ البابَ على فاطمةَ وعليٍّ قائلاً: «أَلَا تَقُوْمَانِ فَتُصَلِّيَان؟!»، يطرقُ البابَ وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، وَيَتَّجِهُ إلى حُجُراتِ نسائِهِ آمرا: «أيقظوا صواحب الْحُجَر؛ فرُبّ كاسيةٍ في الدنيا عارية

يوم القيامة»، كَانَ لاَ يَدَعُ أحداً من أهلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلاَّ أَقَامَه؟!

إنَّ من خصائص ليلة القدر، وما خصها الله به من عظيم القدر، أَنَّ الله أنزل في فضلِ هذه الليلة الفاضلة، سورةً كامِله.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

وفي هذه الليلةِ المباركة من رمضان، أنزل الله القرآن، هدًى للناس وبيناتٍ مِنْ الْهُدَى والفرقان، كتابٌ عظيمٌ جليلُ القدر، نزل في ليلةٍ عظيمةِ القدر، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ليلةٌ مباركةٌ نَيِّرَه يتجلَّى الله فيها على عباده

بالرحمة والمغفرِه، فكم مريضٍ عافاه، وكم من سائلٍ أعطاه، فيا لها من ليلةٍ عظيمةِ القدر، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

العبادةُ فيها مضاعفةٌ أضعافاً كثيرة، وأعمالُ الخير فيها سهلةٌ ويسيره، أَعْظَمَ الله فيها لعباده الأجر، وفضْلَها على كثيرٍ من ليالي الدهر، ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

فيها يتجلى الله على عباده، بمغفرتِهِ ورحمتِهِ وَوِدَادِه، وَتَتَنَزَّلُ ملائكتُه بِفُيُوضَاتٍ مِنْ إِمْدَادِه، لا يبلغُها عَدٌّ ولا يُحِيطُ بها حَصْر، ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾.

كلُّ ساعاتِها خيرٌ وبركه، ونجاةٌ من الخسرانِ وَالْهلَكَه، طريقُ الخير فيها مُيَسَّرٌ فهنيئاً لِمَنْ سَلَكَه، تحقيقُ آمال، وكفايةُ أهوال، ونجاةٌ مِنَ الْأَسْر، ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

وكما ينبغي الاجتهادُ في إحياء هذه الليلة بالعمل

الصالح، من صلاةٍ وذكر وتلاوةِ القرآن، كذلك ينبغي الاجتهادُ في الدعاء فإنَّها من مواطِنِ الإجابة.

عن عائشةَ زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنها سألته إِنْ أدركتُ ليلةَ القدر ما أقولُ فِيْهَا قَالَ قولي: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» فَلْنُكْثِرْ مِنْ هذا الدعاءِ وغيره من الأدعيةِ المأثورة، فالدعاءُ مُخُّ العبادة، وبذلك أَمَرَ الله عِبَادَه، ووعدهم بِالْإِجَابَةِ واللهُ لاَ يُخْلِفُ مِيْعَادَهَ، وقال رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبِ لكم. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ.

إلهي ندعوكَ كما أمرتنا، فاستجِبْ لنا كما وعدتنا إنك لا تُخْلِفُ الميعاد. اللهم إنك عفوٌ تُحِبُّ العفو فَاعْفُ عَنَّا.

اللهمَّ اجْعَلْنا في هذهِ الليلةِ مِنَ المقبولِين، وَبِرِضَاكَ مِنَ الْفَائِزين، واغفرْ لنا في ليلِتنا هذهِ أجمعين، وَهَبِ الْمُسِيئِينَ مِنَّا لِلْمُحْسِنين، اللهم هَبْ لنا من خيراتها

وبركاتِها أوْفَرَ الْحَظِّ والنصيب، واستجبْ دعاءنا فأنت نِعْمَ الْمُجِيب، وَمُنَّ علينا بالإقبال والقبول يا سميعُ يا قريب، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾**، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعين.**

* * *

الصوم نصف الصبر

الحمـدُللهِ الكـريمِ الوهَّـاب، الغفـور التَّـواب، وعـد الصـابرينِ بجزيـلِ الثواب، فقـال فيمـا أَنْزَلَ مِـنَ الْكِتـاب، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وَوَعَـدَهُمْ بالعاقبـةِ المحمـودةِ وَحُسْـنِ الْمَـآب، وَأَنَّ مآلهم إلى جناتٍ يُرْزَقُونَ فيها بغيرِ حساب، كذلك يكونُ جَـزَاءُ كُـلِّ مُنِيـبٍ صَـبَّار، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾، وصلَّى الله وسلَّم على إمـامِ المرسـلين، وَقُـدْوَةِ الصَّـابرين، الْمُنْـزَل عليـهِ فـي الكتـــاب الْمبـــين، ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آلِهِ الْغُرِّ الْمَيَامين، وصحابتِه الأكـرمين، الـذين جَاهَـدُوا فـي سـبيلِ الله بصـبرٍ وَعَـزْمٍ لَا يَلِين، فَمَـا وَهَنُـواْ لِمَـا أَصَـابَهُمْ فِـي سَـبِيلِ الله وَمَـا ضَـعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَالله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. أما بعد:

إِنَّ خُلُقَ الصَّبْرِ مِنَ الْأخلاقِ الكريمة، وَالْمُثُلِ الْقَوِيمَة، وقد رَتَّبَ الله على الصبرِ الْأَجْرَ العظِيم والجزاءَ الْحَسَن، قال تعالى وَبِقَوْلِهِ يهتدِي المؤمنون وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ.

وكفى الصابرين شرفا وفخرا، ومنزلةً عاليةً وقدرا، أَنَّ الله تبارك وتعالى قَلَّدَهُمْ وِسَامَ مَحَبَّتِه، وهذا لِلصَّابِرِ دليلُ فوزِهِ وَسَعَادَتِه، قال تعالى وهو أَصْدَقُ القائلين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وَمَعَ وِسَامِ محبتِه، أَكْرَمَهُمْ بِمَعِيَّتِه، فَيَالَهَا مِنْ مزيةٍ عاليةٍ وفوزٍ مبين، قَالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ثم إِنَّ الصَّبْرَ ثلاثةُ أقسام:

أولاً: الصبر عن معصيةِ الله: بأن يُصَبِّرَ الإنسان نفسه عن المعصية، فَيُلْجِمَها بِلِجَامِ التَّقوى، وَيَصْرِفَ قَلَبَهُ عن المعاصي في السِّر والنجوى، فلا يَغْشَى مَحِلَّها، ولا يُجَالِسُ أَهْلَهَا، وَيَبْتَعِدُ عن كلِّ الأسباب، الموصلةِ إلى

فتح هذا الباب، فَمَنْ رعى حول الحمى يُوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فيه، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطانِ إِنَّهُ لكم عدوٌ مبين.

والمسلمُ يصبر عَنِ اقْتِرَافِ المعاصي، يخافُ وَقُوفَهُ أَمَامَ الله الْآخِذِ بِالنَّواصي، يَتَذُكَّرُ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ الله الْبَاعِثِ الشَّهيد، القائل في القرآنِ الْمجيد، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾.

المسلمُ يَصْبِرُ على غَضِّ بصرِهِ عَنِ الْحرام، وعلى تحصينِ فَرْجِهِ مِنَ الْوُقُوعِ في الآثام، وَيُقَاوِمُ بصبرٍ وثبات، كُلَّ المغريات، التي تدعوه إلى الشهوات، جاعلاً نُصْبَ عينيه قولَ الله وهو أَصْدَقُ قِيلا، ولا تقربوا الزِّنى إنه كان فاحشةً وَسَاءَ سَبِيلا.

المسلم يُوَطِّنُ نَفْسَهُ في جميع الأوقات، على الصبر والثبات، ويصبر على الرضى بالكسب الحلال وإن قَلَّ، والإبتعاد عن الحرام وَإِنْ كَثُر، فَيَزُمُّ نفسَه بِزِمَامِ الصَّبْرِ عن المعاملاتِ التربوية مهما كَثُرَتْ أرباحُها، وَدَرَّ بالمالِ غُدُوُّهَا وَرَوَاحُها ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَرَابِي آذَنَهُ الله

بِـالْحَرْبِ، وَتَوَعَّـدَهُ بالعقـابِ والسَّـلب، قـال تعـالى وهـو الصَّـادقُ فـي قِيلِه، فَإن لَّـمْ تفعلُـوا فَـأْذَنُوا بِحَـرْبٍ مِـنَ الله ورسولِه.

وهكـذا يَتَحَـدى الْمُسْـلِمُ كُـلَّ الْمُغِرْيَـاتِ، بالصَّـبرِ والثبات، فيكون بذلك من أهلِ قوله تعالى في الْكتابِ المكنـون، إنـي جَـزَيْتُهُمُ اليـوم بمـا صَـبَرُوا أَنَّهُـمْ هُـمُ الْفَائِزُون.

القسم الثاني من أقسام الصبر: الصبرُ على طاعةِ الله تعالى: وَالصَّبْرِ على طاعةِ الله تبارك وتعالى يكون بالصبر على أَدَائِهـا، والصبرُ على الْمَدَاوَمَةِ عليها، دُوْنَ كَلَلٍ أَوْ مَلَل، أَوْ فُتُورٍ وكسل، فَتِلْكَ صِفَاتُ المنافقين، لاَ يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِ هُون.

يَصْـبِرُ الْمسـلمُ علـى العبـادةِ صَـبْرَ الْمُحِـبِّ لهـا، الرَّاغِـبِ فيهـا، وَمَثَـلُ ذلـك أن يصـبر علـى الصـلوات الخمس يُؤَدِّيها عَنْ طمأنينةٍ وَرِضَا، رغبةً فيها ومحبةً لها، ولا شَـكَّ أن تَـرْكَ الإنسـان المألوفـات، وتـردده إلـى

المسجد مَرَّاتٍ ومرات، مُتَعَرِّضَا لِوَهَجِ الشمس، مُفَارِقاً لِرَاحَتِهِ أَوْ لَذِيذِ مَنَامِه، كُلُّ ذلك يحتاجُ إلى صبرٍ وَمُجَاهَدَةٍ لِلنَّفْس، الَّتِي تَتُوقُ إلى الرَّاحَةِ وَالشَّهَوَات، لَكِنْ بالمجاهدةِ والصبرِ تَتَعَوَّدُ، الصَّلَاَةَ وَتَجِدُ فِيها كُلَّ مُتْعَةٍ وراحة، وينالُ بذلك ما أَعَدَّ الله للصابرينَ مِنْ مَضَاعَفَة الأجرِ والفوزِ المبين، والذين جاهدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنين.

وَمَثَلُ آَخَرُ للصبرِ على الطاعةِ، الصَّبْرُ على بِرِّ الوالدين، فالمسلم يصبر على برهما صَبْرَ الكرام، مُتَذَكِّراً أعمالَهما الجميلةَ، وأخلاقَهما الفاضلة، لاَ سِيَّمَا عِنْدَ كِبَرِهِمَا وَضَعْفِ قُوَّتِهِمَا، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ ولا شك أن ذلك يحتاج إلى مزيدٍ من الصبر، وَرَحَابَةِ الصَّدر، حتَّى لاَ يَضْجَرَ مِنْهُمَا، ولا يَسْتَطِيلَ حَيَاتَهُمَا، وَلاَ يَسْأَمَ مِنْ خِدْمَتِهما ، وكما يَصْبِرُ على

والديه يصبرُ على أولادِه، بتربيتهم تربية دينيه، على الأخلاق الجميلة، وألصِّفاتِ النبيلة، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ وبذلك يَنْشَؤونَ على الأخلاقِ الفاضلة، وَيَتَعَوَّدُونَ الْبِرَّ والتقوى ويكونون قُرَّةَ أعينٍ ليس للوالدينِ فقط بَلْ لِلْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِه.

وَقِسْ على هذينِ الْمِثَالَين الصَّبْرَ على سائرِ الطاعات، وَأَنَّهُ لاَبُدَّ في أداءِ ذلك من الصبرِ والثباتِ، وبذلك يكون الجزاءُ عظيماً وكبيراً ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾.

القسم الثالث من أقسام الصبر: الصبرُ على الْمِحَنِ والبلايا، وما ينزلُ مِنَ الرَّزايا، التي قد تنال الإنسان في جسدِه، أو في مالِهِ أو في ولدِه، يتلقَّاهَا بالصبرِ والرضا، والتسليمِ لما يَجْرِيْ بِهِ الْقَضَاء، لِعِلْمِهِ أنها جاريةٌ بقضاءِ الله العليمِ الخبير، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ

أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾

وبصبرِهِ ورضائِهِ، بقدرِ الله وقضائِه، ينالُ من الله ثوابَ الصابرِ الْأَوَّاب، والله عِنْدَهُ حُسْنُ الثواب. إنما يُوَفَّى الصابرونَ أجرهم بغير حساب.

قال صلى الله عليه وسلم: «ما يصيبُ المؤمنَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ حتى الشوكة يُشَاكُهَا إِلَّا كفَّر الله بها مِنْ خطاياه».

فعلى الإنسان أن يعلم أَنَّ الدنيا كُلَّها زائلة، وإلى الفناءِ آَيلَة، وكلُّ ما فيها من متاع، إلى زوالٍ وانقطاع. وَبَقَاءُ الْحَالِ مِنَ الْمُحَال، فما على الإنسان إلا أن يُوَطِّنَ نفسَهُ على الرِّضَا وَالْإِحْتِمَال، وَمُلاَزَمَةِ الصَّبْرِ في كُلِّ حال، وهل يَنْتَظِرُ الصحيحَ إلا السَّقم، والكبيرَ إلا الْهَرَم، والموجودَ إلا الْعَدَم، على هذا مضى الناس؛ غِنَى وإفلاس، اجتماعٌ وفرقة، فرحٌ وَحَزَن، عافيةٌ ومرض:

ثمانيةٌ لاَبُدَّ منها على الفتى　　وَلَا بُدَّ أن تَجْرِي عليه الثمانيةْ

سرورٌ وهـمٌّ وَاجْتِمَاعٌ وفرقةٌ ويُسرٌ وعسرٌ ثم سُقْمٌ وعافيهْ

فَـلاَ يَسَـعُ الإنسـانَ والحـالُ هكـذا إِلاَّ أَنْ يكـونَ ثابتَـا صابِرا، لِيَكُونَ فَائِزاً ظَافِرا،

وَحَذَارِ حَذَارِ مِنَ الْجَزَعِ وَالسَّخَطِ وَعَدَمِ الرِّضَـا، بمـا يجـري بِـهِ القضـاء، فَمَـنْ صَـبَرَ أُجِـرَ وَأَمْـرُ الله نَافِـذ، وَمَـنْ جَزِعَ وَتَسَخَّطَ أَثِمَ وأمرُ الله نافذ.

والمـرءُ رَهْـنُ مصـائبِ مـا تنقضـي

حتـى يُوَسَّـدَ جِسْـمُهُ فـي رَمْسِـهِ

فَمُؤَجَّـلٌ يلقـى الـرَّدى فـي غيـرِهِ

وَمُعَجَّـلٌ يَلْقَـى الـرَّدَى فِـي نَفْسِـهِ

والخيرُ كُلُّهُ في الصبر، ومع الصَّبْرِ يكونُ النصر،

إِذَا مَـا مَسَّـكَ الضُّـرُّ فَكُـنْ بِالصَّـبْرِ لَـوَّاذَا

وَإِلاَّ فَاتَـكَ الْأَجْـرُ فَـلَا هَـذَا وَلاَ هَـذَا

نسألُ الله الثبات والصبر، كما نسأله اللُّطْفَ وَشَرْحَ الصدر، ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وَهَبْ لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا أَفْرِغْ علينا صبراً وَثَبِّتْ أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

* * *

يريد الله بكم اليسر

الحمـدُلله الـذي أكرمنـا بـدينِ الإسـلام، ديـنِ الْعِـزَّةِ والكرامـةِ والسَّـلام، ديـنٌ جَـاءَ بِالْيُسْـرِ ورفـعِ الحـرجِ فـي جميـعِ الأحكـام، مِـنْ حَـجٍّ وصـلاةٍ وزكـاةٍ وصِـيام، قـال تعـالى فـي خيـر الكـلام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾. فَلَهُ الحمدُ والشكرُ على الدَّوام.

اللهـم صلِّ وسلِّم وَبَارِكْ وَكَرِّمْ في كلِّ لحظةٍ أبداً على سيدِنا محمـدٍ الْمُؤَيَّـدِ بِالنَّصْـرِ وَالْفَتْحِ، الـذي جـاء بِالْمِلَّـةِ السَّـمْحَاءِ وَالتَّشْـرِيعِ السَّـمْحِ؛ وعلـى آلـهِ الْأئمَّـةِ الأعلام، وصحبِهِ الكرام، ما تعاقبتِ الليالي والأيام.

وبعدُ فإنَّ مِنْ سِمَاتِ ديننا الإسلاميِّ الْحنيف، الْيَسْرُ والتخفيف، في كلِّ ماجاء به من تكليف. فلله الحمد والشكر، على مَا مَنَّ به من تخفيفٍ وَيُسْر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وَمَنْ تَأَمَّلَ الشريعةَ المطهرةَ، وَمَصَادِرَها النيرةَ، وما جاء به الإسلامُ من تشريع، من تأصيلٍ في الأحكامِ وتفريع، يَتَجَلَّى له اليسرُ والتخفيف، في جميع التكاليف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. **أي لا يُحَمِّلُها إلا ما تَسَعُهُ وَتُطِيقُهُ ولا تعجزُ عنه.**

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ **وقال تعالى عن القرانِ الكريم** ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ **وقال عن نَبِيِّهِ الكريم** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ **فاللهُ سبحانه وتعالى وَصَفَ نَفْسَهُ بالرحمه، وَكِتَابُهَ نَزَلَ بالرحمه، ورسولُهُ** ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

كُلُّ هذهِ الأوصافِ تَقْتَضِي الْيُسْرَ وَالتَّخْفِيفَ وَرَفْعَ الحرج، فلله الحمدُ والمنةُ على آلائِهِ العظيمة، ونعمه الجسيمة.

وَلَمَّـا أكثـر النـاسُ السـؤالَ علـى رسـولِ الله (أَعَلَيْنَـا حَرَجٌ في كذا أَعَلَيْنَا حَرَجٌ في كذا) قال رسولُ الله: «أيُّها النـاسِ إنَّ دِيْـنَ الله عـز وجـل يُسْـرٌ إِنَّ دِيْـنَ الله عـز وجـل يُسْر، إن دين الله عز وجل يسر».

وقال عليه الصلاة والسلام: «رَضِـيَ الله لهـذه الأمـةَ الْيُسْرَ وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْر» [أخرجه الطبراني]..

وقـال لمعـاذ بـن جبـلٍ وَأَبِـي موسـى الأشـعري، لمَّـا بَعَثَهُمَا إلى اليمن: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا» [رواه البخاري].

وروى الطبرانـي عـن عبـادة مرفوعـاً «إِنَّ الله شَـرَعَ الدين فجعله سَهْلاً سَمْحاً ولم يجعلْهُ ضَيِّقَا».

وَبِنَـاءً علـى مـا تقـدَّم فقـد قَرَّرَ أهـلُ العلـم أنَّ الْمَشَّـقةَ تَجْلُبُ التيسير، وَأَنَّ الْحَرَجَ مرفوعٌ وَكُلَّ ما أَدَّى إليهِ فهو سَاقِط. وإذا ضاق الْأَمْرُ اتَّسَع. فلله الحمدُ والمنةُ.

لَكَ الحمـدُ يا ربي على كلِّ نعمةٍ

وَمِـنْ جملـةِ النَّعمـاءِ قـولي لَـكَ الْحَمْـدُ

وَمِـنْ جُمْلَـةِ النَّعْمَـاءِ مَـا خَصَّنَـا بِـهِ

تعـالى مِـــن التَيسـيرِ لَيْـسَ لَـهُ حَـدُّ

فَفِي الصَّومِ يسرٌ والصلاةِ وصومِنا

وفـي كـلِ تشـريعٍ يُكَلِّفُـــهُ الْعَبْـدُ

يُرِيـدُ بنـا التخفيــفَ واليسـرَ رَبُّنــا

له الحمـدُ حمداً ليس يحصرُهُ عَـدُّ

شـريعُتنا السمحـــاءُ صـالحةٌ لِمَـــنْ

مَضَـى وَلِعَصْـرِ نَحْنُ فِيـهِ وَمَنْ بَعْـدُ

وَفِي هذا المضمار وَلِبَيَانِ ما يمتازُ به دِينُنَا من يُسْرٍ نستعرضُ نَمَاذِجَ وضَّاءةً مِن دِينِنَا الحنيف، وما اتَّسَمَ بِهِ في أحكامِهِ مِنْ يُسْرٍ وتخفيف، بِدْءً بما نحن بِصَدَدِه، من فرضِ الصومِ وَعَدَدِهْ.

إِنَّ الْحَــقَّ تبــارك وتعــالى فــرض الصــومَ لأيــامٍ معدودات، لاَ لِسَنَةٍ كاملة، وَلَا لأَشْهُرٍ مُتَتَالِيَات، لا على سبيل الوجوب، ولا من قَبِيلِ المستحبات..

فقد جاء النهيُّ صريحاً وصحيحاً عن صومِ الدَّهْرِ، فـي قـولِ سـيد ولـد آدم ولا فخـر؛ «لاَ صَـامَ مَـنْ صَـامَ الـدهر»، وعندما بلغه عن الصحابيِّ الجليل عبدِ الله بْنِ عَمْرِو بن العاص أنه يصومُ النهارَ ويقوم الليل.. لـم يُقِرَّهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وَغَايَةُ مَا أَقَرَّهُ عليـه أن يصـومَ صـومَ داود عليـه السـلام، يصـومُ يومـاً ويفطرُ يوماً، ولما قال له إني أُطِيقُ أفضلَ مِن ذلك قال «لاَ أَفَضْلَ مِنْ ذَلِك».

ذلك أنَّ الإسلام يُراعي مصلحة الجسد كما يراعي مصلحة الروح، وذلك في كتبِ السنةِ مُوَضَّحٌ مشروح..

لقـد فـرض الله الصـيام لأيـام معـدودات، قـد تـنقصُ عن الثلاثين ولا تزيدُ عليها، ولهذا حَرُمَ صَوْمُ يومِ الشك حتى لا يُعَدَّ منها..

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال من صام اليوم الذي يُشَكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم..

أياماً معدودات يصومُها المقيم الصحيح، لاِغْتِنَامِ الفرصة، وفي إفطارِها للمسافرِ والمريضِ رُخْصَه، ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فرأى زِحَامَا ورجلاً قد ظُلِّلَ عليه فقال ما هذا؟ فقالوا «صائم» قال صلى الله عليه وسلم: «ليس مِنَ الْبِرِ الصيامُ في السفر».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة صائماً فلما بلغ عَسْفانِ دعا بماءٍ فَرَفَعَهُ على يديهِ لَيَراهُ الناسُ فَأَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا..

ومن مظاهرِ اليسرِ في الصيام كُوْنُهُ فِي النهارِ من طلوعِ الفجر إلى غروبِ الشمس.. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾. فَأَبَاحَ لنا الأكل بالليلِ حتى يَتَبَيَّنَ لنا الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر،.. وذلك من رحمةِ الله بنا، وتيسيرِهِ علينا، ولهذا نُدِبَ لنا السَّحُورُ للَّتَقِّويْ بِهِ على أداءِ هذه العبادة، قال صلى الله عليه وسلم : «تَسَحَّرُوا فإن في السحورِ بركه».. وَيُسَنُّ تعجيلُ الفطر إذا تَيَقَّنَ الغروب، وأن نُبَادِرَ بالمأكولِ والمشروب، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجَّلوا الْفِطْرَ» [رواه البخاري].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليلُ من هاهنا وأدبر النهارُ من هاهنا وغربتِ الشمس فقد أفطر الصائم..» [رواه البخاري].

وَنُهِينَا عن الوصال، لأنَّ فيه من المشقه ما يَفُوقُ الْأَحْتِمَال، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تُوَاصِلوا».. قالوا يا رسولَ الله إنك تُوَاصِل قال: «لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إنَّ

ربـي يُطعمنـي ويَسـقِيني» [البخاري].. وفـي روايـة «وَأَيُّكُـمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطعمُني ربي ويَسقيني» [رواه البخاري].

وَمِنَ الْيُسْرِ في الصيام أَنَّ مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِياً لا يبطلُ صيامُه، ولا يأثمُ بذلك، قال صلى الله عليه وسلم: «مَـنْ نَسِـيَ وهـو صـائم فأكـل وشـرب فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فإنما أَطْعَمَهُ الله وَسَقَاه».

وَكَمَـا ظَهَـرَ اليسرُ فـي الصيامِ جَلِيًّا لاَ خَفَـاءَ فِيـه، فَكَـذَلِكَ الْحَـالُ فـي سـائرِ العبـادات، ففـي الصـلاة يُسْـرٌ جَلِي، ظَاهِرٌ لا خفي، خَفَّفَهَا الله تعالى من خمسين صلاةً إلى خمس صلوات، وَلَهَا أَجْرُ الخمِسينَ وَيُؤَدِّيْهَا المريضُ على حسبِ طاقته، قال صلى الله عليه وسلم: «صلِّ قائماً فإن لم تستطِعْ فقاعداً.. فإن لم تَسْتَطِعْ فعلى جَنبك، فإن لـم تستطع فَمُسْتَلْقِياً. لا يكلفُّ الله نفسا إلا وسعها».

وَمَنْ لَمْ يَجِدِ الماء تيمم وصلى حيثما كان، جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً

وإذا عجـز المـريض أو المسـافر عَمَّـا اعْتَـادَهُ مِـنَ

الطاعات كتب الله له ثواب مَا كَانَ يعملُهُ صَحِيحاً مُقِيمَا فضلاً من الله ونعِمة، وتكرماً ورحمة.

وفي الحديث: «إذا مَرِضَ العبدُ أو سافر كُتِبَ له ما كان يعملُ مقيماً صحيحا» [رواه البخاري].

وللمسافرِ قَصْرُ الصلاةِ الرُّباعية في السفر الطويل، والجمعُ بين صَلَاتَيْ المغرب والعشاء.. والظهرِ والعصرِ تقديماً أو تأخيراً بِحَسَبِ الْأَرْفَقِ للمسافر.

إلى غير ذلك من التخفيف الذي يضيق عنه هذا المجال وَيُطْلَبُ في مَظَانِّهِ من الأحكامِ الفقهية.....

ومن مظاهر التيسير في الحجِّ إلى بيتِ الله الحرام أنه لا يَجِبُ في العمر إلا مرةً واحدة، وعلى المستطيع فقط، ومن ذلك الْإِسْتَنَابَه في أداءِ الحج عن المعضوبِ والميتِ وتجوزُ النيابةُ في الرَّمْي وتقديمُ بعضِ أعماله على بعض، كما جاء في الحديث الشريف فما سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عن شيءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إلا قَالَ: «افْعَلْ وَلَا حَرَجَ».

وفي الزكاةِ يُسْرٌ لا خَفَاءَ فيه فإنَّ نِسْبَتَهَا إلى المالِ ضَئِيلَه، وَمَا فَرَضَ الله فيه إلا الشَّيْءَ اليسير، لاَ النصفَ، ولا الرُّبْعَ بل دون ذلك بكثير كما هو مُفَصَّلٌ في مَحَلِّه، وَهَبَنَا الله الكثيرَ وَطَلَبَ مِنَّا اليسير، ولا زكاةَ على الإنسان في دارِهِ ومسكنِه ومركبِه وما يستعملُهُ لحاجتِهِ فلله الحمد والمنه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

الزكاة

الحمدُ لله الذي جعل الزكاةَ للإسلام رُكْنَا، وجعلها للمالِ من جميع الآفاتِ حِصْنَا، قَرَنَ بينها وبينَ الصَّلاةِ فإذا بَدَأَ بِالصَّلاةِ بالزَّكاةِ ثَنَّى، فسبحان الذي أَغْنَى وَأَقْنَى.

لا إله إلا هو لَهُ الأسماءُ الْحُسْنَى، وصلَّى الله وسلَّم على سيد الكونين إِنْسَاً وَجِنًّا، وَأَكْمَلِهِمْ عقلاً وَأَرْجَحِهِمْ وَزْنَا، وأفضلِهم إيماناً وَيُمْنَا، الشَّافِعِ الْمقبولِ يوم تكونُ الْجِبَالُ عِهْنَا.

أَتَى والجاهليةُ في ضلالٍ وكفرٍ تعبدُ الحجرَ الْأَصَنَّا
فَأَبْدَلَهُمْ بَجَوْرِ الشِّرْكِ عَدْلاً وَبِالْخَوْفِ الذي يَجِدُونَ أَمْنَا
عليهِ الله صَلَّى مَا تَنَاغَتْ حَمَامُ الْأَيْكِ أَوْ غُصْنٌ تَثَنَّى

صلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ هُدَاةِ الْبَرَايَا، وَصَحَابَتِهِ كِرَامِ

السَّجَايَا، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ وَسَلَّم تسليماً كثيراً.

وبعدُ فإنَّ الزَّكاةَ أَحَدُ مَبَانِي الْإسلامِ الْخمسة، وبها يُزَكِّي الْمُؤْمِنُ نَفْسَه، وَيُحَصِّنُ مَالَهُ فَلاَ يَخَافُ غَرَقَهُ وَلاَ بَخْسَه، ففي أَدَاءِ الزَّكاةِ، تَحْصِينٌ لِلْمَالِ مِنْ كُلِّ اتِّجَاه، قال صلى الله عليه وسلم: «حَصِّنُوا أموالَكم بالزكاةِ، وَدَاوُوْا مرضاكم بالصَّدقة، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاَءِ الدُّعَاء».

فالمالُ الْمُزَكَّى فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْكَوَارِثِ، وَفَاجِعَاتِ الْحَوَادِث، أَمَّا مَالُ الْبَخِيلِ فَبَشِّرْهُ بَحَادِثٍ أَوْ وَارِث، قال صلى الله عليه وسلم: «مَا خَالَطَتِ الزكاةُ مالاً قَطُّ إِلَّا أَهْلَكَتْهُ».

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا تَلِفَ مالٌ في بَرٍّ وَلاَ بحرٍ إِلاَّ بِحَبْسِ الزَّكاة».

وقال صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «يقولُ العبدُ مالي مالي إِنَّما لَهُ مِنْ مَالِهِ ثلاث، مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى، وَمَا سِوَى ذلك فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ».

بِالزَّكَاةِ يَنْمُو الْمَالُ أضعافاً مُضَاعَفَه، فَيُصْبِحُ الْأَلْفُ آلَافاً مُؤَلَّفَه، قال الله تعالى وبقولِهِ يهتدي المؤمنون، ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

وقال صلَّى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ بَلْ يَزْدَادُ بَلْ يَزْدَادُ بَلْ يَزْدَادُ».

الزكاةُ حَقٌّ للفقراءِ فِي مالِ الأغنياء، لَوْ أُدِّيَ إليهم لَكَفَاهُمْ، وَلَمَا وُجِدَ سَائِلٌ يَسْأَلُ، وَلاَ فَقِيرٌ يَتَسَوَّل.

أَنْصَفْتَ أَهلَ الفقرِ مِنْ أهلِ الْغِنى
فَالْكُلُّ فِي حُكْمِ الزَّكَاةِ سَوَاءُ

قال صلَّى الله عليه وسلم لمعاذٍ حين بَعَثَهُ إلى اليمن: «وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغنيائِهم وَتُرَدُّ على فُقَرَائِهم».

أيها المسلم:

لَقَدْ أَعطاكَ الله مِنَ الْمَالِ شَيْئاً كَثِيراً، وَطَلَبَ مِنْكَ جُزْءً يَسِيَراً، وَوَعَدَكَ عليه أَجْراً كَبِيراً، فَإِنْ أَدَّيْتَهُ غَنِمْتَ

وَسَلِمْت، وَإِنْ مَنَعْتَهُ خَسِرْتَ وَنَدِمْت.

﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾.

قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «اِتَّقُوا الله وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُم وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ».

بِالزَّكَاةِ يَتَحَقَّقُ الْإِيْمَان، وتُنالُ الرَّحْمَةُ مِنَ الرَّحِيْمِ الرَّحمن، هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَان.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾.

بالزكاةِ تحصلُ النَّجَاةُ مِنْ نَارٍ تَلَظَّى، وَيَكُونُ مَصِيْرَ الْمُزَكِّي إِلَى الْجَنَّةِ فَيَرْضَى.

فطُوبى لمن أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ نفلاً وَفَرْضا، وَأَقْرَضَ الله مِمَّا اسْتَخْلَفَهُ فِيهِ قَرْضا، فيكونُ بِذلكَ مِنْ أَهْلِ قَوْلِهِ

تَعالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

بِأَدَاءِ الزَّكاةِ يَنالُ الْمُزْكِّي حُسْنَ الْعاقِبةِ، وَيَسْلَمُ مِنْ كُلِّ نائِبةٍ، وَيَنْتَظِمُ في صَفِّ الذين آمنوا وَأَمِنُوا، لا يَخافُونَ إذا خافَ الناسُ ولا يحزنونَ إذا حَزِنُوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

الزكاةُ طريقُ الفلاح، وَعنوانُ الصلاح، يَتَقَلَّدُ بها الْمُزَكِّي وِسامَ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وَيَنْتَظِمُ فِي سِلْكِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الْمُزَكُّونَ لَهُمُ الْهِدايَةُ وَالْبُشْرَى، فِي الدُّنيا وَالْأُخْرَى، وَاقْرأْ فِي ذلك إِقْرَأ، ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

ويقــولُ عــنهم أيضـا: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

أَلاَ وَإِنَّ الـذين يبخلـونَ بالزكـاة، وَلَا يُؤَدُّونَهـا كَمَـا أَمَـرَ الله، تَوَعَّـدَهُمُ الله بـالخِزْيِ والثُّبـور، وتُصَـفَّحُ لـه كنوزُهم صَفَائِح تُكْوَى بها جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهم والظُّهور، أَلاَ بِئْسَ مَا يَنْتَظِرُون، وَمَا إِلَيهِ يَصِيرُون :

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

مَنْ بَخِلَ بِالزَّكَاةِ تَوَعَّدَهُ الله بِالْوَيْلِ فَيَا وَيْلَهْ، وَرُبَمَا خَسِرَ مَالَهُ فَأَصْبَحَ ذَا إِفْلَاسٍ وَعَيْلَة، وَمَا سُمِّيَ الْمَالُ مَالاً إِلَّا أَنَّهُ يَمِيلُ أَفَلَا يَخْشَى مَيْلَه، قال الله تعالى وهو الذي لا يُخْلِفُ قَوْلَه، ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آتَاهُ الله مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ

زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يومَ القيامةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيْبَتانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ ـ أَيْ شِدْقَيْهِ ـ ثُمَّ يقولُ أَنَا مالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾».

أَلاَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَار، وَأَدُّوْا زَكَاةَ أَموالِكِمْ قَبْلَ أَنْ تَلْفَحَ وُجُوهَكُمُ النَّار، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ فريضةٍ مِنَ الْفَرَائِضِ نَافِلَةٌ مِنْ جِنْسِهَا وَإِنَّ نَافِلَةَ الزَّكَاةِ هِيَ الصَّدقة فالصدقةُ من أفضلِ الأعمال، وبها يكونُ الْخَلَاصُ في الدنيا والآخرة من الشدائدِ والأهوال، لاَسِيَّمَا صَدَقَةُ السِّرِّ فإنها تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وقد روى الترمذي وغيرُه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «سبعةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وَعَدَّ منهم رجلاً تَصَدَّقَ بصدقةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهَ مَا تُنْفِقُ يَمِينُه».

وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيرٍ يُبْعَثُ الناسُ أَجْوَعَ ما كانوا قَطَّ، وَأَظْمَأَ ما كانُوا قط، وَأَعْرَى ما كانوا قط، فمن أَطْعَمَ للهِ أَطْعَمَهُ الله، وَمَنْ سَقَا للهِ سَقَاهُ الله، وَمَنْ كَسَا للهِ كَسَاهُ الله.

وكان بعضُ الصالحين إذا جَاءَهُ سَائِلٌ يقولُ مرحباً بِمَنْ جَاءَ يَنْقُلُ زَادَنَا إِلَى الآخِرَةِ بِدُونِ أُجْرَه.

أَخَذَهُ مِنْ قولِ عليٍّ رضي الله عنه: «إذا وَجَدتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ فَيُوَافِيْكَ بِهِ حَيْثُ تَحْتَاجُ إليهِ فَاغْتَنِمْ حَمْلَهُ إِيَّاه»، وقال صلى الله عليه وسلم في فضلِ الصدقة وَأَنَّها تدفعُ البلاء: «بَاكِرُوا بالصدقةِ فإِنَّ البلاءَ لاَ يَتَخَطَّاهَا»، ومن ذلك قولُهُمْ: صاحبُ الْمعروفِ لاَ يَقَعُ وَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكَئاً.

فيا أيُّها المسلم انْفِقْ مِنْ مَالِكْ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَة، وَالصَّدَقَةَ الْمَنْدُوبة، تَحْظَى مِنَ الله بِالْمَثُوبَة، وَتَسْلَمُ مِنَ العقوبة، وَمَنْ أَنْفَقَ شَيْئاً أَخْلَفَ الله عليه مَا أَنْفَقَه، وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَة، قال الله في كتابِه المبين، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.

اللهم وفقنا للإنفاق الْوَاجِبِ والمسنون، وَقِنَا شُحَّ الأنفسِ وَمَن يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون.

اللهمَّ اجْعلنا من أهلِ قولك ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾، وَلاَ تَجْعَلْنَا مِمَّنْ تقولُ فيهم ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

اللهمَّ وَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، نفلاً وَفرْضاً، حتى نكونَ من أهلِ قَوْلِكَ وَلَسَوْفَ يَرْضَى.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

* * *

زكاة الفطر

الحمدُ للهِ الذي أَوْضَحَ الْأحكام، وَبَيَّنَ الْحلالَ والحرام، نحمدُهُ تعالى وَهُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلام، ونُصلي ونُسلِّم على رسوله بَدْرِ التَّمام، وهادي الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، ما تَعَاقَبَتِ الليالي والأيام، وبعد:

إنَّ شهرَ رمضان الذي كُنَّا نَتَرَقَّبُ هِلَالَه، وَنَنْتَظِرُ إِطْلَالَه، قد مَرَّ بنا أَكْثَرُه، وَقَرُبَ سَفَرُهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ فِيْمَا مَضَى مِنَ لياليهِ وأيامِه، فَلْيَثْبُتْ على الْإحسانِ حتى يكونَ الْإَحْسَانُ مِسْكَ خِتَامِه، لَيْظَفَر مِنَ الله بِمَرَامِهِ، ومزيدِ إكرامِهِ وإنعامِه، وَلْيَسْأَلِ الله الثَّبَات، حتى الْمَمَات، فإنَّ الْعِبْرَةَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَالثَّبَاتِ على الصِّراطِ المستقيم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وَأَمَّا مَنْ فَرَّطَ في أيامِهِ ولياليه، ولم يُوَفَّقْ لِلْعَمَلِ

الصَّالِح فِيهِ، فَعَلَيْهِ أَن يُفِيقَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَتَنَاسِيْه، وَلْيَغْتَنِمِ الْبَقِيَّةَ الْبَاقية، مِنْ ساعاتِهِ الزَّاهِيَة، وأوقاتِه الْغالِيَه، قبل أن يقــولَ: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾.

فَالسَّعِيدُ مَنِ اغْتَنَمَ فَضْلَ الزَّمَانِ وَالْمَكَان، قَبْلَ أن يُصْبِحَ فِي خَبَرِ كَان، فَاغْتَنِمُوا الصِّحَةَ قَبْلَ السَّقَم، وَالْغِنَى قَبْلَ الْعَدَم، وَالشَّبَابَ قَبْلَ الْهَرَمِ..

فَطُــوبَى ثُــمَّ يــا طُــوبى … لِمَــنْ شَــمَّرَ فِــي الْعَشْــرِ
فَفِيهَــا الْخَيْــرُ مَوْفُــورٌ … وَفِيْهَــا لَيْلَــةُ الْقَــــدْرِ
وَفِيهَــا تَنَــزُّلُ الْأَمْــلَاكُ … بِالْخَــيْرَاتِ وَالْأَجْــــرِ
سَــــلَامٌ مِــــنْ بَــــدايَتِهَا … وَحَتَّــى مَطْلَــعِ الفجــرِ

اللَّهــمَّ اقْسِــمْ لنــا مِــنْ خَيْرَاتِهِــا وبركاتِهــا وأســرارِها وأنوارِها بِأَوْفَرِ الْحَظِّ والنَّصيب، يَا قَرِيبُ يا مُجِيب.

أيهــا الأحبــة الكــرام ونحــنُ فــي ختــامِ هــذا الشــهر المبارك، مِنَ الْمُنَاسِبِ جِدًّا أَنْ نُشِيْرَ إِلَى زَكَاةِ الْفِطْرِ، وَمَا

يَتَّصِلُ بها مِنْ أَحْكَام، فهي فريضةٌ على أهلِ الإسلامِ مِنْ صغيرٍ وكبيرٍ وذكرٍ وَأُنْثَى وَحَرٍّ وَعَبْدٍ...

وقد فُرِضَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَة، في رمضان، قبل العيدِ بيومين.

وَحُكْمُهَا الْوُجُوبِ بدليلِ مَا جَاءَ في الصحيحين عَنِ بْنِ عمر رضي الله عنهما: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرَضَ زكاةَ الْفِطْرِ من رمضان»، وَإِجْمَاعُ المسلمين على ذلك، لِأَنَّ مَعْنَى فَرَضَ أَلْزَمَ وَأَوْجَبَ، وجاء عَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال فَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعيرٍ على كلِّ عبدٍ أو حُرٍّ صغير أو كبير.

وَأَمْرُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَاجِبُ الطَّاعَة، وَالْأَخْذُ بِهِ عَبادَةٌ وطاعة، وَلَهُ حُكْمُ الْوَاجِب الَّذِي يُثَابُ على فِعْلِهِ وَيُعَاقَبُ مَنْ أَضَاعَهَ، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

ويجبُ على المسلمِ أن يُخْرِجَها عن نفسِهِ وَعَمَّنْ تلزمُهُ مُؤَنُتُهُ، إذا كانت فَاضِلةً عن قوتِ يَوْمِ الْعِيدِ وليلتِه، ومن لم يَتَوَفَّرْ لَدَيْهِ إِلَّا أَقَلُّ مِنَ الصَّاعِ، فإِنَّهُ يُخْرِجُ الْمُسَتطَاع، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال صلَّى الله عليه وسلم: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

وَهِيَ تَجِبُ على من أَدْرَكَ جُزْءً من رمضان وجزءً من شوال، فمن وُلِدَ قُبَيْلِ غُرُوبِ شَمْسِ آخِرِ يومٍ من رمضان وَلَوْ بِدَقَائِقَ وَجَبَ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ عنه.. وإن وُلِدَ بعد الْغُروب لم يَجِبْ إِخراج الزكاةُ عنه ولكنها تُسْتَحَبُّ، لِأَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اسْتَحَبَّ إخراجَها عَنِ الْجَنِينِ في بَطْنِ أُمِّه، وَيُرْوَى ذلك عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووقتُ جَوَازِ إِخْرَاجِهَا قَبْلَ الْعِيْدِ بيومٍ أو يومين، وعند الشافعية لا بَأسَ بإخراجِها مِنْ أَوَّلِ

رمضان، وَيُكْرَهُ تَأْخِيْرُها إلى ما بعد صلاةِ العيد، أمَّا تَأخِيرُها عن يومِ العيدِ فَحَرَامٌ.

أمَّا أفضلُ أوقاتِها فهو بعد صلاةِ الفجر وقبل صلاة العيد، ولهذا كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ تَأخِيرُ صلاةِ عيدِ الفطرِ لِيَتَّسِعَ الْوَقْتُ لِإِخْرَاجِ الزكاةِ في أفضلِ أوقاتِها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ: «طُهْرَةً للصَّائم مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وطُعمةً للمساكين مَنْ أدَّاها قبل الصلاةِ أي صَلَاةِ الْعِيدِ فَهِيَ زكاةٌ مقبولة، وَمَنْ اَدَّاهَا بعد صلاةِ العيد فهي صدقةٌ من الصدقات» [رواه أبو داود وابن ماجه].

أَمَّا عَنِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ إِخْرَاجُهُ فَهُوَ أَرْبَعةُ أَمْدَادٍ بِمُدِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو ما يُسَاوِي حَالِيًّا اثنين كيلو وَخُمُسَيْ عُشْرِ الكيلو وَلَوْ جعَلَهَا ثلاثةً لِكَانَ أَفْضَل، وَأَحْوَطَ وَأَكْمَلَ.

وماذا عن جِنْسِ الْفِطْرَةِ وَمِنْ أَيِّ نُوْعٍ يُخْرِجُهَا؟؟

قال العلماءُ رحمهم الله تعالى تكونُ الفطرةُ مِنْ غَالِبِ قُوْتِ الْبَلَدِ وَكُلَّمَا اخْتَارَ الْأَطْيَبَ وَالْأَجْوَدَ كَانَ أَفْضَلَ وَأَكْمَل، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾.

وقال جَلَّ وعَلَا: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

ويجوزُ دفعُها كَامِلةً لفقيرٍ واحدٍ كَمَا يجوزُ لِمَنْ أُعْطِيَتْ لَهُ أَنْ يُخْرِجَهَا عَنْ نَفْسِهِ لِأَنَّهَا مُلْكُهُ وَهُوَ فِيهَا جَائِزُ التَّصَرُّفِ، وَيَجِبُ إِخراجُها في المكانِ الذي هُوَ فيه وَقْتَ وَجُوبِ الْإِخْرَاجِ، وَيَتَضَاعَفُ ثَوَابُهَا في المكانِ الْفَاضِلَ كَمَكَّةَ والمدينة، أَوْ كَان فُقَرَاؤُهُ أَشَدَّ حَاجَةً، هَذَا حُكْمُهَا.

أَمَّا حِكْمَةُ مَشْرُوْعِيَّتِهَا فَهِيَ طُهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرفث، وَتَجْبُرُ الصَّوْمَ كَمَا يَجْبُرُ سُجُودُ السَّهْوِ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ فِي الصَّلاة.

وَهِيَ طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ فِي يومِ العيدِ تُغْنِيهِمْ عَنِ السُّؤال، وقد رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم زَكَاةَ الْفِطْرِ مطُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْفُقَرَاءِ والمساكين».

فقدَ بَيَّنَ لنا حِكْمَتَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «إِنَّها طُهْرَةٌ للصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرفث وطعمةٌ للمساكين»، ففيها إحسانٌ للفقراءِ ومواساةٌ لهم، وَغُنْيَةٌ لهم عَنِ السُّؤَالِ أَيَامَ الْعِيْدِ، لِيَشْعُرُوا بِفَرْحَةِ الْعِيدِ وَبَهْجَتِهِ، وَلَا تَنْكَسِرَ قُلُوبُهُم ولا تَتَكَدَّرَ خَوَاطِرُهُمْ لِيَكُوْنَ عِيْدُ الْفِطْرِ عِيْدَ فَرْحَةٍ وَوِئَام، لجميعِ أَهْلِ الْإِسلام، كُلُّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالْفَرْحَةِ وَالْبَهْجَةِ وَالْاِبْتِسَام.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصيام والقيام، وَتَقَبَّلْ مِنَّا زكاةَ الأموالِ والأجسام، وَوَفِّقْنَا لما تُحِبُّ وترضى يا ذا الجلال والإكرام، وَاغْفِرْ ذنوبَنا والاثام، ونسألك اللهم حُسْنَ الختام، والثباتَ على الْإِيمان والإسلام،

وَاجْعَلْنَـا اللهـم مِمَّـنْ مصـيرُهم إلـى دَارِكَ دَارِ السَّـلامِ، دَعَوَاهُمْ فيها سبحانك اللهمَّ وَتَحِيَّتُهْم فيها سلام، وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِين .

وصلَّى الله وسلَّم على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وصحبِهِ أجمعين...

* * *

اغتنام الأوقات

الحمدُ لله الذي جَعَلَ في السماءِ بُرُوجُا، وجعلَ فيها سِرَاجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جَعَلَ الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورَاً وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ على من أَرْسَلَهُ للهِ لِلْعَالَمِينَ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله و صحبه وسلَّم تسليما كثيراً.

وبعدُ فإنَّ الشهرَ الذي كُنَّا نَتَوَقَّعُ وصولَه، ونَنْتَظِرُ حلولَه، قد أَزْمَعَ على الرحيل، ولم يبقَ منهُ إلا القليل، وان في ارتحالِهِ بعد إقبالِه، وتوديعِهِ بعد اسْتِقبَالِه، لَعِبْرَةَ لِمَنِ اعْتَبَر، وذكرى لِمَنْ أَمْعَنَ النظر، وَتَفَكَّرَ في تَقَلُّبِ الليلِ والنَّهار، وَمَا ينشأُ عن ذلك مِنَ انْهِيارٍ، في الأسماع والأبصار، مَا أَسْرَعَ الشُّهُورَ في الأعوام، وما أَسْرَعَ الأعوامَ في الأعمار.

مَـا أَسْـرَعَ الأيـامَ فِـي الأعـوامِ بـل

مَـا أَسْـرَعَ الأعـوامَ فِـي الأعمـارِ

تَمْضِـي بنـا الأعـوامُ مِـنْ عهـدٍ إلـى

عَهْـدٍ ومـا يبقـى سِـوَى التِّـذْكَارِ

عهـدُ الصِّـبَا عهـدُ الشـبابِ كُهُوَلـةٌ

شَيْخُوْخَـةٌ هِـيَ آخِـرُ الْمِشْـوَارِ

وَنُـوَدِّعُ الـدنيا إلـى الأخـرى إلـى

دَارِ الجـزاءِ لِجَنَّـةٍ أَوْ نَـارِ

إِنَّ الليـالي والأيـام، والشـهورَ والأعـوامَ، يُقَرِّبُـانِ الْبَعِيـد، ويُبْلِيَـانِ الْجَدِيـد، وَبِتَعَاقُبِهِمَـا الْمُسَـتَمِّر، تَضْـعُفُ القُوَى، ويهرمُ الفتى، وَيَهِنُ العظم، وَيَشْتَعِلُ الرأسُ شيباً.

رأيـتُ المنايا خَبْطَ عَشْـوَاءَ مَنْ تُصِـبْ

تُمِتْـهُ وَمَـنْ تُخْطِـئْ يُعَمَّـرْ فَيَهْـرَمِ

اللَّهُ الَّـذِي خَلَقَكُـمْ مِـنْ ضَـعْفٍ ثُـمَّ جَعَـلَ مِـنْ بَعْـدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ .

إنَّ الليالي والأيام يَقْرِضَانِ الأعمارَ قَرْضَا، وَيَرْكُضَانِ بنا في ميدانِ الحياة رَكْضَا، إلى أين، إلى الْأَجَلِ المعلوم، وَالْقَدَرِ الْمحتوم، (فإذا جَاءَ أَجَلُهُـمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون) قال الحسنُ البصري رحمه الله تعالى: يَا ابن آدم إنَّما أنت أيام كلما مضى يومٌ مضى بعضُك، فكلُ عامٍ يمضي، بل كلُّ شهر وأسبوع، بل كلُّ يومٍ وساعة، بكل دقيقةٍ وثانية، يمضي حين يمضي ببعضٍ منا.

وَمَا هِيَ إلا ليـلةٌ بعـد ليلةٍ ويومٌ إلى يومٍ وشهرٌ إلى شَهْرِ

مراحلُ يُدْنِينَ الْجَدِيدَ إلى الْبِلَى وَيُدْنِينَ هَامَاتِ الرِّجَالِ إلى القبرِ

ومن كانتْ مطيَّتُهُ الليلَ والنهار، سَارَ إلى مَنِيَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ أَنَّهُ سَار.

وَإِنَّ امْـرَأً قـد سَـارَ سـبعينَ حِجَّـةً
إلـــى مَنْهـــلٍ مِـــنْ وِرْدِهِ لَقَرِيـــبُ

فالأعمارُ محدودة، والأنفاسُ معدودة.

يـا أَيُّهـا المعـدودُ أنفاسُـهُ لاَ بُـدَّ يـوماً أَن يَـتِمَّ الْعَـدَدْ

إن الدهرَ ثلاثةٌ أيام، يوم مضى لا يعود إليك أبدا، ويـومٌ أنـتَ فيـه لا يـدومُ عليـك، ويـوم مُسْتَقْبَلٌ لا تَـدْرِي أَتُدْرِكُـهُ أم لا، ومثلُ ذلـكَ يُقَالُ في الشـهور ومثـل ذلـك يُقَالُ في الأعوام.

مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غيبٌ وَلَكَ الساعةُ التي أنتَ فيهـا

فـاتقوا الله تعـالى وَبَـادِرُوا حَيَـاتَكُمْ قَبْـلَ فنائِهـا، وَأَعْمَـارَكُمْ قبـل انْقِضَـائِها، وَاعْمُرُوهَـا بِفِعْـلِ الْخيـرات، والإكثـارِ مـن الطاعـات، فإن الْفُـرَصَ لا تـدوم، كمـا هـو معلوم، وَفَوَاتُ الْفُرَصِ، مِنَ الْغُصَصِ، فحذارِ حذارِ من أن يذهب الوقت سُدا، فما أَمْكَنَ الْيوم قد لا يُمْكِنُ غدا، فاغتنم يومك بالطاعةِ ما دمتَ فيه، وَاسْتَفِدْ من حَاضَرِكَ

باغتنامِ أيامِهِ ولياليه، فكلُ يومٍ يَحِلُّ بِنَادِيك، بلسانِ الْحَالِ يُنادِيك، يقول بلسان الحال، الذي هو أفصحُ من لسانِ المقال: «إني يومٌ جديد، ولك أو عليك بما تعملُ شهيد، فاعمل في صالحا فإني لا أدوم عليك، وإذا ذهبتُ منك لا أعود إليك».

إِنَّ الله سبحانه وتعالى قَدْ أَمَرنَا بِالْمُسَارَعَةِ إلى الخيرات، وَالْمُسَابَقَةِ إليها في جميعِ الأوقات، قبل أن تَحُولَ دُوْنَهَا الآفات، وَتَحُلَّ حَسْرَةُ الفوات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

لقد وَصَفَ الله رُسُلَهُ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَار، وَمَنْ معهم مِنَ الْمؤمنينِ الأبرار، بأَنَّهم يسارعونَ في الخيرات، ويستبقون إلى الأعمال الصالحات، قال تعالى

وهو أصدقُ القائلين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

وقال تعالى وبقوله يهتدِي المؤمنون، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

وَهَؤُلاَءِ هُمُ الْقُدْوَة، وَهُمْ نِعْمَ الْأُسْوَة، لِأَنَّهم أصحابُ الْبَصائرِ الثواقبِ، التي تُدْرِكُ الْعَوَاقِب، وَتَعْرِفُ الصَّالِحَ والضَّار، وَالْمُحْزِنَ وَالسَّار، بما أعطاهم الله من نور الإيمان، وَفَهْمِ الْقُرآن، عَرَفُوا قَدْرَ المطلوبِ وهو الجنة، فبذلوا مهرها مِنْ فَرْضٍ وسنة، شَعَرُوا بِأَهَمِيَّةِ الْوَقْتِ فَبَادَرُوا إِلَى اغْتِنَامِه، قَبْلَ انْصِرَامِهِ، بَادَرُوا بِالطَّلَبِ قبل فَوَاتِ الْأَوَان، وَمَدَحَهُمُ الله وَأَثْنَى عليهم في مُحْكَمِ القرآنِ، لِيَكُونُوا قُدْوَةً صَالِحَةً لِبَنِي الْإِنْسَان.

أَيُّها الأحبة: ونحنُ في الأيامِ الأخيرةِ من شهر رمضان، حيثُ قد مضى أكثرُه، وَقَرُبَ سفرُه، علينا أن نُحَاسِبَ أنفسنا ماذا عملنا في ما مضى من أَيَّامِهِ

والليال، وماذا أَوْدَعْنَا فيهِ من أعمال، فَمَنْ وَجَدَ خيراً فليحمدِ الله وَلْيَسْأَلِ الله الْقَبُول، وَلْيَثْبُتْ على ما تعوده من الخير في رمضان، فإنَّ المؤمن لا يَشْبَعُ مِنْ خَيْرٍ حتى يكونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّه ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

وَمَنْ وَجَدَ أَنَّهُ قد فَرَّطَ فيما مضى من أيامِهِ ولياليِه، فَلْيَحْرِصْ عَلَى بَاقِيه، وَلْيَغْتَنِمِ الْأعمالَ الصَّالحةَ فِيه، تَدَارَكْ مَا بَقِيَ مِنْ شَهْرِ الْخَيْرَاتِ وَالْبُشْرَى، فَلَعَلَّكَ لاَ تُدْرِكُهُ مُرَّةً أُخْرَى.

تداركْ ما فات، من نَفِيسِ الأوقات، قبل هُجُومِ هَاذِمِ اللذات، وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعات..

تَذَكَّرُوا مَنْ كَانُوا معنا في الأعوامِ الْمَاضِيةِ، رحمهم الله تعالى، لَقَدِ اخْتَطَفْهُمْ يَدُ المنون، فَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ مُرْتَهُنُون، وعلى ما فَرَّطُوا نادمون، وَبِصَالِحِ أعمالِهم مستبشرون، مِثْلَنَا كَانُوا وَمِثْلَهُمْ سنكون، فإنا لله وَإِنَّا إليه راجعون.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِلنُّقْلة، وَاغْتِنَامِ أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَاخْتِمْ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِغُفْرَانِك، وَعَفْوِكَ وَرِضْوَانِك، وَأَعْدِنَا إِلَى أَمْثَالِ أَمْثَالِه، وَأَكْرِمْنَا بَعْدَ تَوْدِيعِهِ بِاسْتِقْبَالِه، وصلَّى الله وسلَّم على سيدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه، عَدَدَ نِعَمِ الله وَإِفْضَالِه، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالمين.

* * *

صوم التطوع

الحمدُلله الذي فتح لعبادِهِ أبوابَ الطاعة، وَرَغَّبَهُمْ في الخيرِ وَكَثَّرَ أنواعَه، فمن طاعةٍ على سبيل الْوُجُوب، إلى طاعةٍ مِنْ قَبِيلِ المندوب، وكلُّ ذلك على قَدْرِ الإستطاعه، وجعل التَّقَرُّبَ إليه بنوافلِ الصَّومِ والصلاةِ والزكاه، مِفْتَاحَ مَحَبَّتِهِ وَرِضَاه، فهنيئا لِمَنْ جَدَّ وَاجْتَهَدَ في مرضاةِ ربهِ وَأَطَاعَه، هنيئاً لِمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ فِي طَلَبِ الْخَيْرَات، وَاجْتَهَدَ فِي الأعمالِ الصَّالحات، وتلك واللهِ خَيْرُ بِضَاعه، طابتْ له المناجاةُ بالذكرِ والإستغفار، آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار، فَحَفِظَ أَوْقَاتِ عُمْرِهِ مِنَ التَّفْرِيْطِ وَالْإِضَاعَه، وَاكْتَسَبَ بِذلكَ مَنَاعَةً مِنَ الذُّنُوبِ أَيَّ مَنَاعَة، اللهم اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْإِدِّكَارِ وَالْيَقْظَة، مِمَّنْ حَفِظَ أَوَامِرَ الله فَحَفِظَه، وعَلِمَ أَنَّما الدُّنيا ساعة، فجعلها طاعة.

اللهم صلِّ وسلِّم، وبارِكْ وكرِّم، على من كَثُرَ صيامُه وقيامُه، ضَمِرَتْ بَطْنُهُ مِنَ الْجُوْعِ وَتَوَرَّمَتْ مِنْ طُولِ الْقِيَام أَقْدَامُه، فعليهِ مِنَ الله صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُه، وعلى آلهِ الكرام، وصحبه الأعلام، الذين قَضَوْا كَثِيراً من أيام حياتهم صِيَاماً، وكثيراً من سَاعَاتِ ليلهم قِيَامًا، أولئك يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بما صبروا ويُلَقَّوْنَ فيها تحيةً وسلاماً، خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً.

أيُّها المسلمون، إنَّ الأيامَ والليال، خَزَائِنُ الأعمال، فما أَوْدَعْتَ فِيهَا مِنْ خيرٍ تُسَرُّ به يَوْمَ القيامة، وما أَوْدَعْتَ فيها مِنْ شَرٍّ تَتَغَشَّاكَ بِسَبِبِهِ الْحَسْرَةُ والنَّدامة، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وما عَمِلَتْ من سُوْءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بينَها وبينَهُ أَمَداً بَعِيدا﴾ «يا عبادي، إنَّما هي أعمالُكم أُحْصِيهَا لكم، ثم أُوَفِّيْكُمْ إِيَّاهَا، فمن وَجَدَ خيرًا فَلْيَحْمَدِ الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يَلُوْمَنَّ إلا نَفْسَه».

إنَّ شهرَ رمضان قد قَرُبَ كَمالُه، وَأَزِفَ ارْتِحَالُه، فمن كان مُسِيئًا فيما مضى من أيامِه، فَلْيُبَادِرْ بالتَّوبةِ

والْإِنَابةِ قبل تَمَامِه، قَبْلَ غَلْقِ الْباب، وَطَيِّ الْكتاب، ومن كان في شَهْرِهِ إلى ربه مُنِيبًا، وفي عَمَلِهِ مُصِيْبَا، فَلْيَثْبُتْ على مَا اعْتَادَ مِنَ الإحسان، في رمضانَ وَبَعْدَ رمضان، وَلاَ يُقَوِّضْ مَا أَشَادَ مِنَ الْبُنْيَان، وَلاَ يَكُنْ كَالَّتِيْ نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أنكاثًا، وَمَا أَجْملَ الطاعةَ تعقبُها الطاعات، وما أَبهَى الْحَسَنَةَ تُجْمَعُ إليها الحسنات، فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَوْلاً وَعَمَلاً، والباقياتُ الصَّالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أَمَلا.

أيها المسلمون، أَنْتُمُ الآنَ في شهرِ الْبِرِّ والخير، قضيتمُ نهارَهُ صلاةً وَصِيَاماً، وَاحْيَيْتُمْ لَيْلَهُ تِلَاوَةً وَقِياما، تَتَقرَّبُونَ إلى ربِّكم بأنواعِ الْقُرُبَاتِ طَمَعًا في الثواب، وَجُنَّةً مِنْ الْعِقَاب، وقد أَوْشَكَ الشَّهْرُ الْكَرِيمُ أَنْ تَقُوَّضَ خِيَامُه، وَتُطْوَى أَعْلاَمُه، وَكَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ له لم يُقَدَّرْ لَهُ اسْتِكْمَالهُ، وكم من مُؤَمِّلٍ أن يعودَ إليه مرةً آخرى خَانَتْهُ آمَالُه، فَلْنَثْبُتْ على مَا تَعَوَّدْنَا فِيهِ مِنَ الطاعة، وحذارِ من التفريطِ والإضاعة، فالمداومةُ على طاعةِ

المولى الكريم، سِيَمَا الصالحين من كلِّ ذي قلبٍ سليم، وليس للطاعة زمنٌ محدود، ولا للعبادة أجلٌ معدود، بل هي حَقُّ الله على العباد، ما دامت ارواحهم في الأجساد، قال الله الملكُ الحقُّ المبين، وَاعْبُدْ ربَّكَ حتى يَأْتِيَكَ الْيقِين، فإذا تمَّ رمضانُ واكتمل نِصَابُه، وبَعْدَ اكْتِمَالِهِ آنَ ذِهابُه، فإن الصومَ لا يُغْلَقُ بابُه، فصومُ التطوعِ لا يزالُ بَابُهُ مفتوحا، وثوابُهُ لا يزال للصَّائِمِينَ مَمْنُوحَا، وَنَوَافِلُ العباداتِ تَجْبُرُ مافي الفرضِ مِنَ الْخَلَل، وَتُثْمِرُ محبَّةَ الله عَزَّ وَجَلّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ الله تعالى قال: من عَادَى لِي وليّاً فقد آذنتُهُ بالحرب، وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مما افترضتُهُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبْصِرُ به، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يمشي بها، ولئن سألني لَأُعْطِيَّنهْ، ولئن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهْ» [رواه البخاري].

إنَّ صيامَ التطوع من أفضل الأعمال، المقربة إلى ذِي الْعِزَّةِ والجلال، وهو من أَجَلِّهَا على الإطلاق كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصيام أفضل ما تُطُوِّعُ به، لأنه لا يدخلُهُ الرياء، والرياء كما تعلمون محبطٌ للأعمال، مُدْخِلٌ للنيران والعياذ بالله، فالعبد مأمورٌ بالإخلاص ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾، وقال صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «أنا خير الشركاءِ من عَمِلَ لي عَمَلاً أشرك فيه غيري فأنا منه بَرِيءٌ وهو للذي أشرك» [رواه الإمام أحمد].

إنَّ صَوْمَ النافلةِ لَهُ مزايا عَدِيدَة، وَمَزَايَا فَرِيدَة، مِنْ أَعْظَمِهَا أَنَّهُ يُبَاعِدُ وَجْهَ صَاحِبِهِ عَنِ النَّار، ويحجبُهُ عنها ويُعْتِقُهُ منها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا مِنْ عبدٍ يصومُ يوماً في سبيل الله إلا بَاعَدَ الله بذلك اليوم عن وَجْهِهِ النّارَ سبعين خريفاً» [متفق عليه]، وكثرةُ

الصوم دليلٌ على محبةِ الله للعبد، ويا لها من مرتبةٍ عاليةٍ، ومكانةٍ سَامِيَة، يحظى من الله بِقُرْبِه، وَيَفُوزُ بمحبةِ ربِّه، وَمَنْ أَحَبَّهُ ربُّه أَحَبَّهُ أهلُ السَّمَاءِ وُوُضِعَ لَهُ القبولُ في الأرض.

ومن فوائد صوم التطوع جَبْرُ الخلل الحاصل في العبادة: فما يُوَفَّقُ له الإنسانُ من الطاعةِ لا يخلو من خطأٍ ونقص، فالنوافلُ تَجْبُرُ الخلل، وبها الناقص من الفرائض اكتمل، ولذا شُرِعَتِ النَّافلةُ لِسَدِّ ذلك النقصِ وترقيع ذلك الخلل، ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «التطوع تُكَمَّلُ به الفرائضُ يوم القيامة» [رواه أحمد وأبو داود وغيرهما]، فَشُرِعَ صَوْمُ التطوعِ لجبر ذلك النقص، ومن الصيامِ المسنون صيامُ سِتِّ أيامٍ من شوال رَغَّبَنَا رسولُ الله في صِيَامِها فهنيئا لمن وُفِّقَ لاغتنامِها قال صلى الله عليه وسلم في بيان ما يترتبُّ عليها من الأجر: «من صام رمضان ثم أتبعه سِتًا من شوال فكأنما صام الدهر»، أي كأنما صام السنة كلها فرضا والمراد أن

ثوابها يكون ثواب الفرض وإلا لم يكن لخصوصيةِ سِتَّةِ شوالٍ معنى.

ومن كان عليه قضاء من رمضان صامه أولاً ثم صام ستاً من شوال، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال» والذي عليه قضاءٌ من رمضان إنما صام بعض رمضان لَا كُلَّه، ثم إن الفرض أَوْلَى بِالْاهْتِمَامِ والعناية هذا هو الأكملُ والأفضل، وصيامُها بعد العيد أَوْلَى لِمَا فيه مِنَ الْمُبَادَرَةِ إلى الخيرِ وَعَدَمِ الْوُقُوعِ في التسويف الذي قد يُؤَدِّيْ إلى عدم الصيام، كما يجوز صيامُها متفرقةً أو متتابِعة، لكن التتابع أفضل؛.

ومن الصيام المندوب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، فإنها تذهب وَحَرَ الصدر، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُ وَحَرُ الصَّدْرِ، فَلْيَصُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شهر..

وَحَرُ الصَّـدْرِ مَا يَحْصُـلُ فِي الْقَلْـبِ مِنْ الْكُـدُورَاتِ وَالْقَسْـوَة: وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه قـال أوصـاني خليلـي صـلى الله عليـه وسـلم بـثلاثٍ لا أَدَعَهُـنَّ حتـى أموت: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كل شهر، وركعتَيْ الضُحى، وَأَنْ أُوْتِرَ قبل أن أنام، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صـومُ ثلاثـةِ أيـامٍ مـن كـل شـهر صـومُ الـدهرِ كُلِّـه. رواه البخاري ومسلم.

والأفضل أن يصوم الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر لحديث أبى ذر الغفاري رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قـال لـه: «يـا أبـا ذر، إذا صُـمْتَ ثلاثـةً مـن كـل شـهر فصـم الثالـث عشـر والرابـع عشـر والخـامس عشـر» [رواه أحمـد والنسائي].

ومن الصيام المسنون صيامُ يومِ عرفة، مَا أَبْرَكَـهُ من يومٍ وَمَا أَشْرَفَه، وهو اليومُ التاسع من ذي الحجة، وجاء

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صيام يوم عرفه أَحْتَسِبُ على الله أنه يُكَفِّرُ السنةَ التي قبله وَالسَّنَةَ التي بعده» [رواه مسلم]. فصومه تكثيرٌ للحسنات، وتكفيرٌ للسيئات. فَيُسْتَحَبُّ صِيَامُ يوم عرفه لغير الحاج أما الحاج فلا يُطْلَبُ منه بل هو مَنْهِيٌّ عنه - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة» وَيُقَوِّيهِ حَدِيثُ: «أن الناس شَكُّوْا في صومه صلى الله عليه وسلم يَوْمَ عرفة، فأُرْسِلَ إليه بقدحٍ من لبن فشربه ضحى يوم عرفة والناس ينظرون» [رواه البخاري ومسلم].. وكفى برسول الله قدوة، وكفى به أسوة.

كما أنه يُسَنُّ صِيَامُ الأيامِ التي قبله من شهرِ ذي الْحِجة لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أيامٍ العملُ الصَّالحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيامِ ـ يعني أيامَ العشرـ. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهادُ في سبيل الله؟

قال: ولا الجهادُ في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجعْ من ذلك بشيء» [رواه أبو داود].

ومن العمل الصالح فيها الصيام لما روي عن صيام النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأيام المُباركة؛ فقد رُوِيَ عن هُنيدةَ بن خالد عن امرأتِهِ عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومُ تِسْعَ ذي الحجة» [رواه أبو داود].

ومن أفضل صيام التطوع صيام شهر الله المحرم ومما يَدُّلُ على فضله ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضلُ الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضلُ الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

ومن السُّنَّةِ صِيَامُ يَوْمِ عاشوراء وهو يومٌ عظيم من أيامِ الله . أَنْجَى الله فيه موسى وقومَه. وَأَغْرَقَ فِرْعونَ وقومَه. وصيامُهُ يُكَفِّرُ السنةَ الماضية لقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضيةً ومُسْتَقْبَلَة وصومُ عاشوراء يُكَفِّرُ سنةً ماضِية» [رواه مسلم وغيره]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدِمَ المدينة. فوجد اليهودَ يصومونَ يوم عاشوراء. فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونَه؟» فقالوا: هذا يومٌ عظيم. أنجى الله فيه موسى وقومَه. وأغرق فرعون وقومَه. فصامه موسى شكرا. فنحن نصومُه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وَأَمَرَ بصيامِه. [متفق عليه]، ولأحمد عن أبي هريرة نحوه وزاد فيه: «وهو اليوم الذي اسْتَوَتْ فيه السفينةُ على الْجُودِي فصامه نوحٌ شكراً». والأفضلُ صيامُ يومٍ قبله أو يومٍ بعده، وهي السُنَّة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «لئن بقيت إلى قابل

لأصومن التاسع» قال ابن عباس رضي الله عنهما: (يعني مع العاشر).

ومن السُّنَّةِ صومُ الاثنين والخميس عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحرَّى صِيَامَ الاثنينِ والخميس وعن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومُ يوم الاثنين والخميس، فسألته؟ فقال: «إن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس، فَأُحِبُّ أن يُرْفَعَ عملي وأنا صائم» وعن أبي قتادة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صومِ يومِ الاثنين؟ فقال: «فيه وُلدِتُ، وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ».

فمزيداً من الصيام يا أمة الإسلام، بَادِرُوا الْفَوْتَ، وَتَزَوَّدُوا لِمَا بَعْدَ الموت، صومُوا يوماً شديداً حَرُّه، ليومٍ أَشَدَّ منه حراً واسْتَكْثِرُوا من الأَعْمَالِ الصَّالحةِ سِراً وَجَهْرَاً، قبل أَنْ يُنِيخَ الموتُ بالباب، وَيُفَرِّقَ بين الأحباب، قبل أن يَرْتَحِلَ بكم من القصور، إلى القبور،

وَمِنْ سَعَةِ الدنيا وَبَهْجَتِهِا، إلى ضِيْقِ الْقُبُورِ وَوِحْشَتِها، فَيَا وِحْشَةَ مَنْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَنِيْسَهَ، وَيَا بَهْجَةَ مَنْ كَانَ القرآنُ والصلاةُ والصيامُ مُؤْنِسَهُ وَجَلِيسَه نسألُ الله تعالى بفضلِهِ وامتنانِه، وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ، أن يوفقَنا للعملِ الصَّالح ، وَالْعِلْمِ النَّافع، وأن يُفَقِّهَنَا في دينِنا، وأن يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَزِيْدَنَا عِلْماً، وأن يجعلَنا هداةً مهتدين، غير ضَالِّين وَلاَ مُضِلِّين، إنه سبحانه خَيْرُ مسؤول، وَأَكْرَمُ مَأْمُول، واللهُ أَعْلَمُ. وَأَحْكَمُ، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

*　　*　　*

ادعوني أستجب لكم

الحمدلله الذي أَمَرَ عبادَهُ بالدعاءِ وفتح لهم بابَه، ووعدهم تفضلاً منه بالإجابة، فهو الكريمُ العظيمُ الذي يستجيبُ لمن دعاه، ولا يُخَيِّبُ مَنْ رجاه، يجيبُ دُعَاءَ الْمضطر، وَيَكْشِفُ عنه السُّوءِ ويدفع ما يُحْذَرُ، يَتَكَرَّمُ على عبادِهِ بالنِّعَمِ تَتْرَى، وإذا رَفَعَ عَبْدَهُ يَدَيْهِ إليه لا يَرُدُّهُمَا صِفْرَا.

وقد مددتُ يَدَيْ بِالذُّلِ مُبْتَهِلاً   إليكَ يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليهِ يدُ
فلا تَرُدَّنها يارَبِّ خَائِبَةً   فَبَحْرُ جُوْدِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

اللهم صلِّ وسلِّم، وبارِكْ وكرِّم، على سيدنا محمد أفضل من دعا وابتهل، وَلَجَأَ إلى ربِّه عَزَّ وجل، مُؤَمِّلاً وداعياً، مستغيثاً وراجِيا، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

إِنَّ الدعاءَ مُخُّ العبادة، وَبِهِ أَمَرَ الله عبادَه، وَوَعَدَهُمْ عليه بالاستجابه، فَمَنْ دَعَاهُ بإخلاصٍ ويقينٍ أَجَابَه.

قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

فَارْفَعْ يديك إلى الله بالدعاء، في الشدةِ والرَّخاء، ففي الدعاءِ تحقيقُ الْعُبُودِّية، لِرَبِّ البرية؛ أَلَا إِنَّ الشكوى إلى الله والاعتماد عليه، وَإِظْهَارَ الْحَاجَةِ وَالْإِفْتِقَارَ إليه، من أعظمِ الوسائل الناجِعَه، وَالْأَدْوِيَةِ النَّافِعَة، لِحُصُولِ الْمَأْمُول، وَالْفَوْزِ بِالْقَبُول.

فإذا ادْلَهَمَّ الْخَطْب، وَتَفَاقَمْ الْكَرْب، فقل يارَبِّ يارَبِّ يارب.

فإنَّهُ هو الذي يجيبُ دعوةَ الْمضطر، وَيَتَكَرَّمُ عليه بِقَضَاءِ الْوَطَر، وَيَدْفَعُ عَنْهُ كُلَّ ضُرٍّ وخَطَر.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

لا تجزعـــنَّ إذا نابتـــك نائبـــةٌ

واضرعْ إلى الله يُسْرِعْ نحوك الْفَرَجُ

ثُـمَّ اسْتَعِنْ بجميلِ الصبر محتسباً

فَصُبْـحُ يُسْـرِكَ بَعْـدَ الْعُسْـرِ يَنْبَـلِجُ

إذا دعـوتَ ربـك الكـريم الوهـاب، رَضِـيَ عنـك واستجاب، وفتح لـك إلـى الخير كُلَّ بـاب، فَـادْعُ رَبَّكَ وَارْفَعْ حَاجَاتِكَ إليه، فَمَـنْ لَـمْ يَسْـأَلْهُ فَإِنَّهُ يَغْضَبُ عليه، قال الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم: «إِنَّه مَنْ لَمْ يَسْألِ الله تعالى يَغْضَبْ عليه».

لا تســألنَّ بُنَــيَّ آدَمَ حاجــةً وَسَلِ الذي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ

اللهُ يَغْضَـبُ إِنْ تَرَكْـتَ سُـؤَالَهُ وَبُنَيُّ آدَمَ حِيْنَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

بالـدعاء يُسْـتَدْفَعُ الـبلاء، وَيُرْفَـعُ الْوَبَـاء، فَكَـمْ رُفِعَـتْ

بالدعاءِ مِنْ بَلِيَّة، وكم كُشِفَتْ من رَزِيَّة «والدُّعَاءُ يَنْفَعُ فيما نزل وفيما لم ينزل، وإنَّ البلاء لَيَنْزِلُ فَيَتَلَّقَاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إلى يومِ القيامة» [رواه الحاكم والطبراني].

إن الدعاءَ سببٌ من أسباب السعادة، وطريقٌ مَأْمُونٌ إلى الحسنى وزيادة، ومن فَرَّطَ في الدعاء فهو من الخير في إفلاس، وَيُعْتَبَرُ بتقصيرِهِ هذا مِنْ أَعْجَزِ الناس، وفي الحديثِ الشريف: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجِزَ عَنِ الدُّعاء، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلام».

فَأَطِعْ أَمْرَ رَبِّكَ بِالدُّعَاءِ يُنْجِزْ لَكَ وَعْدَهُ بِالإجابة، فإنه كريمٌ جوادٌ، لاَ يُخْلِفَ الْمِيْعَاد، وَقَالَ رَبُّكُمْ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم حَيِيٌّ كريمٌ يَسْتَحْيِيْ مِنْ عبدِه إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليهِ أن يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْن».

فَثَمَرَةُ الدُّعاءِ مَرْجُوَّةٌ إِنْ شاء الله إِنْ عَاجِلاً أَوْ آَجِلاً، وَلَا يُخَيِّبُ رَبُّنَا آَمِلاَ، وَلاَ يَرُدُّ سَآئِلا، وقد جاء عَنِ النَّبِيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلا آتَاهُ الله إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها، أو يَدَّخِرُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِم».

وَللِدُّعَاءِ آدابٌ ينبغي مُرَاعَاتُهَا.

فَمِنَ الآدابِ أن يبدأَ الداعي بحمدِ الله والثَّناءِ عليه، ثم الصَّلاةُ على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد سَمِعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يدعو في صلاته لم يُمَجِّدِ الله تعالى وَلَمْ يُصَلِّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «عَجِلْتَ أَيُّها الْمُصَلِّي» وَسَمِعَ آخَرَ يدعُو فَمَجَّدَ الله وَحَمِدَه وصلَّى على النبيّ صلَّى الله عليهِ وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اُدْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ».

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «مَنْ أَرَادَ أن يَسْأَلَ الله حَاجَتَهُ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلاةِ على النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ثُمَّ يَسْأَلُه حَاجَتَه ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلاةِ على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّلاتين وَهُوَ أَكْرَمُ مِنَ أَنْ يَرُدَّ مَا بَيْنَهُمَا».

وَكُلَّمَا قَوِيَ رَجَاءُ الْعَبْدِ في ربِّه، وَعَظُمَ أَمَلُهُ، وَحَسُنَ ظَنُّه، وَحَضَرَ قَلْبُه، كان دُعَاؤُهُ أَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ، وأحرى بالقبول، «اُدْعُوا الله وَأَنْتُمْ مُوْقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الله لاَ يَسْتَجِيبُ دَعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ».

وَإِنِّي لْأَرْجُو الله حَتَّى كَأَنَّنِيْ أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا الله صَانِعُ

ومن آداب الدعاء أن يَتَخَيَّر الدَّاعِي الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلْإِجَابَة، فقد سُئِلَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلَّم: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قال: «جَوْفَ الليلِ الْآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ» [رواه الترمذي].
وَإِنَّ في يوم الْجُمُعَةِ سَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ الله شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاه.

وكذلك عِنْدَ مُشَاهَدَةِ الْبَيْتِ الْعَتيق، وعند الملتزم، وعند شُرْبِ ماءِ زمزم، وعند الإفطار، وفي السُّجودِ في الصلاة، وعند السفر، وعند نزول المطر، وبين الأذان والإقامة، وقبل التسليمتين في الصَّلاةِ، وَآخِر النَّهار يوم الجمعة، وفي الوتر من العشر الأواخر من رمضان، لَعَلَّهُ يُصَادِفُ ليلةَ الْقَدْرِ، ويوم عرفة.

وعلى الدَّاعِي أن يحذرَ كُلَّ الْحَذَرِ من مَوَانِعِ الْإِستجابة ، ومن أهم ذلك: الْمَطْعَمُ الْحرام، والملبُس الحرام، وَالْاسْتِعَجَالُ في الدُّعاء، يقول صلى الله عليه وسلم: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يقول: دعوتُ ربي فلم يَسْتَجِبْ لي».

وَحَذَارِ مِنْ دعوةِ المظلوم، فإنها سهمٌ صَائِب، وليس بينها وبين الله حاجب، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لِمُعَاذ حين بعثَهُ إلى اليمن: وَاتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسولُ الله

صلى الله عليه وآله وسلم: دعوةُ المظلومِ مستجابةٌ وإن كان فاجراً فَفُجُورُهُ على نفسِه.

أَلَا قُوْلُوا لِشَخْصٍ قَدْ تَقَوَّى عَلَى ضَعْفِي وَلَمْ يَخْشَ رَقِيبَهْ
خَبَأْتُ لَهُ سِهَاماً مِنْ دُعَاءٍ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ مُصِيْبَهْ

وَمِنْ أَرْغَبِ الرَّغَائِبِ، دُعَاءُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ، إذا دعوتَ لأخيكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ يقولُ الْمَلَكُ آمين وَلَكَ بِمِثْلِه.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: دعوةُ المسلمِ لأخيهِ بِظَهْرِ الغيبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ ملكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَى لأخيهِ بخيرٍ قال الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمين وَلَكَ بِمِثْلٍ. رواه مسلم.

وَمِنْ أَوْلَى مَا يَلْهَجُ بِهِ الدَّاعِي الأدعيةُ الْقُرْآنِيَّة، والأدعيةِ النبوية، التي دعى بها رسولُنا عليه الصلاةُ والسلام، أَوْ عَلَّمَهَا أَصْحَابُهُ الْكِرَام.

فَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْقُرَآنِيَّةِ:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

ومن ذلك دُعَاءُ ذِي النون، إِذْ دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ فِيْ بَطْنِ الْحُوْتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **«لَمْ يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِيْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ الله لَهُ»** .

ومن الأدعية النبوية: حديثُ عائشة قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشْتَكَى منا إنسانٌ مَسَحَهُ بيمينهِ ثم قال: «أَذْهِبِ الْبَأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شِفَاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغَادِرُ سقَمَا».

وحديث: «ضَعْ يَدَكَ على الذي تألم مِنْ جسدِك وَقُلْ بسم الله ثلاثا ثم قل سبعا: أعوذُ بعزةِ الله وقدرتِه من شرِّ ما أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

ومن الأدعيةِ عند الهمِّ والقلق ما أخرجه أحمد في المسند من حديثِ عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم: «مَا أَصَابَ أحداً قَطُّ هَمٌ ولا حزنٌ فقال اللهم إني عبدُك، ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيْعَ قَلْبِي وَنُوْرَ صَدْرِي وَجَلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً»، وفي روايةٍ: «فَرَحاً»، قال فَقِيلَ يا رسولَ الله أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا، قَالَ: «بَلَى يَنبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

ومن الأدعيةِ في قضاءِ الدَّينِ ما أخرجه أبو داوود في سننه من حديثِ أبي سعيد الخدري قال: دخل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَسْجِدَ ذَاتَ يومٍ فرأى فيه رجلاً من الأنصار يُقَالُ له أَبُو أَمَامَه، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي أَرَاكَ جَالِساً في المسجد في غيرِ وَقْتِ صَلَاةٍ»، قال هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وديونٌ يا رسولَ الله. قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَاماً إذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ الله هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ»، قلتُ بَلَى يا رسولَ الله، قال: قُلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهم إِنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وأعوذُ بك مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وأعوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

قال فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ الله تعالى هَمِّي وَغَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي.

ومن الأدعيةِ عند النَّوازِلِ وَالْفِتَنِ وَالْخَوْفِ مَا أَخْرَجَهُ أبو داوود والنَّسائي عن أبي موسى أنَّ النبيَّ

صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ إذا خَافَ قَوْماً قال: اللهم إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

وكانَ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ: «اللهم أنتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَاصِرِيْ، بِكَ أَصُولُ وَبِكَ أَجُولُ وبك أُقَاتِلُ». وفي صحيح البخاري من حديثِ ابْنِ عباسٍ قال: (حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قَالَهَا إبراهيمُ حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ قَالَ لَهُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ.

وَمِنَ الأدعيةِ في المصيبةِ وَالْكَرْبِ وَالشِّدَّةِ وَالضِّيْقِ مَا أَخْرَجَهُ الْبخاريُّ وُمُسْلِمُ مِنْ حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهما أَنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يقولُ عِنْدَ الْكَرْب: لا إلهَ إلا الله العظِيمُ الحليم، لا إله إلا الله رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم، لا إله إلا الله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيم..

وأخرج أبو داوود وأحمد عن أبي بكرةَ رضي الله

عنـه أَنَّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم قـال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ، اللهمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُوْ فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِيْ شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلهَ إِلَّا أَنْتَ».

وقـد سَـمِعَ رسـولُ الله صـلَّى الله عليـه وسـلَّم رجـلاً يدعو ويقول: اللهمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الله لاَ إِلهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ ولـم يُوْلَدْ ولـم يكـنْ لَـهُ كُفُـوًا أحـد. فقـال صـلَّى الله عليـه وسـلَّم: «لقـد سَـأَلْتَ الله تعـالى بِالْأِسْـمِ الـذي إذا سُـئِلَ بِـهِ أَعْطَـى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» [رواه أبو داود].

إِلَـى غيـرِ ذلـك مِـنَ الـدَّعَوَاتِ الْقُرْآنِيَّـةِ وَالـدَّعَوَاتِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ الَّتِيْ حَفَلَتْ بِهَا كُتُبُ الأحاديث النبويـة. واللهُ الْمَـأْمُولُ، أَنْ يَمُـنَّ علينـا بِالْإِقْبَـالِ وَالْقَبُـولِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ دُعَاءَنَا إِنَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيمٌ.

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدِنا مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ وَصَـحْبِهِ أَجْمَعِين.

*　　*　　*

وداع شهر رمضان

الحمدلله الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْكَمَالِ، لاَ نِدَّ لَهُ وَلَا نَضِيرَ تَقَدَّس عَنِ النُّظَرَاءِ وَالْأَمْثَالِ، نحمدُهُ على مَامَنَّ بِهِ مِنْ الْفَضْلِ وَالنَّوَالِ، ونشكرُهُ على إحسانِهِ وَالْإِفْضَالِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ. لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَع. لاَ رَافِعَ لِمَا خَفَضَ وَلَا خَافِضَ لِمَا رَفَعَ، وَهُوَ الْمُعِزُّ لِمَنْ اَطَاعَهُ وَقَاهِرُ مَنْ عَصَاهَ بِالْأِذْلاَلِ، وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوْءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَالٍ، يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهِ (وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِقَالَ)، سبحانَهُ سبحانَهُ عَظِيْمُ السُّلطانِ شَدَيدُ الْمِحَالِ.. اللهم صلِّ وسلِّم، وبارِكْ وكرِّم، على سيدِنا محمدٍ مَوْلَى بِلَال، الذي جَاءَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيم، مِنْ سُوَرٍ قِصَارٍ وَمُتَوَسِّطةٍ وَطِوَالِ، أَدَّبَهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبَهُ، فَنَشَأَ

عَلَى كَرِيْمِ الْأَخْلَاقِ وَشَرِيفِ الْخِصَالِ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ، صلاةً وسلاماً دَائِمَينِ مُتَلَازِمَيْنِ بِالْغُدُّوِّ وَالْآَصَالِ.

وبعدُ فإنَّ هذه الليلةَ ليلةٌ عَظِيمَة، ليلةٌ كَرِيمة، ليلةُ الْفَوْزِ بِالْغَنِيمَة، ليلةُ الْجَوَائِزِ وَالْمِنَحِ الْجَسِيمَةِ، إِنَّها آَخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي شَهْرِ رمضان، شَهْرُ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَان، وَالْعِتْقِ مِنَ النِّيْرَانِ، إِنَّهَا لَيْلَةُ الْجَوَائِزِ، الَّتِيْ يُحْظَى بِهَا كُلُّ فَائِزٍ، حَفْلُ تَكْرِيم الصَّائِمِينَ، الْقَانِتِينَ الْقَائِمِينَ، ينالونَ فِيْهَا مِنَ الله التَّكْرِمَةَ، وَيُقَلَّدُوْنَ فِيْهَا أَعْظَمَ وَأَعْلَى الْأَوْسِمَة: وَسِامُ مَا جَزَاءُ العاملِ إذا وَفَّى عَمَلَه، جزاؤُهُ أن يُغْفَرَ لَهُ، وَسِامُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، يُعْتِقُ الله فِي آَخِرِ ليلةٍ مِثْلَمَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَلِ الشَّهْرِ إلى آَخِرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ الشَّهْرَ الذي كُنَّا نَتَرَقَّبُ وُصُولَه، وَنَنْتَظِرُ حُلُوْلَه، قَدْ أَزِفَ عَلَى الرَّحِيل، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلاَّ الْقَلِيل، فهذِهِ هِيَ اللَّيْلَةُ الْأَخِيْرَةُ مِنْهُ، فكيفَ نُوَدِّعُهُ وَلاَ صَبْرَ لَنَا عَنْه، لقد عِشْنَا لَيَالِيَهُ الْمَتَلأْلِئَهْ، وَأَيَّامَهُ الْهَانِئَةِ، فَاطْمَأَنَّتْ

بِـهِ الْقُلُـوبُ وَارْتَاحَـتْ الْأَرْوَاحُ، وَقَـرَّتِ الْعُيُـونُ وَنَعِمَـتِ الْأَشْبَاحُ، وَحَلَا مِنْهُ الْغُدُوُّ وَالرَّوُاحُ، وَالْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ، لَيْلُهُ تَهَجُّدٌ وَقِيَامُ، وَنَهَارُهُ إِحْسَانٌ وَصِيَامُ، مَا أَحْلَى أَيَّامَهُ وَمَا أَهْنَأَ لِيَالِيه، وَمَا أَصْفَى أَوْقَاتَهُ وَمَا أَبْهَجَ نَادِيَه، فَآهٍ لِتَشَـتُّتِ نِظَامِـهِ بَعْـدَ اتِّسَـاقِه، فَـالْآنَ آنَ وَقْـتُ رَحِيْلِـهِ وَانْطِلَاقِـه، بِرَحِيْلِـهِ تَنْقَطِـعُ تَرَاوِيحُنـا، وَتَنْطَفِـأُ مَصَـابِيحُنا، وَتَخْلُوْ مِنْ الْعَاكِفِينَ الْمَسَاجِد، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلِيئَةً بِكُلِّ رَاكِعٍ وَسَاجِد.

كَانَـتْ لَيَالِيـهِ زَاهِيَـةً بِالتَّعَبُّـدِ، وَمَسَاجِدُنَا نَيِّـرَةً بِصَـلَاةِ الْقِيَامِ وَالتَّهُجُّدِ، تَأَلَّقَتْ فِيهِ لِلتِّلَاوَةِ حَلَقَات، وَامْتَدَّتْ فِيهِ أَيْدٍ بِالْإِحْسَانِ وَالصَّدَّقَاتِ، وَبُسِطَتْ فِيْهِ مَوَائِدُ الْإِفْطَار، وَالْتَـفَّ حَوْلَهَـا الصَّـائِمُوَن بِبَهْجَـةٍ وَاسْتِبْشَـارٍ، فِـي فَرْحَـةٍ أُوْلَى كُلَّ يَوْمٍ تَتَكَرَّرُ، كُلَّمَا قَالَ مُؤَذِّنُ الْمَغْرِبِ الله أكبرُ الله أَكْبَـرُ، فَيَـا إِخْـوَانِي تَـدَارَكُوْا الْبَقِيَّـةَ الْبَاقِيَـةَ مِـنْ مَوَاسِـمِ الْخَيْرَاتِ، وَانْتَهِزُوا فُرْصَةَ مُضَاعَفَةِ الأعمالِ الصَّالحات، تَـدَارَكُوا الشَّـهْرَ قَبْلَ مَسِيرِه، فما بَقِـيَ مِنْـهُ غَيْـرَ سَـاعَاتٍ

يَسِـيرَة، فَلَقَـدْ وَصَـلَ بِنَـا إِلَـى اللَّيْلَـةِ الْأَخِيـرَة، وَبِـانْطِوَاءِ يَوْمِهَا تَنْطَوِي صَفَحَاتُهُ الْمُنِيرَةِ، وَكَأَنَّنَا بِهِ قَدْ مَضَى كَمَا مَضَـى غَيْـرُهُ فِـي سَـالِفِ الْأَزْمَـانِ، يَشْـهَدُ عَلَـى الْمُسِـيْءِ بِالْإِسَاءَةِ، وَيَشْهَدُ لِلْمُحْسِنَينِ بِالْإِحْسَانِ، فَاللهَ اللهَ فِي بَقِيَّتِهِ الْبَاقِيَـة، وَسَـاعَاتِهِ الْمُتَوَالِيَـه، وَاجْعَلُـوا التَّوْبَـةَ وَالْإِسْـتِغْفَارَ مِسْكَ خِتَامِهِ.. وَاعْقِدُوا الْعَزْمَ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ بَعْـدَ تَمَامِـهِ؛ وَابْتهِلُـوا إِلـى اللهِ فِـي قَبُـولِ صِـيَامِهِ وَقِيَامِـهِ، وَلْيَكُنْ نُصْبَ أَعْيُنِكِمْ بِيَقِينٍ، إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

إِنَّ القلـبَ لَيَشْـعُرُ بِالْأَسَـى والأحـزان، علـى انْقِضَـاءِ شهرِ رمضان، وكيف لا تَحَزْنُ القلوبُ على شهرٍ خَيْرَاتُهُ مِدْرَار، أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّار؛ كيف لا تحزنُ القلوبُ على فراقِ شهرٍ بصيامِهِ وقيامِه، يغفـرُ اللهُ لِلْعَبْـدِ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ آثَامِـه، قـال صـلَّى اللهُ عليـه وسلَّم وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا عَنْ وَحْيٍ مِنْ رَبِّه (مَنْ قَامَ رمضانَ إيماناً وَاحْتِسَاباً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه) فَهَنِيئاً لِمَنْ جَدَّ فِيْهِ وَاجْتَهَد، فكلُّ مَنْ زَرَعَ حَصَد.

إِنَّ للهِ في هذِهِ الليلةِ الأخيرةِ من شهرِ رمضان، عُتَقَاءَ مِنَ النِّيْرَان، يُعْتِقُ الله فيهِ بِكَرَمِهِ وَإِفْضَالِهِ مِثْلَمَا أَعْتَقَ فِيمَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ مُنْذُ إِهْلَالِه، فَكُنْ مِمَّن أَحْسَنَ وَاتَّقَى، لَعَلَّ الله يَكْتُبُكَ مِنَ الْعُتَقَا، وَكُنْ مِمَّنْ أَتْقَنَ عَمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ، فَإِنَّمَا يُوَفَّى الْعَامِلُ أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَه، قال صلَّى الله عليه وسلم: أُعْطِيَتْ أمتي خَمْسَ خِصَالٍ في رمضان، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُم: خُلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيْحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يومٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يقولُ: يُوْشِكُ عِبَادِيَ الصَّالحونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَؤُونَةَ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينَ فَلاَ يَخْلُصُونَ فِيْهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِيْ غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، قِيْلَ: يارسولَ الله أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ؟ فَقَالَ: لاَ وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوْفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ) رواه أحمد وغيره.

قال كعبٌ رضي الله عنه: (من صام رمضان وهو

يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذَا أَفْطَرَ لَا يَعْصِي الله، دَخَلَ الْجَنَّةَ بغيرِ مَسْأَلَةٍ ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يُحَدِّثُ نفسَهُ أَنَّـهُ إذا أفطـر بَعْـدَ رَمَضَـانَ عَصَـى رَبَّـهُ، فَصِـيَامُهُ عَلَيْـهِ مَرْدُودٌ) وَرُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه: أَنَّهُ كان يُنادِي في آخرِ ليلةٍ من شهرِ رمضان ياليت شعري مَنْ هذا المقبول فَنُهَنِّيْـهِ؟ وَمَـنْ هـذا الْمَحْـرُومُ فَنُعَزِّيـهِ؟ أيهـا المقبـولُ هنيئـاً لك، وياأيها الْمَرْدُودُ جَبَرَ الله مُصِيْبَتَكَ).

وَرُوِيَ عـن الحسـن أنـه قـال: (إنَّ الله جعـل شـهر رمضان مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ يَسْتَبِقُونَ فِيْهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ فَسَبَقَ قومٌ فَفَازُوا، وَتَخلَّفَ آخَرُوْنَ فَخَابُوا) فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَينِ أَنْتَ، مِمَّنْ سَبَقَ فَفَازَ، وَقَطَعَ الْمَفَاز، أم أنـتَ مِمَّـنْ تَخلَّـفَ فَخَـابَ، وَأُغْلِـقَ دُوْنَـهُ الْبَـاب، فَضُـرِبَ بينهم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ.

وقال سلمانُ الفارسي رضي الله عنه: الصلاةُ مِكْيَالٌ فَمَـنْ وفَّـى وُفِّـيَ لـه وَمَـنْ طَفَّـفَ فقـد علمـتُم مَـا قِيـلَ فـي

الْمُطَفِّفِينَ، فالصِّيامُ وَسَائِرُ الْأَعْمَالِ عَلَى هَذَا الْمِنْوَال، فَمَنْ وَفَّاهَا فَهُوْ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ الله الْمُوْفِّينَ، وَمَنْ طَفَّفَ فِيْهَا فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ).

أَيُّها الأحباب، ونحنُ في هذِهِ الليلةِ الأخيرَة، من شهر رمضان الذي خيراتُهُ كَثِيرَة، وَأَمْطَارُ الرَّحْمَةِ فيه غَزِيرَة، علينا أَنْ نَخْتِمَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارَ، آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهار، وقد كان الصالحونَ إذا صَلَّوا صلاةً أَوْ صَامُوا صِيَاماً، أَوْ عَمِلُوا عَمَلاً صَالِحاً أَيًّا كَانَ، يستغفرونَ الله مِمَّا عَلِقَ بِهِ مِنْ تَقْصِير، أَوْ شَابَهُ مِنْ تَكْدِير، كَمَا يَسْتَغْفِرُ الْمُذْنِبُ مِنْ ذَنبه، وَيَتُوبُ إِلَى رَبِّه، فَإِذَا كَانَ هَذا حَالُ الْمُحْسِنِينَ مَعَ الْإِحْسَان، فَكَيْفَ بِغَيْرِهِمْ مِنْ ذَوِي الْإِسَاءَةِ وَالْعِصْيَانِ.

ذُنُوبُكَ فِي الطَّاعَاتِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ

إِذَا عُدِّدتْ تَكْفِيكَ عَنْ كُلِّ زَلَّةِ

وَحَتَّـى اسْـتِغْفَارُنَا يَحْتَـاجُ إِلَـى اسْـتِغْفَار، لِأَنَّـهُ لَـمْ يُصَاحِبْهُ النَّدَمُ وَالْإِنْكِسَارُ، وَالتَّذَلُّلُ عِنْدَ الْإِعْتذَارِ.

أَسْتَغْفِرُ الله مِنْ اَسْتَغْفِرُ الله مِنْ جُمْلَةٍ قُلْتُهَا لَمْ أَدْرِ مَعْنَاهَا

فَلْنَسْتَغْفِرِ الله وَنَتُبْ إليه، مُسْتَشْعِرِينَ عِنْدَ الْإِسْتِغْفَارِ، خُطُـوْرَةَ مَـا ارْتَكَبْنَـا مِـنَ الْأَوْزَارِ، مَـعَ الْمُدَاوَمَـةِ عَلَـى الْأَعْمَـالِ الصَّـالِحَةِ حَتَّـى نَحْظَـى بِالْمَتَـابِ، وَنَنْـتَظِمَ فِـيْ سِـلْكِ الصَّـالِحِينَ مِـنْ كُـلِّ مُخْبِـتٍ أَوَّابٍ، الـذينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوْبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ وَفَّى الْمِكْيَالَ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَال، فَوَفَّيْتَ لَهُ الْجَزَاءَ بِمَحْضِ الْمَنِّ وَالْإِفْضَال، وَتَجَاوَزْ عَنَّا مَـا كَـانَ مِـنْ تَطْفِيـف، أَوْ كَسَـلٍ أَوْ تَسْـوِيف، وَاقْبَلْنَـا مَـعَ الْمَقْبُـولِينَ، وَأَلْحِقْنَـا بِالصَّـالِحِين، وَاجْعَلْنَـا مِـنَ الْعَائِـدِينَ إِلَـى أَمْثَالِ هَـذَا الشَّـهْرِ الْكَرِيم، فـي صِـحَّةٍ وَنَعِيم، أعوامـاً بعـد أعـوام، علـى مـا تُحِـبُّ وترضـى يـاذا الجـلالِ والإكرام، اللهم إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفو فَاعْفُ عَنا، وَاغْفِرْ لنـا وَارْحَمْنَـا، رَبَّنَـا إِنَّنَـا سَـمِعْنَا مُنَادِيـاً يُنَـادِي للإِيمَـانِ أَنْ

آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، اللهمَّ اخْتِمْ لنا شَهْرَ رَمَضَانَ بغفرانِك، وَالْفَوْزَ بِجَنَّتِكَ وَرِضْوَانِك، وَالْأَمْنَ مِنْ سَخَطِكَ وَنِيرَانِك، اللهمَّ أَفِضْ علينا من فضلِك، وَانْشُرْ علينا من رحمتِك، وَأَنْزِلْ علينا من بركاتِك، ونسألُكَ اللهمَّ حُسْنَ الْخِتَام، وَأَنْ تَجْعَلَ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، أَحْيِنَا عليها يَاحَيُّ، وَأَمِتْنَا عليها يَا مُمِيتُ، وَابْعَثْنَا عليها يَابَاعِثُ، اللهمَّ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قلوبِنا، وَاغْفِرْ لنا جَمِيعَ ذُنُوبِنَا، وَاغْفِرْ لَوَالِدِينَا وَذَوِي الْحُقُوقِ عَلَيْنَا، والمؤمنينَ والمؤمنات، وصلَّى الله وسلَّم على نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى، وَعَلى عِبَادِهِ الَّذَينَ اصْطَفَى، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

* * *

الفرحة الأولى

الحمدُ للهِ مُعِيْدِ الأعياد، الْمُتَفَضّلِ بِالنِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، وَالنِّعَمِ الْجَسِيمَة، على جميعِ العباد، جامِعِ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ الله لا يُخْلِفُ الميعاد، اللهم صلِّ وسلِّم على النِّعْمَةِ الْمُسْدَاة، وَالرَّحْمَةِ الْمُهْدَاة، سيدِنا محمدٍ بْنِ عَبْدِالله، خَتَمَ الله بِهِ النَّبِيّين، وَأَرْسَلَهُ رحمةً للعالمين.

رحمةٌ كُلُّهُ وَعَزْمٌ وَحَزْمٌ   وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ

فَهُوَ صلَّى الله عليه وسلَّم أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَآئِنَا وَأُمَّهَاتِنا (هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ) صلَّى الله وسلَّمَ عليهِ وعلى آلِهِ الْأَسْيَاد، وَصَحْبِهِ الْأَمْجَاد، صلاةً وسلاماً دَائِمَينِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يومِ التَّنَادِ.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾.

أَمَّـا بعـدُ فـإنَّ المسـلمين يسـتقبلونَ الليلـةَ وَيَـوْمَ غَـدٍ فَرْحَةَ الْعِيْدِ السَّعِيد، عِيْدِ الْفِطْرِ الْمَجِيد، الذي جَعَلَهُ الله مِسْكَ الْخِتَام، لِشَهْرِ الصِّيام، جَاءَ هَذا العيدُ المباركُ يَزُفُّ إلينـا الْفَرْحَـةَ الْأُوْلَـى الَّتِـيْ أَشَـارَ إليهـا الرسـولُ الكـريم، بِقَوْلِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِه، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّه. فرحةٌ عندَ فِطْرِهِ تَتَجَدَّدُ كُلَّ يـومٍ مـن أيـامِ شـهرِ رمضـان، كُلَّمَـا غَرَبَـتِ الشَّـمْسُ وَرَفَـعَ الْمُؤَذِّنُ الْأذان، فَكُلَّمَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ الله أكبرُ الله أكبر، فَرِحَ الصَّائِمُ بِتَمَامِ صَوْمِهِ وَأَفْطَر، وَتَعَظُمُ هَذهِ الْفَرْحَةُ وَتَكْبَرُ، إِذَا بَلَـغَ الصَّـائِمُ بِصَـيَامِه، إلـى آخِـرِ يـومٍ مِـنْ أَيَّامِـه، وَفَـازَ بِتَمَامِه.

تِلْكَ هِيَ الْفَرْحَةُ الْأُولَى، وَالْفَرْحَةُ الْكُبْرَى فِي الـدَّارِ الْأُخْـرَى فِـي الـدَّارِ الْبَاقِيـة، فِـي جَنَّـةٍ عاليـة، يَـوْمَ يُنَـادَى الصَّائِمُونَ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

الْفَرْحَــــــةُ الْأُوْلَـــى إِذَا رُفِــــعُ الْأَذَانُ لِمَغْــرِبِ

أَوْلاَكَ رَبُّـــكَ نِعْمَـــــــةً مِـنْ فَضْـلِهِ كُـلْ وَاشْـرَبِ

قَـدْ فُـزْتَ بِالتَّقْرِيـبِ كَـمْ فِـي النَّـاسِ غَيْـر مُقَـرَّبِ

حَمْـــــــداً لِـرَبٍّ مُنْعِــمٍ فَإِلَيْـــهِ مِنْـــهُ مَهْـــــرَبِي

اللَّهُمَّ اجْمَعْ لنا بين الْحُسْنَيَيْنِ، وَأَكْرِمْنَا بِالْفَرْحَتَيْنِ، تَفَضُّلاً منكَ ونِعمه، وَتَكَرُّماً وَرَحْمَة، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

وهكذا يَسْتَقْبِلُ الصَّائِمونَ الْعِيْدَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ، لَيْسَتْ فَرْحَةً بِتَنَاوُلِ الْمَطْعُومِ وَالَمْشَرُوبِ، وَالتَّجَمُّلِ بِالْمَلْبُوسِ وَالَمرْكُوب، لكنَّهُ الْفَرَحُ بِنِعْمَةِ التَّوْفِيقِ لِصِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ وَقِيَامِ لَيَالِيهِ الَّتِيْ مِنْ بَيْنِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، الَّتِيْ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، سَلَامُ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

يفـرحُ الصَّـائِمُ بتوفيـقِ الله لَـهُ بِالطَّاعَـةِ، وَانْتِظَامِـهِ فِـيْ سِلْكِ مَنْ أَمَرَهُ الله بِالصِّيَامِ فَأَطَاعَه، وَلَـمْ يَكُـنْ مِمَّـنْ جَهِلَ حُرْمَةَ هَذا الشَّهْرِ وَأَضَاعَه، فَاحْمَدْ رَبَّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ عَلَى

نِعْمَـةِ التَّوْفِيـقِ، وَالسَّـيْرِ عَلَـى أَقْـوَمِ طَرِيـقٍ، وَالْإِنْتِظَـامِ فِـيْ سِلْكِ خَيْرِ فَرِيقٍ.

هَـا قَـدْ حَظِيـتَ بِنِعْمَـةٍ بِصِـيَامِكَ الشَّـهْرَ الْكَـرِيمْ
وُفِّقْـــتَ تِلْـــكَ مَزِيَّـــةٌ بِسُـلُوكِكَ الـنَّهْجَ الْقَـوِيمْ
مَـــا الْفَـــوْزُ إِلَّا بِـــالتُّقَى هَـذَا هُـوَ الْعِــــزُّ الْمُقِـيمْ
إِنَّ الْمُطِيـــــعَ لِرَبِّـــــهِ بُشْـرَاهُ ذُو حَـــظٍّ عَظِـيمْ

أَيُّهَـا الْأَحِبَّـةُ، ونحـنُ نَعِـيشُ هَـذِهِ الْأَيَّـامَ الْمُشْـرِقَةَ، وَنَسْتَشْعِرُ فَرْحَةَ الْعِيْدِ الْمُتَأَلِّقَةِ، علينا أَنْ نعرفَ أَنَّ الْعِيْدَ عِيْدُ مَنْ قُبِلَ صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ، وَغُفِرَتْ ذنوبُهُ وآثامُه، دخل رجلٌ على سيدِنا عليّ بنِ أبي طالب، فَوَجَدَهُ يَأْكُلُ خُبْزاً خَشِناً فقال ياأميرَ المؤمنينِ فِي يومِ الْعِيدِ تَأْكُلُ خُبْزاً خَشِناً؟ فقال رضي الله عنه: الْيَوْمُ عِيْدُ مَنْ قُبِلَ صَوْمُه، وَشُكِرَ سَعْيُه، وَغُفِرَ ذَنْبُه.

اليومُ لنا عِيد، وغداً لنا عِيد، وَكُلَّ يومٍ لاَ نَعْصِي الله فِيْهِ فَهُوَ عِيْد.

وقال الإمامُ عبدُالله بْنُ عَلَوِيٍّ الْحدَّاد (الْمُحِبُّونَ لِلهِ كُلُّ يَوْمٍ لَهُمْ عِيْد).

مَرَّ بعضُ الصالحين على قومٍ في يومِ عيدِ، وهم يضحكون ويمرحون، فقال: إِنْ قُبِلَ مِنْ هَؤلاءِ صِيَامُهم فَمَا هذا حَالُ الشاكرين.. وإن لم يكن قُبِلَ منهم فَمَا هذا حالُ الْمطرودين.

وللِسَّلَفِ الصَّالحِ رَضِيَ الله عنهم أقوالٌ مُعَبِّرة، وَمُؤَثِّرَة، في تعريفِ العيدِ وَبَيَانِ حقيقتِه، يقولون: ليس العيدُ لِمَنْ لَبِسَ الجديد، ولكنَّ الْعِيْدَ لِمَنْ طَاعَاتُهُ تَزِيد، ليس العيدُ لمن تَجَمَّلَ بالملبوسِ والمركوب، لكنَّ العيدَ لمن غُفِرَتْ لَهُ الذنوب، وَقُلْ بِلُغَةِ الْعَصْرِ:

ليس التَّجَمُّلُ فِي العيد أَنْ تَلْبَسَ فَاخِرَ الثِّيَابِ وَالْأَزْيَاءِ، ولكنَّ التَّجَمُّلَ فِي العيدِ أَنْ تَلْبَسَ ثِيَابَ الْوَرَعِ وَالْحَيَاء، ليس العيدُ لمن قام بنزهةٍ في مُنْتَزَهٍ أَوْ حديقة، لكنَّ العيدَ على الحقيقةِ لِمَنْ عَرَفَ إِلَى الله طَرِيقه،

وَاغْتَنَمَ فِي طَاعَةِ الله كُلَّ سَاعَةٍ ودقيقة، فَمَنْ تَفُتْهُ سَاعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ تَكُنْ عَلَيْهِ حَسْرَةً فِي قَبْرِهِ.

لَقَدِ امْتَنَّ الله عَلَى الْإِنْسَانِ بِنَعَمٍ عظيمة، وَآلَاءٍ جسيمه، ومن ذلك نِعْمَةُ الصِّحَّةِ وَالْفَرَاغِ، وَهُمَا نِعْمَتَانِ مغبونٌ فِيْهِمَا كثيرٌ مِنَ الناس، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لَهَا مُضَادٌّ يُبْطِلُهَا، فَمَا أَعْظَمَ الْخَسَارَةَ وَمَا أَشَدَّ الْحَسْرَةَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَغِلَّهُمَا، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا، فَالصِّحَّةُ يَعْرِضُ لَهَا الْمَرَضُ، وَالْفَرَاغُ يُشْغَلُ بِأُمُورٍ أُخْرَى، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ اسْتِغْلَالُ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ فِيمَا يعودُ عليهِ بْالنَّفْعِ فِي الدَّارَيْنِ، ثُمَّ إِنَّهُ لاَ مَانِعَ مِنْ إِظْهَارِ الْبَهْجَةِ وَالزِّيْنَةِ، فِيْ حُدُودِ الْمَشْرُوْعِ مِنْهُمَا، وَالتَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ دَوْنَ إِسْرَافٍ وَلَا تَبْذِير، بَلْ إِنَّ مِنْ السُّنَّةِ لُبْسُ الثِّيَابِ الجديدة، وَإِظْهَارُ الْفَرَحِ فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ السَّعِيدة، «إِنَّ لِكُلِّ قَومٍ عِيْدٌ وَهَذا عِيْدُنَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ»، «إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» لَكِنَّ مَنْهَجَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيةِ، إِلْتِزَامُ

مَبْـدَأِ الْوَسـطِيَّة، لاَ تَعَنُّـتَ فِـي انْقِبَـاضٍ، وَلاَ إِسْـرَافَ فِـي انْبِسَاطٍ، لَا تَفْرِيْطَ وَلَا إِفْرَاطَ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ مَلَامِحِ الْقَبُولِ فِي شهرِ رمضان، الثَّبَاتَ عَلَى ما تَعَوَّدْنَا فِيهِ مِنْ بِرٍّ وَإحسان، فَإِنَّ مِنْ عَلَامَةِ قَبُولِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَالْمُؤْمِنُ لاَ يُشْبَعُ مِنْ خيرٍ حتى يكـونَ مُنْتَهَـاهُ الْجَنَّـة، وَلَـيْسَ لِعَمَـلِ الْمُـؤْمِنِ أَجَـلٌ دُوْنَ الْمَوْتِ، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

وَمَـنْ تَعَبَّـدُوا فـي رمضـان، ثـم عـادُوا بعـدَهُ إلـى العصيان، وَأَلْقَوْا بِزِمَامِهِمْ فِي يَدِ الشيطان، يُقَالُ لِهَؤُلاَءِ «بِئْسَ الْقَوْمُ لَا يَعْرِفُونَ الله إلاَّ في رمضان».

إِنَّ طاعةَ الله الكريمِ الرَّحمن، تَجِبُ على كلِّ إنسان، فـي رمضـانَ وغيـرِ رمضـان، إِنَّهَـا تَجِـبُ فِـي كُـلِّ زَمَـانٍ ومكان.

لا إلـهَ إلا الله المـذكورُ بِكُـلِّ لِسَـان، لا إلـه إلا الله الموجـودُ فِي كُلِّ مكـان، لا إلـه إلا الله المعبـودُ فِي كُلِّ زمان، لا إله إلا الله كُلَّ يومٍ هُوَ فِي شَان.

مَا اعْتَدتَ في رَمَضَانَ مِنْ إِحْسَانِ
فَاثْبُـــتْ عَلَيْـــهِ سَـــائِرَ الْأَحْيَـــانِ
لاَ تُحْبِطُــوا أَعْمَــالَكُمْ لاَ تَنْكُثُــوا
أَيْمَــانَكُمْ هَــذَا مِــنَ الْخُسْــرَانِ
لاَ تُــدْبِرُوا مِــنْ بَعْــدِ إِقْبَــالٍ وَلاَ
تَقْضُـوا عَلَـى الطَّاعَـاتِ بِالْخُسْـرَانِ
فَاغْنَمْ شُهُورَ الْعَامِ فِي التَّقْوَى وَكُنْ
فِيْهَـا كَمَـا قَـدْ كُنْـتَ فِـي رَمَضَـانِ

اللَّهُمَّ كَمَا وَفَّقْتَنَا فِي شهر رمضانَ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، فنسألُكَ اللهمَّ أن تَتَقَبَّلَ مِنَّا ذِلك، وَأَنْ

تَرْزُقَنَا الثَّبَات على أفضلِ المسالِك ، اللهم ثَبِّتْنَا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة، وَأَصْلِحْ لَنا أمورَنا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرة، اللهم ارْزُقْنَا الثباتَ على الأعمالِ الصالحات، في كلِّ الأوقات، وَمُنَّ علينا بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَمَاتِ، وَتُبْ علينا توبةً تُبَدِّلُ بها سيئاتِنا حَسَنَاتٍ، يامن يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ ويعفُو عَنِ السَّيِّئاتِ.

اللهمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْعَائِدِينَ الْفَائِزين، المستبشِرِينَ الْمُطْمَئِنِّيْنَ الْآَمِنِينَ الذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ بِفَضْلِكَ اللهمَّ يَارَبَّ العالمين.

يَاربِّ سَلِّمْنَا إِلَى رَمَضَانَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ أَعْوَاماً عَدِيدَهْ
عَوِّدْ علينا الْعِيْدَ يَا رَبَاهُ فِي خَيْرٍ وَإِنْعَامٍ وَأَوْقَاتٍ سَعِيدَهْ
أَصْلِحْ أُمُوْرَ الْمُسْلِمِينَ وَكُنْ لَهُمْ عَوْناً وَدَمِّرْ مَنْ يُرِيدُ بِهِمْ مَكِيَدَهْ
يَارَبِّ أَنْتَ الْمُرْتَجَى وَالْمَلْتَجَى فَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ أَعْمَاراً مَدِيدَهْ

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا محمدٍ وآلهِ وصحبهِ أجمعين، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تم بحمد الله

*　　*　　*

الفهرسة

٣٠	ادعوني	
٣١	وداع رمضان	
٣٢	الفرحة الأولى ليلة العيد ويوم العيد	